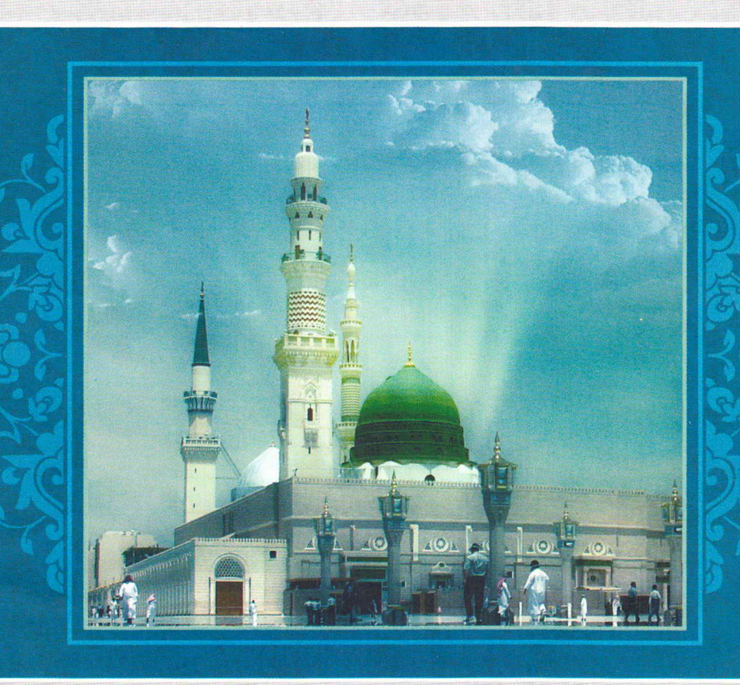
تقريراً لأبحاث المحقق الفقيه آية الله الشيخ محمد السند

مقامات النّبي صلى الله عليه وآله و النبوة

ذكر وحياني و ليست تجربة بشرية



بقلم

ابراهيم حسين البغدادي





مَقاماتُ النَّبيِّ والنُّبُوَّة



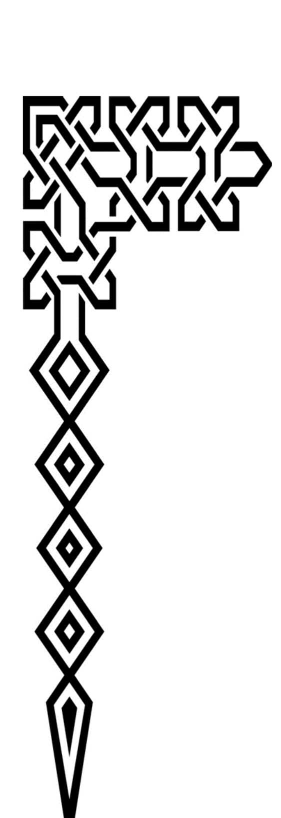

مَقاماتُ النَّبِيِّ وَالنُّبُوَّة

تقريراً لأبحاث آية الله المحقق
الشيخ محمد السند

بقلم

إبراهيم حسين البغدادي





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾



هوية الكتاب

عنوان الكتاب: .... مقامات النبوة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم

المؤلف: .... تقريرا لأبحاث آية الله المحقق الشيخ محمد السند

بقلم: .... إبراهيم حسين البغدادي

سنة الطبع: .... ٢٠١٣ ميلادية

المطبعة: .... النور

عدد صفحات الكتاب: ....٣٣٦ صفحة

الإخراج الفني: .... السيد عبدالله الهاشمي . النجف الأشرف
Hashemi94@gmail.com



المدخل

حقيقة الكلام الإلهي والنبوة:

هناك تساؤل يطرح منذ زمن متقادم والآن أخذ هذا السؤال يثار ويطرح من جديد، وهو:

هل أنَّ القرآن الكريم هو من كلام الله (جلَّ وَعَلَا) أم من كلام النبي صلى الله عليه وآله؟!

وبصيغة أُخرى، هل أن القرآن الكريم من إنشاء النبي صلى الله عليه وآله أم من إنشاء الله تبارك وتعالى.

وأما النبي ليس إلا وسيط وأمين على إيصال هذا الكلام إلى البشر.

وهذا التساؤل نفسه أثير حول التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم كما هو الحال في القرآن الكريم.

نعم هناك بعض يزعم إن المتسالم عليه بل الضرورة تقتضي أن القرآن الكريم هو من إنشاء الله تعالى بخلاف التوراة والإنجيل والزبور والصحف فليس من إنشاء الله تعالى بل هي حقائق ومعاني ألقاها الباري تعالى إلى النبي موسى أو عيسى أو إبراهيم أو داود عليهم السلام ثم أنشأوها بكلامهم.

وهذه الدعوى والمقالة مردودة وبعيدة عن الحقيقة، لأنَّ الوصف الجاري في الآيات القرآنية والروايات أن ألفاظ التوراة والإنجيل والزبور

والصحف ـ مع غض النظر عن إن التوراة المتداولة حالياً بين الأيدي أو الإنجيل محرف فهذا بحث آخر ـ هي من إنشاء الله تعالى وكلامه.

وإن الإنجيل في اللغة هو البشارة الملكوتية، والتوراة هي الشريعة وهي مكتوبة في الألواح النازلة على موسىعليه السلام من السماء.

وهذا نحو من التنزل في الكتب السماوية، وهي تنزل ألفاظ منقوشة، والمهم أن ظاهر

الآيات والروايات أنها من إنشاء الله تعالى وكلامه وليس من إنشاء الأنبياءعليهم السلام وهذه حقيقة بغض النظر عن التحريف في النسخ المتداولة عدا النسخ الموروثة من الأنبياءعليهم السلام لدى صاحب العصر والزمان.

والحديث يدور تارةً عن نفس القرآن الكريم وعن نفس الكتب السماوية الأخرى، وتارة أخرى يدور حول مطلق الفيض الإلهي والوحياني من أن ما يبلغه النبيﷺ هل هو عن الله عَزَّ وَجَلَّ مستقيماً وهذا من أعظم أنواع الوحي ومن أعظم رافد وحياني علمي عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

وبكلمة أخرى يقع البحث فيما يتلقاه النبيﷺ أنه هو أكمل أنواع الوحي مما يمكن أن يتنزل، وتارةً يقع الحديث فيما قد تلقاه النبيﷺ أنه تنزل بشكل شفاف لم يتلون بشيء أبداً: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٥.







الفصل الأول

دور الأنبياء عليهم السلام








عصمة الأنبياء في الوحي تلقياً وإبلاغاً

وفي الحقيقة إن العصمة في التبليغ والإبلاغ،هو من المعتقدات الرئيسية عند أغلب المسلمين، ومن هنا نرى ما أثارهُ الكاردينال جان يوس توان والبابا نفسه حول مسألة الحوار الأدياني حيث طرحوا هذا السؤال: من أنه كيف يمكننا أن نفتح حوار مع المسلمين وهم يعتقدون أن ألفاظ القرآن الكريم هو من كلام الله وهو وحياني، أي ليس من تأليف النبي صلى الله عليه وآله بل هو كلام وحياني، لأن النصارى يعتقدون أن التوراة أو الإنجيل اللذان هما العهد القديم والعهد الجديد هما من إنشاء الأنبياء عليهم السلام وليس من إنشاء الله تعالى.

فهم لا يعتقدون بعصمة الأنبياء عليهم السلام إطلاقاً أي لا في التلقي ولا في التبليغ وغيره، بل يقولون أكثر من ذلك من أن الأنبياء ـ والعياذ بالله ـ يكذبون على الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة: الآية ٤١.

سبب الغموض في معرفة النبوة

وإن هناك أسباب متعددة لوقوع أتباع الأديان الأخرى في مقالات مزرية بمقامات الأنبياء وذلك لسوء فهمهم وأحد تلك الأسباب هي سوء فهمهم لحالات الأنبياء وشؤونهم،وإنه لا عصمة لهم لا في أفعالهم ولا في صفاتهم ولا في معتقداتهم فضلاً عن التبليغ والإبلاغ، ومنشأ هذا الاشتباه هو التشابه كما هو الحال في المحكم والمتشابه، فالاشتباه هو في نفس إدراك الإنسان ـ مشتبهاً وغير متشابه ـ والمهم هناك حالات عند الأنبياء مشتبهة ومتشابهة وتسبب الاشتباه، وهذا الاشتباه ـ الذي سوف نخوض فيه ـ سببه الأصلي هو أن الأنبياء ذوي جنبات متعددة مثل قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾[1]، فبشر يوحى إليه هذه جنبة بشرية وجنبة أخرى مترقية عالية بأنه يستطيع سماع الوحي، والفرق بين هاتين الجنبتين أمر مستعصى على الآخرين، فكيف يمكن التوفيق بينهما، ولذلك قالوا: ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيد ﴾[2].

لإن الجنبة البشرية عندهم لا يمكن أن تجتمع مع الجنبة الوحيانية الإلهية: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾[3]،أو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ

(١) سورة هود: الآية ٢٧.
(٢) سورة التغابن: الآية ٦.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٨.

مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُون ﴾[١].

هذا أحد الأسباب الرئيسية التي وقع فيها اليهود والنصارى في وصف الأنبياء بأوصاف طاعنة في عصمتهم من أنهم يكذبون على الله تعالى وإنهم لا يصدقون في كلامهم بمعنى إنهم غير معصومين مطلقاً.

وهذا هو التشابه في أحوال الأنبياء لديهم،وسبب ثانٍ لديهم هو أن ترك الأولى عند الأنبياء كما هو تفسيره لدى منهج أهل البيت عليهم السلام وعلماء الإمامية في ما يوهم مخالفة الأنبياء للأوامر الإلهية، من قبيل: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[٢]، ومن قبيل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[٣]، ومن قبيل قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين ﴾ وكذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين ﴾[٤]، وغير ذلك من الموارد العديدة التي ذكرها القرآن الكريم.

فهذه الموارد تعتبر عند النصارى واليهود أنها مخالفات عصيانية تمردية أو خيانات من الأنبياء إلى برنامج السماء، لإن كل مخالفة عندهم معصية وهي خيانة.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩.
(٢) سورة طه: الآية ١٢١.
(٣) سورة هود: الآية ٤٦.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

عصمة الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام

وهناك جملة أخرى من حالات الأنبياء عليهم السلام التي استعصت على اليهود والنصارى بل وتستعصي على جملة من علماء المذاهب الإسلامية الأخرى،وهذا ما نراه جلياً في إحتجاجات الإمام الرضا عليه السلام في جلسة حوار الأديان والمذاهب بمشاركة واسعة التي عقدها المأمون، فنلاحظ أن الإمام الرضا عليه السلام بيّن عصمة الأنبياء بكمال الدقة والمتانة والاستدلال والبرهان، بينما علماء المذاهب الأخرى كانوا يصرون على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام(١).

في حين المذهب الوحيد الذي يصر على عصمة الأنبياء عليهم السلام هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، فنحن نصف يعقوب ويوسف وعيسى والأسباط بل جميع الأنبياء نصفهم بالعصمة المطلقة والاستقامة.

وهذا تبعاً لمتواتر روايات أهل البيت عليهم السلام وتبيانهم لمحكمات تعاليم القرآن، فإن أهل البيت عليهم السلام ينزهون ويعظمون أنبياء الأمم السابقة والديانات السماوية الأخرى أكثر من علماء تلك الأمم.

وهذا ما أشار إليه السيّد عبد الحسين شرف الدين في كتاباته حتى أفاق الشيخ شلتوت من نومته وكثير من علماء النصارى، فلا يوجد مذهب على وجه الأرض يدافع بهذا المستوى والنمط عن عصمة الأنبياء عليهم السلام، وهو الذي يحمل راية وحدة الأنبياء عليهم السلام، وإن كل الأنبياء بعثوا بدين واحد وهو الإسلام ولكن الاختلاف في تعدد الشرائع، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

(١) الاحتجاج، المجلد ٢، ١٥٨.

وَمِنْهَاجًا ﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾[(٢)]، فهناك فرقٌ دائرة الدين ودائرة الشرائع ودائرة المنهاج ودائرة الملة.

فوصف الأنبياء بالعصمة والسداد والصدق والأمانة لا تجده بشكل كامل عند غير مذهب أهل البيت عليهم السلام، بل هناك بعض علماء المذاهب الإسلامية الأُخرى ربما يقولون بإمكانية عدم العصمة حتّى في التبليغ، وقد أستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[(٣)].

وزعموا أن معنى الآية أن هناك احتمال إمكانية للشيطان إما على مرحلة ما يتلقاه النبي صلى الله عليه وآله من الله تعالى، أو مرحلة إبلاغ النبي صلى الله عليه وآله فيما يتلقاه من السماء، وإن كان المتأخرون المعاصرون منهم الآن يرفضون ذلك ولكن المتقدمين منهم يشيرون إلى ذلك مع أن القرآن ينفي ذلك بشكل قاطع: ﴿ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُون* إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُون ﴾[(٤)].

تشييد أهل البيت لأركان الدين

يقول الميرزا النائيني: هناك جملة من المباني الراسخة الشامخة والقواعد الإعتقادية التي لم يبنها في الإسلام إلا أهل البيت عليهم السلام، مثل نفي الجبر

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٣) سورة الحج: الآيي٥٢.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١١١ ـ ١١٢.

والتفويض، ونفي التجسيم، وكذلك عصمة الأنبياء عليهم السلام حيث أن أهل البيت عليهم السلام تشددوا في مثل هذه الأمور الإعتقادية بخلاف غيرهم من المذاهب الإسلامية.

العصمة وعموم المسؤولية

بلْ حتّى العرفاء والصوفية لم يستطيعوا أن يعوا ويهضموا الحكمة وراء إصرار أهل البيت عليهم السلام على عصمة الأنبياء عليهم السلام في كل شيء.

فلو نظرنا إلى أصول الدين من التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد نرى إنها مقترنة بعضها البعض، وهي تعتبر مسؤولية التكليف، فإن أصل النبوة والإمامة والمعاد هي أبواب ومظاهر للتوحيد: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[١]، فلقاء الأمم به تعالى يحصل بوافد رائد هو الإمام.

فنرى كلها تصب في تحميل الإنسان مسؤولية التكليف، وإذا قال قائل أنا موحّد، نعم أنت موحّد ولكنك لم تعتقد بعصمة الأنبياء عليهم السلام وبالتالي سوف تفتح المجال والباب لعدم المسؤولية لأنك لا تعتقد بالحجة البالغة الواصلة للعباد وبالتالي البعد عن الدين.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين العصمة والاجتهاد

ولهذا نجد أن بعض الصحابة لعدم اعترافهم بعصمة النبي صلى الله عليه وآله كانوا يعترضون عليه في بعض الأمور كما سيتضح في جملة من موارد القرآن

(١) سورة الإسراء الآية ٧١.

الكريم، ولهذا نرى في كتب الفقه من المذاهب الأخرى يرون الاجتهاد على النبي صلى الله عليه وآله جائز، حيث يذهبون في علم الكلام وأصول الفقه أن النبي صلى الله عليه وآله يجتهد أي يستنتج إلا أن الكثير منهم يقول ولكن الله يسدده.

ويستدلون على أن الأنبياء عليهم السلام يجتهدون ويستنتجون ويخطأون من بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾(١).

وغير ذلك من موارد العتاب التي يفسرها مذهب الإمامية بترك الأولى، في حين البعض يفسرونها بالإجتهاد الخاطئ للأنبياء ولكن الله سددهم فيها.

إن هذه النظرة سببها عدم فهم حقيقة النبوة، وهكذا مقولة بعض الصحابة في رزية يوم الخميس عندما طلب النبي صلى الله عليه وآله دواة وقلم، قال: إن النبي ليهجر.

فقد روي عن أبن عباس: أشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه يوم الخميس، فقال: **«أئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»** فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا هجر رسول الله(٢). وفي بعضها: **«إنَّ النبي يهجر»**.

وعن أبن عباس رضي الله عنه قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وآله هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده فقال بعضهم أن

---

(١) سورة هود: الآية ٧٦.
(٢) صحيح البخاري ج٤: ٣١.

رسول اللهﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فأختلف أهل البيت وأختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول اللهﷺ قوموا[١].

ومن خلال هذه الرواية يتضح أن الحاضرين عند النبيﷺ انقسموا إلى فريقين، فريق منهم يرد على القائل ـ حسبنا كتاب الله ـ وفريق آخر مع هذا القائل.

وإن قائل هذه العبارة ـ حسبنا كتاب الله ـ بغض النظر عن الدواعي السياسية

والاجتماعية الأخرى تنطوي في مخيلته واعتقاده أنه هو والبقية أعرف وأفهم بكتاب الله من النبيﷺ، هذا على أقل تقدير في مفاد ومعنى هذه العبارة من هذا المتكلم.

القيم معلم إلهي للقرآن

ويعترضون على مدرسة أهل البيتعليهم السلام أنَّها تقول أن القرآن يحتاج إلى قيم، وإنَّما تقول يحتاج إلى قيم على تعليم البشر وفهم ما في القرآن، ويوجد في ذلك عدة آيات تشير إلى هذا المعنى، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ

(١) صحيح البخاري ج٥ :١٣٨.

القيم معلم إلهي للقرآن

الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون ﴾[١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾[٢]. ويتلو أي يُبلّغ : ﴿ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ﴾[٣] ويعلمهم يغاير يتلو آياته: ﴿ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلاَلٍ مُّبِين ﴾[٤]، والحكمة هنا بتمام أطرافها.

و ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّه وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ ﴾.

و ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيم * فِى كِتَابٍ مَّكْنُون * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون ﴾.

و ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾.

و ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

القرآن والحكمة

منهج المعرفة

وهذا نظير ما يقال أن العقل البشري هو المنبع الوحيد للحكمة النظرية فلا يوجد دور لحجية العلوم النقلية في الحكمة النظرية والعملية، وهي مقولة (حسبنا العقل) ولا نحتاج إلى الحكمة من قبل النبي صلى الله عليه وآله، فإذا كان الحال هو

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.
(٣) سورة الجمعة: الآية ٢.
(٤) سورة الجمعة: الآية ٢.

(حسبنا العقل) في الفلسفة أو في الحكمة النظرية والعملية، فلماذا يقررون في تعريف الفلسفة والحكمة البشرية أنها فهم الحقيقة والواقع على قدر وطاقة القدرة البشرية وهل الحقيقة والواقعية تتضيق بقدر ودائرة الطاقة البشرية أم أن الحقيقة والواقعية أوسع من ذلك بما لايتناهى والبشرية على هذا مضطرة إلى هداية السماء في معرفة الحقيقة الواقعية، وعندما نقرر ضرورة الاضطرار إلى هداية السماء لايعني ذلك عدم ضرورة فهم العقل لكن ضرورته لاتعني انفراده ولا استغناؤه عن الوحي.

كلا وإنما الكلام هو في المنهج الأمثل من البحث العقلي الذي لا بد منه، في مقابل البحث العقلي المنغلق على القدرة البشرية وهو أن نقول حسبنا عقولنا وليس للبحث النقلي أي دور.

ولماذا نستعرض كلمات العلماء والحكماء الأوائل والأواخر عند البحث، هل للتعبد أم لتوسعة الأفق. وهل الأفق لا يتسع لو استعرضنا الآيات القرآنية كأحد الأقوال، وكذلك أحد الأقوال هي الرواية التي تنسب إلى الإمام الصادق عليه السلام كهذه الروايات التي تنسب إلى أرسطو أو إلى أفلاطون أو إلى هيكل أو ديكارت أو كانتْ وغيرهم مع فارق كبير أن هؤلاء بشر بقدرات محدودة بخلاف ما ينسب إلى الوحي فانه أفق لامحدود وان لم يكن التعاطي معه تصديقي بل تصوري محض.

فلا تنظر إلى من تنسب ولكن أنظر إلى مادة البحث. فلماذا هناك عناية بمقولة ومقولات الشرق والغرب أكثر من غيرهم، وليس المنهج أن تلك المقولات لا تفيد بل توصية الكتاب هي الانفتاح على الجميع: ﴿الَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾(١)، وليس لدينا حبس على قول دون قول ولكن لماذا لا نسمع قائل يسمى الباري تعالى في القرآن الكريم، وهذا قد يكون تصوراً لا تصديقاً أي لا تأخذه مأخذ التصديق من دون معرفة دلائله البرهانية، ما المانع في ذلك ؟ ولماذا نرمى بالخطأ العلمي لو ذكرنا آية في بعدها التصوري المؤدي إلى التصديق البرهاني في الإستدلال العقلي ؟.

وإذا كان الفحص في كلمات الفلاسفة من الاشراقيين والمشاء واليونان أو السفسطائيين ليس لأجل التعبد بأقوالهم بل لأجل توسعة أفق التصور كما هو الحال في استعراض كلمات العلماء والحكماء البشريين الأوائل والأواخر سواءاً الكلمات المنسوبة إلى أرسطو أو إلى أفلاطون أو إلى هيكل من فلاسفة الغرب أو ديكارت أو غيرهم بل لاينظر إلى النسبة ومدى درجة صحتها بقدر ماينظر إلى المادة العلمية المتضمنة في الكلام نفسه فالبحث ينصب في تصور المعطية نفسها وإمكان استخراج دلائل تصديقية منه،فإذا كان الحال كذلك في كلمات هؤلاء البشر بهذا المنهج وبهذا اللحاظ فكذلك الفحص في آيات القرآن والروايات المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام لماذا يبتعد الباحث العقلي في المسائل المعرفية عن الفحص في المصادر النقلية لأجل الوقوف على أفاق تصورية وللتنبه لدلائل تصديقية مطوية في تلك التصورات، بغض النظر عن درجة صحة نسبة الرواية إلى أحد المعصومين عليهم السلام، و لماذا هذا الانحسار عن البحث في المعطيات في المصادر

(١) سورة الزمر: الآية ١٨.

النقلية لاسيما وأن الأبواب والمباحث المذكورة في القرآن والحديث في مسائل الحقيقة والواقعية لم تأت في تصور الجهد البشري في الفلسفة، ونذكرها لا لأنها آية يصدق بها على إجمالها وإبهام المعنى بل للإستدلال العلمي بالمضمون الذي فيها، أو رواية ولو رواية ضعيفة السند على الأقل على حد كونها أحد التصورات أو أحد الاعتراضات، فما هو المانع من ذلك لاسيما أن في البحث العقلي إذا أتي بالتصور أو الإحتمال بطل الإستدلال، فالإحتمالات ذات أهمية بالغة فيكون الفحص في الأدلة النقلية في بعدها العقلي لا أقل لإثراء الإحتمال لنفس الإحتمال الذي هو ذو خطورة في المنهج العقلي.

فهذه المقولة (حسبنا العقل البشري) يعني أن عقلنا يمكن أن يحصي كل صغيرة وكبيرة بنفسه من دون حاجة إلى مدد الوحي، كيف يمكن صياغته كمنهج علمي؟ وذلك لايعني أن العقل يشطب أو ينبذ وهذا إفراط، في مقابل الإفراط القائل حسبنا العقل، ولو كان العقل يكتفي به فلماذا (المشاء) أو (الإشراق) أو (المتعالية) يكتبون في تعريف الحكمة والفلسفة (معرفة الحقيقة والواقع على قدر وسع القدرة البشرية).

فهل الحقيقة تقيد بالطاقة البشرية، وإذا كان كذلك فإن هذا يدلل على أن البشر بأنفسهم لا يستطيعون أن يبلغوا كل الحقيقة بطاقتهم وإلا هذا القيد ما دوره؟

والى هذه الحاجة البشرية يشير قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ ﴾، أن البشر يحتاج إلى الأنبياء والوحي في تعلم الحكمة سواء أنظرياً أو عملياً. وليس هذا إقصاءاً للعقل، فالعقل لا يقصى،فإن مدارية ومركزية حجية العقل في الفهم وكمتعلم لاتتصادم مع حجية القرآن والعترة كمعلم ومنبه ومذكر بالحقيقة والواقعية الحقة المنسية في فطرة العقل والحجية للوحي كمعلم هي حجية العلم والقطع فوق الحجية التعبدية للظن.

﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ والآية تشير إلى أن التزكية أيضاً الى أننا نحن البشر لا نستطيع أن نزكي أنفسنا بإنفرادنا من دون برامج ورعاية وحيانية من النبي صلى الله عليه وآله وسننه بل ولا من دون خلفائه من الأئمة عليهم السلام، وأن المرشد البشري أو أستاذ السير والسلوك لوحده لايمكنه تربية البشر بدرجة كاملة ولا تزكية الإنسان سواء على صعيد التنظير للتزكية أو على صعيد التطبيق والعمل التربوي وإلى هذا يشير قوله صلى الله عليه وآله: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وكمال التزكية هي في الأصل من سنن النبي صلى الله عليه وآله، ففي الحديث: «**إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل**»(١) ومفاده يبين أن العلم الذي يفتقر إليه البشر لايختص بالمعارف حول الحقيقة والواقعية في الرؤية الكونية بل يشمل برامج ونظام التربية الروحية ونظام التقنين والقوانين الإجتماعية والأسرية.

(١) الكافي، ج١ ، ٥٣٨.

فالفريضة العادلة هي إشارة إلى فقه الفروع، والسنة القائمة إشارة إلى تهذيب النفس والأخلاق، والآية المحكمة تعني العقيدة،فهذه خنادق ثلاث إذا أحكمها العالم بالتعلم من مواد الوحي وبفهم العقل لن يقع أسير الجهل والجهالة وسوف يتمكن من حماية الصواب ويرعى حمى الدين.

فتبين أن مقام وشأن النبي صلى الله عليه وآله ليس هو الإبلاغ فقط (يتلو) بل معلم (يبين) و(يعلم) ومربي (يزكي)، وهذا ما أشارت إليه آيات عديدة من الكتاب الكريم كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[2]،وقوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[4].

وجملة من العامة يذهبون إلى أن الأنبياء عليهم السلام يجتهدون ولا يصلون إلى الحقيقة إلا عبر إعمال الفكر سواء أكان إجتهاد بصورة قطعية أو إجتهاد

(١) سورة النحل: الآية ٦٤.
(٢) سورة طه: الآية ١١٤.
(٣) سورة القيامة: الآية ١٦ ـ ١٩.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

بصورة ظنية.

وهذا المعنى ينطوي على أن الوحي النازل إليهم هو مجرد أصوات أو ألفاظ أو معاني، وربما في زعم هؤلاء في أحسن أحوال النبي والأنبياء أنهم مسجل للصوت قوي في الحفظ إن لم يكن مسجل حسي مادي أو جهاز مسجل ملكوتي له قدرة برزخية وهذا هو غاية مقام النبيﷺ، وهذا ما سيأتي الحديث عنه إن شاء الله عند التعرض لتعريف النبوة في كلام المتكلمين.

بل توجد هذه المقالة لدى عدة من متكلمي الخاصة، ولا يهم التعرض إلى من قال بل التركيّز على تحرير نفس المقالة لأنه بحث علمي فهو (ما قيل لا من قال).

ويزعمون أن النبيﷺ عنده استنباط:﴿الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾[1]، والأستنباط معنى عام وخاص ومطلق ومقيد وهذا هو الإستنتاج ومعناه الإجتهاد، والإجتهاد القطعي صورته قطعية وواقعه ظني فقد يخطأ وقد يصيب، نعم هناك فرق بين هذه المقالة وهي أن نقول أن طريق الأنبياء للوصول بالنتائج والحقائق عبر الإستنتاج وإعمال الفكر وبين أن نقول أن النبيﷺ لا يخفى عليه الواقع ولا يرى الواقع من وراء حجاب الفكر وحجاب

المعاني بل هو محيط بالواقع أيضا يُعلم كيف يوصل الآخرين من

---

(١) سورة النساء: آية ٨٣.

خلال أداة الفكر إلى النتائج وهذا بحث آخر وطرح آخر.

بل إن العرفاء لهم مثل هذه النظرة تجاه الأنبياء عليهم السلام، كما هي عند الفلاسفة والمتكلمين فكما أن أدواة العلم لديهم هي الفكر والنظر فالأنبياء عليهم السلام كذلك من أدواة العلم لديهم الرياضة القلبية فكما أن المرتاض يرتاض كي يصل إلى إنفتاح قلبه كذلك الأنبياء عليهم السلام، مثل الكاهن يرتاض فينفتح قلبه فيصل إلى بعض المشاهدات العيانية أو المكاشفات في الخواطر والفكر هم عندهم النبوة هكذا كالرياضة ومن خلالها يصل إلى بعض المشاهدات أو إلى بعض المكاشفات وهلم جراً.

ولا ريب أن هذه النظرية قاصرة عن تصوير حقيقة القرآن الكريم وعن حقيقة تأدية الوحي الرباني الإلهي إلى سائر البشر.

وهل أمانة وصدق الأنبياء عليهم السلام تقتصر في أنهم حافظة صوتية لما يلقى إليهم أو وعاء خواطر ومعان فقط ثم ينزلون به إلى البشر فيبلغوهم من دون تصرف، وهذا التلقي من الأوعية الصوتية ليس بإمكان بقية البشر، وإنما أختص وأمتاز الأنبياء عليهم السلام في ذلك عن غيرهم من البشر لأن عندهم الإمكانية في تلقي الكلام الصوتي الإلهي والوحي الإلهي من طبقة المعاني والخواطر، من المراتب العالية جداً إلى المراتب الدانية.

﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[1]، فتعيها هي وعاء تستقبل ما يتلقى من الكلام

(١) سورة الحاقة: الآية ١٢.

الصوتي الإلهي ثم يتنزل به ويؤديه إلى الآخرين. وهذا الوعاء يوضع فيه شيء ليس إلا، ويملأ فيه شيء ثم يؤدى إلى الآخرين.

وهذا تفسير المتكلمين والمدارس الإسلامية الأخرى، عن صدق وأمانة الأنبياء عليهم السلام وفي مقابل ذلك تفسير مرّ بنا للعرفاء

والصوفية مشابه من أن الأنبياء عليهم السلام يرتاضون فيشاهدون ويفسرون الوحي والكلام الإلهي بتلقي النبي صلى الله عليه وآله أو الأنبياء عليهم السلام ثم بعد ذلك ينزلونه إلى المراتب النازلة وعند ذلك سوف يتلون وينصبغ بالنفس النبوية بمعنى أنه يتأثر بذلك فبالتالي ما ينزل هو بالحقيقة متولد من نفوس الأنبياء عليهم السلام وما يؤدى من الأنبياء عليهم السلام بأنه من فعل الأنبياء عليهم السلام، وأنه من نتاجهم وامتزاج الوحي بتلاوين ذواتهم، في حين نرى القرآن الكريم يجعل تعليم الكتاب كله والحكمة من مسؤولية ووظائف سيد الأنبياء، فكيف يكون المعلم مع المتعلم سيان هذا مما لا يمكن.

أوصاف القرآن اللامحدودة بحد وغير المقدرة بقدر

١ـ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1]،فالتأويل هو أيضاً من مدارج ومن أجزاء أقسام القرآن الكريم، فكما يوصف ألفاظ المصحف الشريف بأنه تنزيل فكذلك هناك في القرآن معاني توصف بأنها تأويل للقرآن، ثم أنه هناك بعض الأوصاف العظيمة للقرآن الكريم وهذه

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

الأقوال في تفسير الوحي لا يستطيع تصوير هذه الأوصاف للقرآن.

٢ـ مثل وصف القرآن باللامتناهي:﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾[1].

فالذي يصور القرآن أنه مجرد هذه الألفاظ أو العلوم في القرآن أو معاني القرآن اللاّمتناهية ولو كان القرآن مجرد أصوات وألفاظ تحفظ في وعاء علوي يتنزل ويوصله النبي صلى الله عليه وآله إلى بقية البشر فأين إذن الشيء اللاّمتناهي:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[2] فلا يستقيم تفسير الوحي بمجرد سماع أصوات أو أدراك معاني في قوة الفكر فإن هذا التصوير لا يقرر اللاتناهي.

٣ ـ ووصف آخر يوصف به القرآن الكريم بأنه حبل ممدود طرف منه عند الناس وطرف عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فعن أبي سعيد الخدري أنه قال:«**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف منه عند الله، وطرف منه في أيديكم، فأستمسكوا به، وعترتي**»[3][1].

---

(١) سورة مريم: الآية ١٠٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٣) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج٢: ٤٧٩، ح: ٨٤١، الغيبة للنعماني: ٣٧، مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ١٦٣، سنن الترمذي ج٥: ٣٢٩، باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، المصنف لأبن أبي شيبة الكوفي ج٧: ١٧٦، مسند أبي يعلي الموصلي ج٢: ٢٩٨.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«قد خلّفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهما الثقلان: كتاب الله الثقل الأكبر حبل ممدود من السماء إلى الأرض سبب بأيديكم وسبب بيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فلا تقدموهم فتمرقوا ولا تأخذوا من غيرهم فتعطبوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»**[٢].

فوصفه بأنه حقيقة ممتدة من عند الله تعالى في غيوب الغيب متصلة تنزلاً إلى الأرض فكيف ينسجم هذا الوصف لحقيقة القرآن مع دعوى كونه مجرد ألفاظ صوتية أو معاني ومفاهيم في الفكر والخواطر.

ومن خلال هذا يتضح أن القرآن الكريم حقيقة عينية ذات مدارج تكوينية في العوالم،مدارجها

العلوية الملكوتية عند الحضرة الإلهية، فالطرف الذي عند الله عَزَّ وَجَلَّ يعني فوق البرزخ وفوق الملكوت عند الله، وإذا كانت حقيقة القرآن بهذا النمط فلابد أن يتصور ويفسر الوحي بنمط يتلائم مع حقيقة القرآن ولايقتصر على كونه سماعاً ملكوتياً لأصوات أو مكاشفة معاني أو مشاهدة قلبية.

---

(١) وأسند الزمخشري إلى النبي صلى الله عليه وآله: فاطمة مهجة قلبي وأبناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربي، حبل ممدود بينه وبين خلقه من أعتصم به نجى ومن تخلف عنه هوى، الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي ج٢: ٣٢، البحار ج٤٧: ١٨٧، صلة الرحم وقصة ملكين من بني أسرائيل.

(٢) البحار ج٣: ٦٥، باب (١٨) في ذكر ما كان من حيرة الناس...

٤ ـ ومن أوصاف القرآن الكريم ما ورد في الكتاب الكريم: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(١).

وأحد منازل ومقامات القرآن الكريم هو الكتاب المبين، وفيه كل شيء مستطر، وقد وردت كلمة (الكتاب المبين) في عدة آيات:

منها: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٢). ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، السماء الأولى، أو الثانية أو الثالثة أو الفضاء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

أما الآية الأخرى في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٣). فكل دابة رزقها وتقديرها وحياتها وبرنامجها الكوني كل ذلك في كتاب مبين.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٤)، أي كل غائبة مستقبلية طبعاً.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.
(٢) سورة يونس: الآية ٦١.
(٣) سورة هود: الآية ٦.
(٤) سورة النمل: الآية ٧٥.

مُّبَارَكَةٍ ﴾[(١)].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين ﴾[(٢)].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين ﴾[(٣)].

إذن القرآن الكريم يستوعب عوالم لا أنه يستوعب مجرد عالم الدنيا، بل له تلك السعة المترامية التي ليس من شأن قدرة المخلوق بحيث كل ما في عالم الأرض وعوالم الخلقة من الذرة إلى الجرة، ماضيها ومستقبلها.

كل عالم الخلقة السفلي وبلحاظ عالم النور كلها عوالم كعالم الأرواح وعالم الأبدان وعالم البرزخ، القرآن الكريم يهيمن على هذه العوالم بل حتى عالم الآخرة لأنه يعلم مستقر كل دابة هل تستقر في الجنان أو في النيران أو في أي مكان، فالقرآن الكريم محيط بكل تلك العوالم: ﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾[(٤)] فلا يقتصر على عالم الدنيا فقط.

وهذه سمات وصفات القرآن الكريم، وهـذا مـا يخفى على من يتخيل أن القرآن متلون بالتاريخ وممتزج ببيئة زمانية واجتماعية خاصة بالجزيرة العربية بل ليس في قدرة هذا التخيل والقول تصوير

إستيعاب القرآن للنشأة الأرضية مع أن القرآن له نشئات ونشئات

(١) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٣.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٠.
(٣) سورة يوسف: الآية ١ ـ ٢.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٥٨.

وعوالم إلى ما شاء الله، كل هذه النشئات محتفظ بها ومحيط بها القرآن الكريم. وأين هذا الشأن من التصوير الأول للوحي بأنه مجرد أصوات أو معاني أو إمتزاج مع الطبيعة النفسانية لذات النبيﷺ، التصوير الأول للوحي لم يكن إلا لقلقة لسان وأصوات وألفاظ أو معاني فكرية في الخاطر أو أحوال نفسانية من المشاهدات.

٥ ـ ومن أوصاف ومنازل ومقامات القرآن الكريم هو أم الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١]. وبإعتراف جل المفسرين لا كلهم، فمثل الطبري يقول في تفسيره أن أم الكتاب هي أصل القرآن الكريم، حيث يقول هي أصل الكتاب[٢].

بل إن أصل القرآن هو فوق أم الكتاب كما في روايات أهل البيتعليهم السلام، فكل قضاء وقدر مستطر في أحد منازل القرآن الكريم وكيف ينسجم هذا مع كون القرآن مجرد أصوات تسمع وتوضع في وعاء وعلبة حافظة تنزل على البشر، والصوفية والعرفاء حاولوا أن يبينوا أن الأنبياءعليهم السلام يحيطون أو يستوعبون ما يوحى إليهم وأنهم يتكاملون بما يوحى إليهم ويتحدون وجودياً بما يوحى إليهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من تصوير سلامة ـ وهو مايعبر عنه بالصدق والأمانة ـ وشفافية الوحي من التلون والامتزاج بقناة الوحي وهي النبوة، كما لم يصوروا الإحاطة التامة من النبيﷺ بما يوحى إليه.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٢) جامع البيان ج٣: ٢٣١.

نشوء الفرق الصوفية

فإن هذه الفرق نشأت في القرن الثالث أو الرابع وما بعده من إمتداد الفرق الباطنية الشيعية، فإن كل الفرق الصوفية حتى الفرقة الوحيدة منها التي تدعي أنها متصلة بأبي بكر بخلاف جميع فرقها فإنها تزعم الاتصال بأئمة أهل البيت عليهم السلام في هي ناشئة من الفرق الباطنية الشيعية، ومن ثم فإن إصطلاحاتهم وقواعدهم وتأويلاتهم كلها مأخوذة من الفرق الباطنية الشيعية، وقد اعترفت عدة من الكتب في مناهج الملل والنحل بذلك.

والمهم أن الصوفية أرادوا في أصولهم أن يصوروا أن النبي صلى الله عليه وآله يتكامل ويفيض على الآخرين بما يوحى إليه بدرجة لا يحيط بها غيره، يعني لا يحيط بها غيره من الأفراد النازلين، وهذه جهة إيجابية في تفسيرهم للوحي النبوي من أن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ويعرفون بما يوحى إليهم وهذه الجهة الإيجابية مفقودة في القول الأول.

نظريتا المتكلمين والعرفاء في الوحي

يتضح من خلال ما مَرّ أن هناك نظريتين:

النظرية الأولى: وهي أن الرسل (صلوات الله عليهم) في جانب أمانتهم وصدقهم هم وعاء حافظ لما ينقل إليهم من الوحي صوتا ومعنى ويحفظون ما يلقى إليهم من درجات العوالم العالية وينزلون بما يوحى إليهم إلى عموم البشر.

وهذا القول كما مر فيه نقطة إيجابية وفية نقاط سلبية، أما الإيجابية فهي المحافظة على الصدق والأمانة من الأنبياء عليهم السلام لما يتلقونه من الوحي إلى سائر البشر.

وأما النقاط السلبية أنها تجعل الأنبياء عليهم السلام وعاء صوتي ناقل أو قناة وسيطة لتلقي الوحي الصوتي وتأديته إلى عموم البشر من دون أن يكون هناك تصوير لبقية أنواع الوحي مما هو ليس بصوت ولامجرد معان ولاتصوير لوعي الأنبياء عليهم السلام وإحاطتهم معرفة بعموم وعمق ولا تناهي ما يوحى إليهم ولا سيما في شأن سيد الرسل صلى الله عليه وآله وإحاطته بالقرآن الموصوف باللاتناهي الأوصاف التي ذكرها كتاب الله من: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أو: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾، وغير هذه من الأوصاف اللامحدودة التي ذكرها القرآن الكريم تبين أن بحور معرفة وعلوم القرآن الكريم لا تتناهى، فإذا كان القرآن الكريم بهذا الوصف فكيف يتلائم تصوير تأدية هذا القرآن العظيم إلى البشر وتحمل سيد الأنبياء بمجرد كونه وعاء صوتي وحافظ لمقدار محدود من معاني القرآن، بل ربما يعبر بعضهم أن الأذن

البرزخية أو الأذن الملكوتية للنبي صلى الله عليه وآله تسمع وتتلقى ما لا يسمعه كثير من البشر ثم بشرف وعاء تلك الذات الشريفة يتم نقل ما تتلقاه وتعيه إلى سائر البشر، وكيف يمكن تصوير ذلك إذا كانت طبيعة القرآن الكريم

طبيعة غير نافدة يعني لا تنفد ولا تحد ولا تنضب، وإذا كان القرآن الكريم حبلا ممدودا من عند الله وطرف منه عنده عَزَّ وَجَلَّ والطرف الآخر عند الناس فكيف يمكن تصويره بأنه مجرد أصوات يعيها الوعاء الحافظ النبوي ويتنزل بها ويؤديها إلى البشر، فلا ريب أن هذه النظرية قاصرة عن تصوير حقيقة الوحي بالقرآن الكريم وعن حقيقة تأدية الوحي الرباني إلى سائر البشر.

النظرية الثانية: وهي نظرية العرفاء أو الصوفية من أن الوعاء النبوي يتكامل ويتحد بحقائق ما يوحى إليه ثم ينتج عن ذلك التكامل تأدية النبي صلى الله عليه وآله أو الأنبياء عليهم السلام بما تكاملوا به ووصل إليهم إلى بقية البشر.

وهذه النظرية وإن كان فيها إلى حدٍ ما تصوير معرفة الأنبياء عليهم السلام ومعرفة سيد الرسل صلى الله عليه وآله بعمق ما يوحى إليه وأحاطته بذلك ومن ثم تتلافى بعض السلبيات في النظرية السابقة، ولكن تقع في سلبيات حاولت النظرية الأولى تفاديها.

الفرق بين النظريتين

إن النظرية الثانية لم تستطع أن تصور لنا كيف يمكن مراعاة بقاء الوحي وما يوحى سالما عن التغيير والتبديل وهو مايعبر عنه بالصدق والأمانة وأن ما يؤديه الأنبياء عليهم السلام هو عين ما قد يتلقوه، مضافاً إلى ذلك أنها لا تصوير فيها لكيفية إستيعاب اللاتناهي واللانفاد والأستمرار في الاتصال بالغيب وبحقائق موصوفة بأنها لا متناهية ولا تحد بحد.

ومن هنا فإن إيجابيات النظرية الأولى هي سلبية في المقابل من النظرية

الثانية فهم أي أصحاب النظرية الثانية لا يقررون أن ما يتنزل به الأنبياء عليهم السلام ويوصلونه إلى البشر أنه هو كلام الله ومن الوحي، كيف وهو يخالطه تصوير أو تصرف أو تغيير من قناة الوحي من قلب وروح ونفس النبي صلى الله عليه وآله.

نعم كون الأنبياء عليهم السلام يعلمون ويعرفون بما يوحى إليهم جهة إيجابية في هذه النظرية الثانية وتفقدها الأولى.

أما الجهة السلبية الموجودة في الثانية عكسها المقابل موجود في الأولى، مع أنهم أرادوا أن يتفادوا السلبيات الموجودة في النظرية الأولى إلا أنهم لم يستطيعوا أن يتجنبوا جميع السلبيات الموجودة عندهم، ولم يقرروا تصوير أن الوعاء النبوي له قابلية أن يستوعب هذه الصفات القرآنية من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ...﴾ أو: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ أو: ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ...﴾.

التصوير الأوفق

من كل ما تقدم قد تقرر محاولة وليست هي آخر المحاولات من محاولات الاستنباط من الآيات مفتوحة وليست مغلقة نحاول أن نتبادل فيها السلبيات بالإيجابيات، ومن ثم نجمع الإيجابيات بقدر الإمكان، وليس هذا عين اليقين وحق اليقين وإنما هو جهد إستنباطي مفتوح للبحث والدراسة.

وقبل الخوض في هذا البحث لابدَّ أن نقدم عدة مقدمات كي نقرب بعض التصور حول إبلاغ الأنبياء عليهم السلام ودورهم الوساطي في الوحي.

المقدمة الأولى: أقسام الوحي:

إن الآيات والروايات قد أشارت إلى أن الوحي هو ذو أقسام عديدة جداً، ولم يذكرها أو يتطرق إليها المتكلمون، ولم يشيروا إليها من خلال إستنباط الآيات، ولعل السبب في ذلك هو قلة فحصهم في روايات أهل البيت عليهم السلام، وعدم سبرهم لرواياتهم غوراً وتدبراً وتحليلاً وتنظيراً لمنظومة معانيها ضمن نظام مترابط متناسق، ولا زالت الروايات تشير إلى إشارات وبراهين لم تأت في كلام البشر، وتنبه على علم ومعلومات وحقائق وبراهين في الآيات القرآنية لم تأت لدى المفسرين في كلامهم.

إن هناك روايات في أصول الكافي أشارت إلى أن الوحي له أقسام عديدة جداً وليس كما ظنها المتكلمون أو ظنها جملة من المفسرين،وقد روى الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام بيانّ فيه أقسام الوحي:

عن علي عليه السلام يقول وقد سأله رجل عما أشتبه عليه من الآيات:

فأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾،ما ينبغي لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، وليس بكائن إلا من وراء حجاب أو يرسل رسولاً

فيوحى إليه بأذنه ما يشاء كذلك قال الله تبارك وتعالى علواً كبيراً قد كان الرسول يوحى إليه من رسل السماء فتبلغ رسل السماء رسل الأرض

وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه من غير أن يرسل الكلام مع رسل أهل السماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل هل رأيت ربك؟ فقال جبرئيل: إن ربي لا يرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أين تأخذ الوحي. فقال: آخذه من أسرافيل، فقال: ومن أين يأخذه أسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين. قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفاً فهذا وحي وهو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرسل، ومنه ما قذفه في قلوبهم، ومنه رؤيا يراها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يُتلى ويقرأ فهو كلام الله فأكتف بما وضعت لك من كلام الله ليس بنحو واحد فإن منه ما تبلغ به رسل السماء رسل الأرض[1].

فقد تعرض عليه السلام لأقسام عديدة من الوحي ومن الكلام الإلهي وقد قسم الوحي إلى ثلاث أقسام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم﴾[2].

هنا يبين أقسام الكلام الإلهي ثلاث أقسام:

الأول: وهو بمعنى الأخص ومن أرفع أنواعه وهو يتضمن أقساماً أيضاً.

الثاني: تكليم من وراء حجاب كما حصل مع النبي موسى عليه السلام.

الثالث: يرسل رسولاً أو ملك من الملائكة فيوحي ما يشاء إليه وهو



(١) نور الثقلين ج٤: ٥٨٨. التوحيد للصدوق: ٢٦٩ ـ ٢٧٠، الاحتجاج للطبرسي ج١: ١٢٧.
(٢) سورة الشورى: الآية ٥١.

أيضاً على أنماط كما مرّ في الحديث.

هذا مضافاً إلى الوحي التسديدي من الله تعالى والوحي التأييدي لدى الأنبياء والمرسلين في كلامهم وأفعالهم،

وهذا كله وحي من الله وكلام من الله، فهذه جملة من أقسام الكلام فكأنما المتكلمون أو المفسرون أو جملة من الخائضين في بحوث المعارف قصروا تركيزهم في الوحي الإلهي على الكلام اللفظي.

أي الكلام بالمعنى الأخص يعني الأصوات والألفاظ. فهل المراد من الكلمة الإلهية أو الكلام الإلهي أو الكتاب هو الأصوات والألفاظ والمعاني فحسب، أم أنه يراد من الكلمة والكلمات والكتاب الإلهي أموراً وحقائق أعظم وأكبر وأعم من ذلك.

ولسنا بصدد إخراج مصداقية الألفاظ أو الأصوات أو المعاني عن ذلك بل في صدد تعميم معنى الكلمة والكلمات والكلام والكتاب بما يعم غير ذلك من الحقائق الأخرى.

عيسى عليه السلام كلمة الله

عيسى عليه السلام كلمة الله:

فمثلاً إطلاق القرآن الكريم على النبي عيسى عليه السلام بأنه كلمة الله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[١]. ومفاد الآيات أن إيجاد ووجود عيسى (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) تكلم من الله، مع أنه ليس كلاماً صوتياً، فنور النبي عيسى عليه السلام وروحه ونفسه وبدنه وما يشتمل عليه وجوده هو كلمة من كلمات الله، وهو تكلم إلهي ولكن ليس تكلم على نمط الأصوات.

وإذا كان النبي عليه السلام بوجوده وروحه وعقله إلى آخر درجات وجوده وبدنه الشريف، وكل تلك الدرجات من ذاته الشريفة يطلق عليها كلمة الله فهل هذا الأستعمال إستعمال مجازي للقرآن الكريم أم أنه إستعمال حقيقي؟

ولا ريب أن النبي عيسى (على نبينا وعلى آله وعليه السلام) كان خلقه ومجيئه وبعثته معجزة إلهية، حيث إنه ولد من غير أب، وأوتي الكتاب والحكمة صبياً، ونطق في المهد صبياً، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله وغيرها من المعاجز التي ظهرت على يده عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِين * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١].

وإن هذا دال على عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يعجزه شيء، ومن ثم فإن في كلمة الله هذه في الحقيقة دلالة برهانية وحقيقية. وبالتالي فإن لوجود النبي عيسى عليه السلام دلالات عديدة وعظيمة على عظمة الصفات الإلهية وعلى شؤون إلهية عظيمة.

وهذا الأعجاز من الله عَزَّ وَجَلَّ للنبي عيسى عليه السلام ودلالة هذا الموجود الذي أوجده الله عَزَّ وَجَلَّ نحو تكلم من الله مع البشر، مع الجن، مع الإنس، مع بقية المخلوقات، ومع مخاطبين آخرين دلهم هذا التخاطب وهذا التكلم وهذا الإيجاد والموجود لهم على شؤون إلهية عظيمة وعلى معاني وأسرار إلهية عظيمة أيضاً، بل هو حقيقة نوع من نصب الله عَزَّ وَجَلَّ دلالة منه للبشر ولذوي العقول من الملائكة ولذوي العقول من البشر ومن الجن ومن الإنس فهو نحو تكلم ونحو إيجاد من الله لذلك الموجود، وذلك الموجود كانت له دلالة تكوينية وإعجازية باهرة وبرهانية نورانية.

فما للكلمة والتكلم والكلام من حقيقة معنى يصدق بحقيقة الصدق وبحقيقة ماله من معنى على إيجاد وموجودية النبي عيسى عليه السلام، ومن ثم قوله تعالى عيسى عليه السلام كلمة الله وإطلاق الكلمة عليه لا يشوبه مجاز لا لغوي ولا معنوي ولا عقلي.

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٦ ـ ٤٩.

مريم عليها السلام والكلمات

في وصف الله عَزَّ وجل لمريم عليها السلام من أنها مصدقة بكلمات ربها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين﴾[1]، فهل الكلمات هنا هي بمعنى الأصوات أو كلمات بمعنى الآيات الكونية الناطقة لا الآفاقية الصامتة؟

لا ريب أنها الآيات الكونية الناطقة من الحجج، وأن الذي يصدق ويكذب هو الذي يدعي الدعوى وله إخبار أو إنذار وما شابه ذلك.أما الآيات الكونية في السموات فليس من شأنها التصديق والتكذيب بل شأنها النظر فيها والتدبر أو الإعراض عنها ففي آيات عديدة ذكرت إعراض البشر عن آيات السماء كقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُون﴾[2]، وقوله تعالى:﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِين﴾[3]، فقد تتدبر في آياته عَزَّ وَجَلَّ أو تعرض عنها، ولا يقال تصدق أو تكذبها ولكن الذي له دعوة هم حجج الله الناطقين عن الله عَزَّ وَجَلَّ أولئك يصدقون أو يكذبون.

فهنا إستعمال آخر حيث أن التصديق بكلمات الله أي بحجج الله الناطقة وهم أنفسهم كلمات الله لأنهم موصلون لأمر الله، وهذا الكلام

---

(١) سورة التحريم: الآيية ١٢.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٤.

ليس من نمط أصوات وألفاظ ومعاني، وإنما هو من نمط آخر ومن ثم: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ﴾[1]،يعني تمت كلمات ربك صدقاً أي الحجج الناطقة عن الله عَزَّ وَجَلَّ، وعدلاً لأن هؤلاء الحجج الناطقة تقام وتقيم العدل وهذه صفة ثانية بعد صفة الصدق، فصادقة فيما تنطق عن الله، وعادلة لأنها تقيم العدل.

ولا غرو أن كل إمام عندما يولد يقرأ هذه الآية المباركة، وهذا مورد آخر يبين فيه القرآن الكريم أن الكلمات هم حجج الله الناطقين عن الله عَزَّ وَجَلَّ ويصفهم بأنهم صادقون بما ينطقون عنه، وأنهم يقيمون العدل الإلهي، فأين مقام الصوت واللفظ والمعاني من هذه الكلمات الصادقة والعادلة.

اللغويون والكلمة

هناك نظرية لغوية قديمة تقول بأن الألفاظ لم توضع للمعاني التي هي بمثابة مبادئ لتلك الألفاظ، بل وضعت للغايات، ويقال في التعبير عن هذه النظرية (خذ الغايات وأترك المبادئ).

فإن تعريف الأشياء تارة نعرفها بصورة الشيء أو آليته، وأخرى نعرف الشيء بغاية كماله وهو أعرف تعاريف الشيء وهذا ما يصطلح عليه بالعلة الغائية، ولذلك عرف عند المناطقة أن تعريف الشيء بعلله الأربع أكمل التعاريف، بل التعريف بغايته من أبين وأعرف تعاريف الشيء.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

لأن تعريف الشيء بحقيقته هو بكماله لا بمادته أو ببدايات وجوده. نعم بدأ خلق الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِين * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِين * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين﴾(١)، في حين لو أردنا أن نعرف الإنسان بأنه مدرك عاقل فهذا هو من أبين تعاريف الإنسان.

إذن تعريف الشيء بغايات ونهايات وكمالات وجوده أعظم وأبلغ وأوضح من تعريف الشيء ببدايات تطوره أو أطوار وجوده أو أطوار خلقته، وهذه النظرية ـ خذ الغايات وأترك المبادئ ـ بالغة التأثير في بحوث المعارف وفي علوم التفسير بل بالغة التأثير في علوم عديدة، فإذا أستتمت هذه النظرية فسوف بالتالي تفتح آفاقاً ونوافذاً وأبواباً عديدة لبحوث معرفية كثيرة جداً، فاليد مثلاً تارة يراد منها

هذه اليد الجارحة بينما غايتها أن يبسط صاحبها التصرف بالقدرة، وبالشيء الذي يتصرف به تنبسط وتتجلى فيه القدرة، وإذا كان كذلك فإن ما ورد في القرآن الكريم من نسبة اليد أوالأيدي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ليس معنى ذلك كما يتوهمه المجسمة أو المشبهة من أن الله عَزَّ وَجَلَّ جسم أو له يد كاليد الجارحة كما في أجسام المخلوقات بل يكون المعنى حينئذ شيئاً آخر، وهو أن هناك مخلوقاً من المخلوقات العظيمة المقدسة يظهر الله عَزَّ

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٢ ـ ١٤.

وَجَلَّ فيه وبه القدرة الإلهية في التصرف ويجلي الله فيه بسط التصرف، لا أن ذلك الموضع الذي ظهرت فيه القدرة الإلهية للتصرف هي جزء من الذات الإلهية ـ والعياذ بالله ـ.

جبرئيل يد الله

ولنفترض جبرائيل أو أسرافيل أو عزرائيل، فلو أطلق على أحدهم نعت يد الله يعني أنه من المخلوقات الإلهية المقربة للحضرة الإلهية يظهر الله فيه وبه ويوجد الله فيه مظاهر عظيمة من قدرة التصرف الإلهي، كما كان جبرائيل ينزل العذاب والنقمة الإلهيان على الأمم العاصية المتمردة على الله عَزَّ وَجَلَّ بتوسطه، كما صنع ذلك في قوم لوط: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوط﴾[1]، حيث خسف بهم الأرض وجعل سافلها عاليها: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُود﴾[2].

فهنا يقال عن جبرئيل أنه يد الله لا أنه جزء من ذات الله عَزَّ وَجَلَّ ولكن بمعنى أن جبرئيل موضع من مواضع المخلوقات المقربة التي يظهر الله عَزَّ وَجَلَّ به قدرته في التصرف وهذا الاستعمال على وفق النظرية الغائية من أن الألفاظ وضعت لغايات المعاني ولم توضع للمبادئ والأطوار الأولية الحسية للمعاني وحينئذ يكون لفظ ومعنى يد الله في جبرئيل ليس إستعمالاً مجازاً لغوياً ولا مجازاً عقلياً بل يكون استعمالا حقيقياً. وكذلك في استعمال وتوصيف

(١) سورة هود: الآية ٧٠.
(٢) سورة هود: الآية ٨٢.

جبرئيل يد الله

النبي عيسى عليه السلام بكلمة الله لا يكون إستعمالاً مجازياً لغوياً ولا مجازاً عقلياً بل استعمال حقيقي كما أوضحنا.

العين الإلهية

أيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[١]. فالعين الإلهية في هذه الآية الكريمة ليس هي الجسم البيضاوي الشحمي ـ والعياذ بالله ـ كما ذهب إلى ذلك المجسمة والمشبهة، فإننا إذا نقحنا المعنى الحقيقي للفظة العين وهو الشيء الذي تتم به المراقبة ويتم به الأبصار لا أنه يراد به خصوص العين الشحمية.

ولذلك نلاحظ أن القرآن الكريم يستعمل البصيرة والبصائر والهدى بالكاشف والنور الكاشف والبرهان الساطع، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣]، وغير ذلك من الآيات العديدة التي ذكرت النور.

إذن ما يتم به كشف الحقائق والوقائع والواقعيات بأي درجة كانت يصح صدق معنى العين عليه.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٢٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.



الكتاب والعين الإلهية:

وأيضاً الكتاب الذي يرصد أعمال المخلوقات والعباد سواء كانت صغيرة أو كبيرة كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

فهذا الكتاب أو ذلك اللوح المحفوظ الذي تسجل فيه كل تلك الأمور على وفق هذه النظرية يصح أن يطلق عليه العين وتسمى هذه العين بالعين الإلهية، لا لأنها جزء من الذات الإلهية ـ والعياذ بالله ـ وإنما هو بمعنى أن هناك مخلوقاً شريفاً من المخلوقات المقربة من الله عَزَّ وَجَلَّ يرصد الله عَزَّ وَجَلَّ به كل صغيرة وكبيرة من إعمال العباد ليكون عيناً راصدة عليهم. إذن وظيفة هذا الكتاب هو الرصد والكشف والتسجيل وإثبات المشاهد والأحداث.

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.
(٢) سورة يونس: الآية ٦١.
(٣) سورة هود: الآية ٦.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الشاهد

القرآن الكريم يسمي وينعت سيد أنبيائه بأنه شاهد وهذه أحد أوصاف النبي صلى الله عليه وآله حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾[4].

وغير ذلك من الآيات العديدة التي تنص على أن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته هم الشهداء وكذلك الأنبياء عليهم السلام أيضاً.

وعلى وفق هذا التصوير وهو أن هناك مخلوقاً شريفاً عظيماً يستطر فيه كل شيء من أعمال العباد: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[5]، حيث يسجل فيه كل شيء،وهذا المخلوق يكون عين راصدة إلهية مراقبة لأعمال

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.
(٢) سورة المزمل: الآية ١٥.
(٣) سورة النساء: الآية ٤١.
(٤) سورة الحج: الآية ٧٨.
(٥) سورة يس: الآية ١٢.

البشر، ولكن لا بمعنى أن ذلك المخلوق هو جزء من الذات الإلهية، فتعالى الله عما يقوله المشبهة أو المجسمة.

وهذا أحد الأبحاث المهمة كثمرة لتلك النظرية اللغوية التي تنضج وتتنقح لدفع شبهات المشبهة والمجسمة عبر هذه النظرية اللغوية التي تقول أن الألفاظ وضعت لغايات المعاني وليس لمبادئ الأطوار الحسية وجود المعنى (خذ الغايات وأترك المبادئ) وهكذا غيرها من الألفاظ التي تستخدم في باب المعارف والبحوث المعرفية وفي آيات الذكر الحكيم.

عمل اللغوي والأديب

إن المعروف في العلوم الإنسانية أو اللغوية الأدبية المختلفة والمرتبطة بالألفاظ ودلالاتها هي عدة علوم في ذلك، والمعروف أيضاً أن شأن اللغوي والأديب هو إكتشاف العلاقة بين اللفظ والمعنى، أما كشف حقيقة المعنى فهذا ليس من شأن اللغوي ولا الأديب.

مثلاً لفظة الهلال التي هي (هـ، ل، ا، ل) وضعت إلى انعكاس بسيط من القمر في بداية الشهر القمري، ولكن يا ترى هذا المنزل والموقع الفلكي الفضائي السماوي كم درجة حسابية هو ؟.

وفي أي منزل يمكن أن يكون ؟.

والدرجة على وتيرة واحدة من المحاق أم تختلف بحسب حالات القمر؟.

نسبته مع الشمس والخط الواصل بين الشمس والأرض أو ما يعرف

بالمحاق ما هي ؟.

خروج القمر من تحت الشعاع الذي هو كالهالة للشمس كم درجته؟! زاويته؟!

وغير ذلك من المعلومات التي تبحث في الهلال فلكياً، كل هذا هو ليس من شأن اللغوي بل هو من شأن الفلكي والعالم الفلكي.

مثال آخر في الطب، لفظة السرطان فإنها وضعت لمرض معين لكن حقيقة هذا المرض ما هي، هل تكاثر الخلايا أم نقصانها ؟ أم هو بسبب إرتباك في النظام الخلوي في كل خلية.

إنَّ هذه الشؤون في المعاني لا يقف على حقيقتها وواقعيتها اللغوي أو الأديب، وإنما شأن اللغوي هو مجرد الإلتفات إلى العلاقة بين اللفظ وإجمال المعنى أما غور حقيقة المعنى فهذا مما لا يمكن أن يتدخل فيه اللغوي أو الأديب.

وبعبارة أوضح لتقريب الصورة، لو سئلت اللغوي عن مدينة أو موقع معين لا نعرفه ولم نعرف مكانه، فاللغوي سوف يوصلك أو يدلك إلى هذه المدينة أو الموقع ويقول لك هذا هو الموقع، أما داخل المبنى أو الموقع أو المدينة فلا يمكن معرفته من اللغوي لأنه ليس من شأنه وأنه كم طوله أو عرضه، أو كم طابق هو، أو من أي شيء تم بنائه ماذا يوجد فيه، فهذا ليس من شأنه، فيمكن أن نقول إن شأن اللغوي هو مجرد ساعي بريد يوصلك فقط إلى بداية العنوان الذي تريده لا أكثر.

إذنْ حقائق المعاني وسعتها وأمثالها ونماذجها التي تندرج في ذلك المعنى وما شابه ذلك هي خارجة عن حيطة اللغوي. بمعنى أنَّ اللغوي ليس من شأنه أن يقول، هنا مجاز عقلي، أو هنا نموذج حقيقي للمعنى كما مر في بحث عيسى كلمة الله وغير ذلك.

وهذه النظرية إن تمت وهي تامة فبالتالي سوف يتبين لنا بحوث معرفية وقرآنية عديدة جداً، وبسبب هذا الشأن اللغوي نشأت فرق وآراء سواء في أتباع أمم الأنبياء السابقين أو عندنا في بيئة وعهد الإسلام، وسببها هو الجهل أو الغفلة عن هذه النظرية اللغوية إن صحت التسمية بذلك، ولكن هي كما مرَّ خارجة عن شأن اللغويين.

عالم المعاني منحاز عن عالم الألفاظ

فلو لم تكن هناك ألفاظ ولو لم يكن هناك حوار ثقافي بين أبناء البشر أو أبناء المخلوقات على العموم فهل نتصور أن المعاني لا وجود لها أم لها وجود؟.

وهل أن المعاني ليس لها تقرر يدرك وبناء يفهم أم أن المعاني ووجودها وحقائقها رهين الأصوات والألفاظ؟.

من الواضح في الإجابة:

أن المعاني لها كيانها المستقل ولها بناءها الذاتي المستقل بعيداً عن وضع الألفاظ لها.

والمعاني بما لها من سعة ومعنى لا يمكن أن تكون مقتضبة ومقصورة ومحدودة على ما يفهمه ويدركه اللغوي والأديب فقط.

المصاديق الحقيقية والمصاديق الاعتبارية

ومن خلال كل هذا نستطيع أن نقف أو نلتفت أو ننتبه إلى أمثلة عديدة أعتبرت هي من المصاديق الحقيقية للمعاني في حين هي مصاديق بالحقيقة فرضية للمعنى وليست نماذج كونية تكوينية حقيقية وذلك مثل الأصوات والنقوش اعتبرت من المصاديق الحقيقية لمعنى الكلمة والكلام، في حين أن صدق معنى الكلام والكلمة عليهما متوقف على إعتبار وفرض من واضع اللغة والنقوش فبدونه ذلك الفرض والإعتبار من واضع اللغة لاتندرج الاصوات والنقوش في مصاديق معنى الكلمة والكلام والعكس كذلك حيث أعتبرت مصاديق فرضية للمعنى في حين هي مصاديق حقيقية تكوينية له، ومن ثم فإن عيسى كلمة الله هو أستعمال حقيقي وعقلي وكوني وتكويني.

أمثلة أخرى:

لو أردنا أن نحدد الزوال الذي هو منتصف النهار، فلا بد أن نعرف أولاً ما هو الزوال؟ وكيف يعرف الزوال في الميل الشتوي في مدار الجدي؟!.

وكيف يعرف الزوال في المدار والميل الصيفي في مدار السرطان؟!

وكيف يعرف الزوال في البلدان ذات العرض العريض لأن عرض البلد يزيد على الميل ٥ر٢٣°.

وقد يصل إلى ٤٠ أو ٥٠ أو ٦٠ إلى أن يصل إلى درجة ٩٠. فإن هناك

مناطق لا ينعدم الظل فيها، فقد يكون الظل فيها ذو مستوى واحد، والزيادة والنقيصة شيء ضئيل فيها ولا يحس.

ولذلك ذكروا في جملة من الكتب الفقهية أن الزيادة في الظل بعد نقصانٍ، ليس تعريفاً مطردا بالظل للزوال،بل التعريف الجامع الفلكي هو حركة الظل من جانب لدائرة وخط نصف النهار إلى الجانب الآخر.

إذن لماذا نأخذ هذا التعريف من الفلكي ولم نأخذه من اللغوي؟! وذلك لأن اللغوي لا يعطينا كل أركان وأعماق ماهية المعنى للزوال. لأنه ليس من شؤون وشجون اللغوي.

وكذلك إذا أردنا أن نميز بين الطلوعين في البلدان القريبة من القطب الشمالي كيف نحدد الزوال والغروب إذا كانت الشمس لا تنعدم في الصيف أو على العكس في الشتاء، بل يوجد هناك ليل دائم، فهل يا ترى هناك معنى للظل مع إنعدام النهار المحسوس في موسم الشتاء ومع ذلك توجد دورة يومية.

صلة تكوين الظهور وشؤون المعنى

إذن حيثية شؤون المعنى كأحد الحيثيات في تحديد الظهور إذا أردنا الولوج والغور في شؤون المعنى، لايمكن الوقوف عندها بما قرره وأخترعه اللغويون وإنما هذا هو شأن العلوم المختصة الأخرى الباحثة عن حقيقة تلك المعاني، فتكوين عناصر الظهور في جانب حقايق المعاني قد يتخيل أنه رهين كلمات اللغويون أو العلوم الأدبية أو علوم اللغة وغير ذلك من

العلوم اللسانية وهذا غير صحيح وغير علمي أصلاً، بل ولا من شؤون علم الفقه ولا التفسير، نعم اللغوي دوره وشأنه هو القيام بأصل الدلالة والرابطة والعلاقة بين اللفظ والمعنى لا أكثر.

أما التعرف على هوية المعنى وشؤونه وشجونه وحدوده فهذا خارج عن الشأن اللغوي.

وعندما جعل الله عَزَّ وَجَلَّ النبي عيسى وأمه عليهما السلام آية: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[1]. هو نظيرالأطلاق على النبي عيسى أنه كلمة الله، ويلاحظ أن هناك تقارب شديد بين معنى الكلمة ومعنى الآية وإن كان ثمةإختلاف بين اللفظين، إلا أن معنى الآية يشترك بسبب الإدراك العقلي مع معنى الكلمة.

فالآية ربما تطلق على الدلالات غير الناطقة والدالة على أشياء ورائها، أما الكلمة فلا تطلق إلا على الشيء من النطق الدال على معنى أو على حقيقة، ومن ثم يقال (صدقت بكلمات ربها) الكفار يكذبون بها. لأن الكلمة الناطقة تُكذَّب وتُصدَّق. فالكلمات إذن هي تلك الحجج الإلهية التي لها ناطقية ونطق ولها دعوى إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أما تصدق أو تكذب.

ولا يمكن التوهم أن أطلاق أسم الآية على السموات ليس مجازاً عقلياً ولا مجازاً لغوياً بل حقيقة عقلية خارجة عن شؤون استعمال اللفظ في

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٠.

المعنى وذلك لأن دلالة السموات، ودلالة الكواكب، ودلالة النجوم، ودلالة نظام الخلقة، دلالة في عالم التكوين والكون آية، وهناك آيات عديدة دالة على حكمة الله وقدرة الله وعلم الله، ولا وسوسة في أن معنى الآية ذو عرض عريض وسيع. والجواب أنه كذلك الحال في معنى لفظة الكلمة ومعنى لفظة الآية.

مثال آخر

كلمة الوجه في قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾[1].

إنَّ المجسمة لشبهتهم وشذوذهم يذهبون إلى أن الوجه معناه هو ذلك العضو ذو التقاسيم الخاصة، والحال أن معناه هو الشيء الذي يتجه به فإن الجهة والوجه ومتجه واتجاه، كل هذه الاشتقاقات مأخوذة من مادة واحدة، فإن القبلة التي يتوجه بها إلى الله تسمى قبلة، وتارة تسمى وجه الله بحسب آيات سورة البقرة، وتارة أخرى تسمى الكعبة والمسجد الحرام كما عبرت بذلك في الآية الشريفة، فباعتبار أن الكعبة تستقبل تسمى قبلة، وباعتبار أن الكعبة والقبلة هي التي يتجه بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ تسمى وجه.

قال تعالى: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[2]، فالقرآن هنا يطلق على الكعبة أو على بيت المقدس أنه قبلة التي يتجه بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وتارة أخرى تسمى وجه الله.



---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

إذن الوجه ليس هو ذلك العضو الخاص، وإنما سمي هذا العضو بالوجه باعتبار أن الروح في عوالم أرفع من البدن وإذا أردت أن توجد تماس أو توجد ارتباط مع الإنسان فَلابُدَّ أن يكون الاتجاه إليه باتجاه الوجه، وبالتالي سوف تحدث معنى الاتصال والارتباط مع ذلك الإنسان، فإطلاق الوجه على هذا العضو الخاص أيضاً منشأه ووجهه باعتبار أن هذا هو الجهة والاتجاه الخاص الذي يمكن أن يواجه به الإنسان، وهو معنى عام ووسيع للوجه أو الجهة وليس معناه لأجل أن العضو خاص أو شكله الخاص ولو لم تكن الروح متعلقة بهذا البدن، كما هو الحال الآن في أهل البرزخ يوجد أتصال وأرتباط معهم، وإن حدث درجة من الانفصال بين الروح الخاصة والبدن الخاص، إلا أنه إذا توجه إلى قبور الموتى فإنه يحصل توجه وارتباط مابهم هذا شأن آخر، فلو لاحظنا وأسبرنا هذا البحث في معاني كل الكلمات وكل العناوين فسوف نكتشف التوسع في المعاني،ولا ريب أن المعاني لم تقرر مفاهيمها وذاتياتها في نطاق وجودها الأرضي، فإن المعاني هي شأن من شؤون تكوين الخالق، والمعاني لغة إنسانية مشتركة، بل ليست هي لغة إنسانية بل هناك لغة مشتركة بيننا وبين الجن، وبيننا وبين الملائكة وبيننا وبين كل المخلوقات الموجودة، فإن المشكلة الشاكلة والورقة المستعصية عند الكثير من الباحثين أو حتى عند بعض العرفاء وعند جملة من الصوفيين وبعض الفلاسفة أنهم يقتصرون في المعاني على أنحباسها في الوجدان والوجود الأرضي، والحال أن المعاني أوسع نطاقاً من ذلك، ولاحظ وجود الأرض كم سعتها بالنسبة إلى وجود العالم الكوني وسعته، فكيف

ن ٥٦

يمكن أن تكون المعاني حبيسة للوجود الأرضي، ولماذا لا نتصور حدود المعاني بحدودها الأوسع الأقرب إلى الواقعية ولا سيما في مبحث المعارف والعقيدة وهذا أمر لا يقبل التهاون.

وإذا كان شأن فقه الفروع موضوعه مرتبط بالنشأة الأرضية ـ لو فرضنا ذلك ـ وهناك جملة من الفلاسفة منهم صاحب الميزان يصر على ذلك وإن كان الصواب خلافه، ففي نشأة الآخرة كيف هو الفرد وأحكام الفروع هناك؟ وما هو شأن المعارف؟ فإن المعارف لها سعة بعدد سعة عالم الخلقة فلا يمكن حبسها في النشأة الأرضية.

حتى الآداب والأخلاق ليست هي حبيسة وجودها الأرضي لأن موضوع هو النفس، والنفس ليست حبيسة النشأة الأرضية. وهناك جملة من النظريات بل مفاد الروايات تؤيد وتذكر أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي[1]، ثم بعد ذلك تأتي عوالم أخرى بعدها، ومن ثم فإن علم الأخلاق والآداب وما يرتبط بمنازل النفس وسلوك النفس لا يقتصر على النشأة الأرضية.

فهذه المعاني شمولية وعمومية وعموميتها ذات سعة تشمل عوالم عجيبة وغريبة غير مرئية للحس وما شابه ذلك، فكيف نحدد ونقوقع ونقزم ونضيق من تعبير تلك المعاني التي لها سعة وعرض عريض بعرض وسعة العوالم.

مثال آخر

---

(١) البحار ج٥٨: ١٣٢.

الكلمات التامات

وإذا كان عيسى عليه السلام يصفه القرآن بكلمة الله فإنه ينبهنا ـ القرآن ـ أن الله عَزَّ وَجَلَّ كلمات وليس كلمة، بل كلمات تامات كما قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[1] ثم قال تعالى: ﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ﴾[2] وهذا يدلُّ على أن هناك كلمات تامات هي أرقى وجوداً من النبي عيسى عليه السلام وأعظم منزلة ومرتبة لأنه لم يوصف بكلمة الله التامة.

ولماذا لا تكون حجج الله كلمات، فهم بوجودهم كلمات وهذا ليس بحثاً اعتباريا أو عاطفياً، بل هو إستحقاق حقيقي لقابلية نفس معنى الكلمات، واستحقاق ذاتي بعنوان معنى الكلمة، وكيف لا يستحقون معنى الكلمة والحال أنهم في الدلالة على معاني الشؤون الإلهية نصبها ونصابها وإيصالها إلى خلقه أتم في الدلالة وفي الإبلاغ إلى الخلق من الأصوات، نفس وجود النبي هو يبين قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ ومعاجزه: ﴿ يحي الأكمه ويبرأ الأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه ويصبح طيراً بأذن الله ﴾[3]، كل هذه المعاني تحسها البشر، ولا يزال البشر يعيها ويدركها ويأمن بها ويصدقها، وهي أبلغ من دلالة الأصوات على المعنى، أو من دلالة الأصوات على صفات الله تعالى وعلى شؤونه الله الربوبية العظيمة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) سورة يونس: الآية ٦٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٧ ـ ٤٩.

رمزية الخفاء

إن أولياء الله وحججه هم من جملة المظاهر التكوينية، يقرأون رسائل خاصة من الله عَزَّ وَجَلَّ لا يفطن إليها ولا يعيها غيرهم، وربما يشتد خفائه حتى على جبرائيل نفسه، كما في الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله أن القردة تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك وغمه غماً شديداً ولم يعلم بها جبرئيل حتى أنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ﴾[١]، في الفتنة التي تحدث بعد وفاته وفي بني أمية[٢].

فإن رمزية الخفاء في الوحي قد يخفى ويتخفى ويشتد في الخفاء حتى على الملائكة المقربين في وحي الله مع أنبيائه وأوصيائه، وبعض ما أوحى به الله عَزَّ وَجَلَّ إلى أنبيائه فوق إحساس الكروبيين، وفوق غمائم النور، حتى غمائم النور هي أيضاً حقيقة حيّة شاعرة ملكوتية ولكن مع ذلك لا تستطيع أن تدرك ذلك الوحي الذي كلم الله تعالى به موسى، وهذا مما يدلل على أن الأنبياء لهم قدرة في الاعتلاء في عالم النور والوحي تفوق المقربين من الملائكة كجبرئيل عليه السلام واسرافيل عليه السلام والكروبيين.

ومن باب المثال، بعض الحيوانات تدرك ذبذبات في الكون، وتعلم بوقوع أحداث مستقبلية كالزلازل ونحوها، كما حصل ذلك في حادثة توسونامي في أندونيسيا، حيث ذكرت التقارير الخبرية أن بعض أو جملة



(١) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٢)نور الثقلين ج٣: ١٨١، تفسير علي بن أبراهيم القمي.

من الحيوانات ابتعدت قبل الحادثة عن ذلك المكان، بسبب معرفتها من خلال الذبذبات الموجودة.

كذلك الحال في حاسة الشم الموجودة لدى الكلاب التي يستطيع الكلب من خلالها أن يشم من مئات الكيلومترات.

والهدهد له أيضاً قدرة يستطيع أن يكشف بها عن وجود ذبذبات الماء تحت الأرض من الآبار والعيون، هذه القدرة التي أودعها الله عَزَّ وَجَلَّ في الحيوانات بإدراكات مشمومة أو مسموعة أو مرئية أو محسوسة هي ليست عند البشر، هذا بالنسبة إلى عالم الأرض، أما بالنسبة إلى العوالم الأخرى المعنوية أو الروحية فالأمر يختلف أكثر بكثير وبفارق عظيم: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[1]،ففي حين أن الأنبياء عليهم السلام لهم قدرة إدراك للأشياء والرموز هي تفوق قدرة الملائكة المقربين.

بل لهم قدرة في إدراك الحقائق فوق قدرة الموجودات الغيبية الكثيرة الأخرى.

آدم والملائكة والأسماء

الأسماء في اللغة وخصوصاً عند اللغويين يقصدون من معنى الأسماء الأصوات، بينما القرآن الكريم يشير إلى أنها موجودات حية شاعرة غيبية: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[2]ثم قال: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

(١) سورة ق: الآية ٢٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣١.

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾[1]، فلو كانت أصوات جامدة غير شاعرة،حيث أن نفس الصوت هو شيء جامد غير شاعر،فلماذا يؤتى لها بضمير الجمع للحي الشاعر (عرضهم) وكذا باسم الإشارة للجمع الحي الشاعر (هؤلاء)، وهذا يدلل على أن هذه الأسماء هي موجودات حية شاعرة عاقلة، فالقرآن الكريم يطلق الأسم على الموجود الحي الشاعر العاقل هذا أمر.

وكذا قوله تعالى بضمير الجمع للحي الشاعر العاقل﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

فيطلق القرآن الكريم الأسماء على الموجود الحي الشاعر العاقل الغيبي، والشاهد على كونه غيبيا.

أنه لم يكن في حيطة معرفة الملائكة:﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾، وهذا الغيبي ليس هو في الأرض وإلا لعلمت به الملائكة كملائكة السموات وملائكة الأرض وملائكة الجنان وملائكة النيران، ولكن هذه الأسماء لا وجود لها في الآخرة فضلاً عن الأرض، ولا وجود لها في البرزخ ولا في السموات بل وجودها

في مكان غيبي مكنون في كننٍ عن كل هذه الموجودات وعن كل هذه

(١) سورة البقرة: : الآية ٣٢.

العوالم وإلا لعرفتهم الملائكة.

كما في عالم النور الذي هو فوق عالم الملائكة حسب تقسيمات القرآن الكريم لعوالم الوجود، فلا تظنن أن الاسم صوت، فالصوت ليس أسماً حقيقياً بل هو أسم أعتباري، فإذا قلت الرحمن الذي نتلفظه هو (ر، ح، م، ن) فهذا ليس هو الاسم الإلهي تكوينا حقيقة بل أسم إعتباري، فإن أسم الله ـ الرحمن ـ هو أشرف من هذا الصوت وأعظم وأكبر شأناً وخلقة ودلالة وعظمة وبهاءاً ونوراً.

وبيان القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ... ﴾ إلى نهاية آية ٣٣[١].

يدل على أنه هناك أسماء حية شاعرة عاقلة ناطقة تفوق خلقة جبرائيل وميكائيل وأسرافيل وعزرائيل ومالك ـ خازن النيران ـ ورضوان ـ خازن الجنان ـ وكل ملائكة الآخرة ـ لأنها أسماء إلهية موجودة في السدنة الربوبية وفي الحضرة الربوبية الغيبية، وكما مر هي غيبية عن السموات والأرض وعن جميع الملائكة.

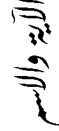
وبذلك يتبين لنا أن قوله تعالى ﴿ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ نمط من الوحي لم يطلع عليه الملائكة ونمط غيبي عن السموات وعن عالم الآخرة، وليس

(١) سورة البقرة: الآية ٣١ ـ ٣٣.

من نمط الصوت والكلام اللفظي فالكلام الوحياتي والأسماء التي أوحاها تعالى لآدم ليس من نمط الأصوات والألفاظ بل من نمط العرض والاستعراض النوري، فهذا نمط من الوحي النبوي وهو يبين تنوع واختلاف أنماط قناة الوحي النبوي.

الآية والاسم

يوجد في القرآن الكريم تقسيم للآيات، حيث توجد آيات كبرى، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾[٢] و﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[٣]، وآيات وسطى وآيات صغرى، حيث وردت لفظة (الآية) في الكتاب الكريم (٨٤) مرة، ولفظة (الآية) وضعت للشيء الدال على ما وراءه أي ما وراء الآية وهو ذي الآية، ومن ثم هذا يفتح الباب للسعة في إطلاق لفظ الاسم فإنه أيضاً هو الشيء الدال على ما وراءه، وإن كان الاسم يقال أنه مشتق من السمو والعلو باعتبار أن العلامة توضع لشيء في موضع عالٍ، فبالتالي هناك أيضاً إرتباط بين العلامة والاسم، فإن المعلم عادة يوضع في مكان عالٍ كي يرى ويشاهد من الكل ليشير على ذي العلامة، وبالتالي يكون هناك إرتباط وثيق بين الاسم والآية، نعم لا أقول أن ليس هناك فوارق لطيفة ظريفة بين هذه



(١) سورة النجم: الآية ١٨.
(٢) سورة طه: الآية ٢٣.
(٣) سورة النازعات: الآية ٢٠.

المعاني والألفاظ. ولكن يوجد هناك أجزاء مشتركة وتقارب كبير جداً.

فإطلاق الاسم ليس منحصراً في الأذهان على الأصوات الملفوظة الدالة على المعنى، بل يطلق إجمالاً على الشيء الدال على المعنى بل المراد منه هو المخلوقات العظيمة الدالة على عظمة الباري وصفاته، وهذا يفتح لنا الباب من أن الأسماء مخلوقات، وأسم المخلوق العظيم أحرى بصدق الأسم الإلهي عليه من الصوت الملفوظ.

وكل هذا البحث هو متولد من القاعدة التي تقول أن الألفاظ موضوعة للغايات لا للمبادئ (خذ الغايات واترك المبادي)، وهذا ما سيفتح لنا الباب على مصراعيه في بحث التوسل.

الأسماء الحسنى

كثير من السلفية وغيرهم يظنون أن المراد من الأسماء التي يدعى بها الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[١]، هي الأصوات مثل صوت الرحمن أو صوت الرحيم أو لفظ صوت الله وهكذا: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٢].

مع أن المراد من الأسماء لا ينحصر بهذه الأصوات التي يخلقها الإنسان من فمه فيدعوا بها، أو ينادي بها ويتجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن (فأدعوه بها)

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

أي فاتجهوا بها إلى الله عَزَّ وجل لأن الدعاء نوع من التوجه والقصد والإلتماس.

فإذا حصرنا تفسير هذه الأسماء بالأصوات فسوف يكون المعنى للآية المتقدمة معنى نازل وعبارة عن نداءه تعالى بلقلقة اللسان، أما إذا فسرنا الأسماء بالمخلوقات العظيمة الدالة بذاتها على عظمة الباري وصفاته فسوف يأخذ الأسم أو بحث التوسل معناً آخر عظيم، سيما التعبير في القرآن الكريم (ولله الأسماء الحسنى) فإن لله في هذه الآية المباركة الملكية والمالكية والاختصاص يعني للذات الإلهية، فالأسماء الحسنى هي مملوكة لله، واللام في (لله) هي ملكية الذات الإلهية، وهذه الأسماء وإن كانت متعددة إلا أن الذات الإلهية هي شيء واحد.

لأن الاسم ليس المراد منه عين المسمى، وإنما المراد منه هو الشيء الدال على المسمى، فالأسماء الحسنى هذه هي مملوكة لله عَزَّ وَجَلَّ فقط، لأنها مخلوقة له ومملوكة لله، ثم قالت الآية (فأدعوه بها) فأدعوه الوسيلة بصيغة ضمير الجمع أما هو (فأدعوه) بضمير المفرد وهي الذات الإلهية الواحدة.

وبالتالي فكل ما يتجه به إلى الباري تعالى وهو الأسم الذي مر تفسيره مع الآية وفسر بالعلامة أو بالجهة يكون أسما، ولذلك أطلق القرآن الكريم لفظة الوجاهة التي هي من مادة معنى الوجه على النبي عيسى عليه السلام: ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[1]، وأطلقه على النبي

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

موسى عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾[١]. فالوجيه هو من يتجه به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

لأنه من المقربين وله قرب وحظوة عند الرب تعالى، وهذا معنى أنه آية وعلامة وسمة وأسم ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ ﴾، وبغض النظر عن مرتبته في الأسماء الإلهية.

فعن هشام أبن الحكم أنه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ فقال: يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضي مألوهاً والأسم غير المسمى، فمن عبد الأسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد أثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟! قال: قلت: زدني قال: لله تسعة وتسعون أسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كلّ إسم منها إلهاً ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز أسم للمأكول، والماء أسم للمشروب، والثوب أسم للملبوس، والنار أسم للمحرق.

أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعدائنا المتخذين مع الله عَزَّ وَجَلَّ غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله به وثبتك يا هشام قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا[٢].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٩.

(٢) الكافي ج١: ١١٤.

إذن هناك مخلوقات يتوسل بها إلى الله هي مقربة وتكون بمثابة الأسم والوجيه والوجه الذي يتجه به إلى الله تعالى، في حين السلفية يعتبرون هذا الصوت المخلوق إذا تدعوا به الله فله دلالة على الباري تعالى لأن هذا الصوت له أسمية، أما مثل عيسى عليه السلام أو الأنبياء أو المقربين أو الأوصياء فأولئك قربهم ودلالتهم أضعف درجة من دلالة هذا الأسم الصوتي الملفوظ.

وهذا غير صحيح في حين نرى الباري تعالى يطلق على مخلوقات كبيرة بأنها آيات كبرى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾، فما هو الكبر في تلك الآيات مع أن معناها العلامة ؟!.

إذن عندما تكون هناك آيات كبرى أي هي في دلالتها على الله بنحو عظيم جداً. فكيف لا يطلق الأسم على تلك الآية الكبرى.

الترادف اللغوي أو العقلي

يوجد هناك ترادف لغوي ولكن البعض ينكره والبعض الآخر يقرره، فمثلاً لفظ أسد وغضنفر وليث وضرغام وأسامة وقسورة وضيغم وسبع، ورئبال وزفر....، ربما يقال له (٨٠) أسماً. وقال أبن قالويه خمسمائة أسم وصفة[1]! فهل هناك ترادف لغوي أم لا ؟.

فقيل بالدقة العقلية أنه لا ترادف لغوي في هذه الألفاظ، لأن كل

---

(١)عالم عجائب الحيوان ج١ : ٢٢.

لفظة تدل على حالة من حالات الأسد وقيل بالدقة العرفية يوجد هناك ترادف لغوي،

والترادف العقلي هو اشتراك معنيين في أجزاء معينة من المعنى بغض النظر عن أنهما كليهما مشتركان في تمام الأجزاء أو في بعض الأجزاء، يعني شبيه إندراج شيئين في نوعية وماهية واحدة، هذه المعية مأخوذة من معية وهوية هذا الشيء ومأخوذة من ماهية وهوية الشيء الآخر، أو من الماهية الجنسية القريبة أو المتوسطة أو البعيدة.

فالجنس ولو البعيد مأخوذ في تعريف الشيء ولكنه مأخوذاً بنحو الإبهام أو الأجمال، أو بنحو الغفلة ولكنه غير منبه عليه. وإذا كان مأخوذا في معنى آخر وبين المعنيين إشتراك في الأجزاء وحينئذ إذا كانت هناك أحكام أو آثار مترتبة على الشيء بلحاظ ذلك الجزء المشترك فسوف تترتب عليه كلها، لأن المفروض أن الآثار المترتبة على ذلك الجزء المشترك لا للهوية الفردية لهذا الشيء، ومترتبة على الجزء المشترك وأن كان جزءاً بعيداً،أو جنساً متوسطاً،أو جنساً قريباً،أوماهية نوعية...،فهناك مراتب عديدة،وحينئذ سوف ينفتح باب يسمى باب الترادف العقلي.

ومن الطبيعي هذا الترادف محله فيما هو مشترك لا بما هو مختلف ومغاير، وآلية أكتشافه يعبرعنه بالصناعة أو بالتحليل والتركيب، وهذا غير صناعة الاستقراء وغير صناعة القياس الأقتراني، إذ البرهان أو الوصول إلى الإستدلال عبر ثلاث طرق:

مثلاً في منطق أرسطو وإن كان هذا البحث أعمق من منطق أرسطو ولكن في عموم المدارس المنطقية طرق البرهان التي تذكر إما عبر القياس الأقتراني للأشكال الأربعة أو الأستقراء التام أو صناعة التحليل والتركيب، فعندما نعرف الإنسان بصناعة التحليل والتركيب نقول هو جوهر جسم حساس أو نام حساس متحرك بالإرادة ناطق، كل هذه المعاني موجودة في معنى لفظة الإنسان، فعندما ندرك معنى لفظ الإنسان سوف ندركها بمعاني خمسة أو عشرة مدمجة مندمجة ملفوظة في معنى واحد.

من الأكيد سوف ندركها بهيئة معنى واحد، وهنا يطرح هذا السؤال كيف أصبحت المعاني العشرة معنى واحداً ؟ فهل يمكن أن يكون الواحد عشرة والعشرة واحد ؟

نعم يمكن فإن العقل لديه القدرة على كبس المعاني ودمجها يصهرها ويصوغها في معنى واحد يفعلها عبر الدمج والتركيب يدمجها ويكبسها ويضغطها في معنى واحد ويقول (الإنسان)، وهذه الكلمة ـ الإنسان ـ إذا أراد العقل أن يحلل معناها الوحداني ويفككه يقول هو جوهر نام حساس متحرك بالإرادة مدرك للكليات وهكذا تصبح معان عديدة وإن كانت بالنظرة الأولية البسيطة واحدة.

الإنسان والمخلوقات الأخرى

إن الكثير من أحكام وآثار طبيعة الحيوان هي موجودة في الإنسان، فإن هناك بحوث طبية كثيرة تجرى في الحيوان ثم تجرى في الإنسان، كما

أستفيد هذا كثيراً عند أختراع بعض الأدوية، فإنها تجرى وتجرب أول وهلة على الحيوان ثم بعد ذلك أعطيت إلى الإنسان.لأنه لوجود أجزاء مشتركة بين طبيعة الحيوان والإنسان.

وأيضاً هناك أجزاء مشتركة بين طبيعة الإنسان والنباتات وهناك كثير من التجارب أجريت في النبات قبل أن يجروها في الإنسان يجروها أول مرة في النباتات، من قبيل الأحماض والإنزيمات أو الخلايا كيف تنمو وغير ذلك.

فإذا نجحت الجراحة في النباتات أجروها على الإنسان، وهذه علوم تجريبية، بل أكثر من ذلك فإن هناك طبيعة مشتركة بين الإنسان والجماد، مثل العناصر الأولية للفلزات أو المعادن كالحديد مثلاً ما هي خواصه فيعرفون خواص هذا المواد في بدن الإنسان، أو أن المادة في الإنسان توصل الكهرباء أم لا وكثير من التجارب، لأنهم شاهدوها في الجماد أو أن المادة عازلة عن الكهرباء، عازلة عن الحرارة، فكذلك يشاهدوها في بدن الإنسان، والسبب أنه بين الجماد والإنسان جهات اشتراك حقيقية فيرتبون عليها آثار في العلوم التجريبية.

الملائكة والإنسان

أيضاً هناك جهات مشتركة بين المَلَك والإنسان، فالعقل موجود في كليهما، فإن الإنسان لديه قوة الفهم ولديه العقل العملي ولديه قلب، إذن حقيقة الملكية أو الملك موجودة في الإنسان، وهذه الحقيقة قد تفتر أوتشتد

كمالا وهذا الأشتراك في الطبايع ليس ببيان شعري أو بيان خيالي أو بيان تمثيلي، والمهم تفسير هذه الظاهرة وسببها التي مرت بنا من أن هناك حقائق مشتركة أو أن هناك أجزاء مشتركة والتي نستطيع أن نسميها بالترادف العقلي أو نسميها بصناعة التحليل والتركيب.

ففي جملة من الآيات القرآنية تشير إلى أن هناك جملة من الأمم السابقة المختلفة والذين يكفرون بأنبيائهم كانوا يطالبونهم ويطالبون الباري تعالى بأن يرسل مع الأنبياء ملائكة من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[1].

ومفاد الآيه أنه لو كانت الحقيقة الملكانية موجودة في الرسول فهي لا تكون بمفردها موجودة بل تكون هناك أجزاء أخرى أيضاً موجودة معها من الحقائق، وذكر العلامة المجلسي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

أن فيها إشارة صريحة إلى أن في الأنبياء من الحقيقة الملكانية. بل ليس الحال يقتصر على الأنبياء فقط بل سائر ذوي العقل واللب من البشر فيهم درجة ودرجات مختلفة من الحقيقة الملكانية كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام من أن الإنسان غرز فيه العقل والشهوة، فإن رجح وسيطر عقله على شهوته كان أفضل من الملائكة، وإن رجحت فيه الشهوة وسيطرت فهو أضل من الحيوانات، لأن الحيوانات شهوة بلا عقل فهوإذن أضل من الحيوانات.

(١) سورة الأنعام: الآية ٦.

ويبين عليه السلام أيضا أن حقيقة البهيمية والغرائزية موجودة في الإنسان، والحقيقة الملكانية أيضاً موجودة في الإنسان،وحينئذ إرادة الإنسان هي سيدة الموقف فإن تغلبت شهوته على عقله فشهوته أشد شهوائية وشراسة من شهوة الحيوانات لأنها تغلبت على العقل، وإن تغلب عقله المزاحم بالشهوات فعقله أقوى من عقل الملك، وهذا البيان ليس بياناً شعرياً أو بياناً نثرياً أو بياناً تخيلياً، بل هذه حقائق من وجود الترادف أو وجود الأجزاء المشتركة في أجزاء الحقيقة وتكشف بتوسط صناعة التحليل وصناعة التركيب.

وهذه صناعة علمية مهمة جداً،فأنك تدرك معنى وحداني للشيء أو للإنسان مثلا ولا تلتفت إلى أن هذا المعنى الوحداني مأخوذ فيه عدة من المعاني هي أصوله الجنسية وأجناسه وأنواعه الفوقية التي بني عليها، من قبيل أن الإنسان حيوان ناطق وكيف يكون هو معنيين إثنين مع أن الإنسان معنى واحد. ولكن بتوسط قدرة وخلاقية العقل يدرك أن الإثنين يساوي الواحد المجموعي، وعشرة أجزائية تساوي معنى واحد مجموعي كما هو الحال في معنى الصلاة (وأقيموا الصلاة) والتي تعني النية والتكبير والقيام والقراءة والركوع والسجود والتشهد والركعة الأولى والركعة الثانية و...، كل هذا المركب الوحداني صار معنى واحد.

ومن أراد أن يخوض في بحث المعارف وبحث الحقائق ويأنف من تحليل المعاني فمن الأفضل له أن لا يخوض في هذه البحوث. لأن بحوث

المعارف والمعاني والحقائق لا بد فيها من تحليل وتفسير وتفكيك وتبيين الترادف العقلي.

والعقل عنده هذه القدرة أي قدرة دمج المتكثرات وكبسها ومزجها في معنى واحد، وهذه البحوث مؤثرة في البحث والمنهج العلمي حتى في فقه الفروع، فإذا أريد البحث عن عنوان معين، فهل يقتصر في البحث عنه باللفظ أم بمرادفاته اللفظية أم لأبُدَّ من البحث والتنقيب في مرادفاته العقلية أيضا بحسب الآثار المترتبة على المعنى فضلاً عن مرادفاته الوجودية وهو نظام أوسع في البحث العلمي.

ولكن كل هذا الذي ذكرناه لايتمّ بدون صناعة التحليل والتركيب وإلا فالأمر يكون صعباً في البحوث كلها، سيما في بحث المعارف. فلا ينبغي لنا أن نحبس الألفاظ والمعاني بالمعاني المتبادرة في الوهلة الأولى أي المعاني بالمبادئ والأمثلة المادية والحسية، بل نترك المبادئ ونأخذ بالغايات من المعاني، وهذا الأمر ليس يجري في بحوث المعارف فقط بل في الأبحاث الفقهية أيضاً فيجب أن يكون بحثاً موزوناً بالموازين وبالقواعد لابالأقتراح ولاهلوسة ذوق بحسب المشتهيات، بل بالموازين وبالقواعد التي ليست هي خصوص الألفاظ ولا مرادفاتها اللفظية بل لا بد من التوسع إلى مرادفاتها العقلية.

فإذا لم تكن لدينا شامة وباصرة عقلية نشم من خلالها الأجزاء العقلية فلا يمكن لنا أن نخوض في المباحث العقلية أو المعارف، ولا تكن

حبيس الحس أو البساطة العفوية في المعاني، وإذا كنت حبيس الحس والبساطة إذن فأسترح في مكانك ولا تخض مع الخائضين، وإذا كان لديك نفس وباع أن تشمشم أو تدرك تلك المعاني فسوف تفككها وتحللها وتفصلها شيئاً فشيء وحينئذ خض مع الخائضين في هذه الأبحاث.

فلا نكونن أسراء الأصوات والألفاظ. فهذا اللفظ غير هذا الصوت بل له صوت أخر وتفعيلة صوتية أخرى.

وفي الحوارات التي تكون بين المؤمنين والسلفيين أو مع أصحاب الفلسفات الغربية ومن يتلبس بلباس الحداثة والتجدد وهلم جراً. التي هي الأثواب الجديدة في الفلسفات الغربية يأتي هذا الاعتراض على منهج التحليل والتركيب في المعاني فتراهم يقفون عند السطح ويقولون هذه أذواق وهلوسة وما شابه ذلك. نعم الهلوسة والتذوق والتشهي ليس بالمنهج الصحيح، وهذا أمر سليم ولكن بينهما أي بين تفريط السطحية وإفراط الهلوسة خيارات منهجية وطرق موازين أخرى.

بل نكون من المدققين أو من المحققين أو من الفاحصين وطريق ثالث ورابع وخامس وهكذا. إن البعض يقول كيف يتم الإستدلال والربط بشيء هو غير مرتبط بالمدعى. أنظر كيف يأتيك بأدلة، وكأن الارتباط بالإستدلال فقط وفقط بأصوات الألفاظ المتشابهة. نعم صوت اللفظ موجود في الدليل وهذا هو الإستدلال المتين والمحكم ولكن إذا كان يضم إليه شيء من التحليل في المعنى فحينئذٍ هل يكون هناك نوع من

التذوق والتشهي والإستدلال الشعري أو التمثيل، كلا. بل في الحقيقة الإستدلال الحقيقي هو التحليلي المنهجي الذي يقفوا ويتبع قوالب المعاني وليس المعاني في السطح الظاهري وإنما المعاني في السطح العميق.

نزهونا عن الربوبية

ومن باب المثال المحقق التستري صاحب قاموس الرجال، قال[١] أن حديث:«**نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولم تبلغوا كنهنا**»[٢]، هو حديث موضوع، ونحن بحثنا بحثاً أستقرائياً يسيراً جداً فوجدنا ثمان طرق لهذا الحديث في حين يقول التستري لا سند ولا مصدر له.

ولو سلمنا أن هذا الحديث غير موجود أصلاً، أليس هناك مرادفات عقلية لهذا الحديث، وليست المرادفات تحصر في المرادفات اللفظية أو اللغوية بل هناك ترادفان أوسع بابا ومفتاحا من الترادف اللفظي اللغوي ألا وهما الترادف العقلي والترادف الوجودي الأرتباطي وهما أعظم في فتح باب الأستدلال والدليل، ومن المرادف العقلي لهذا الحديث هو الحديث الوارد عن جابر بن عبد الله الأنصاري حيث يقول: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلقه الله تعالى ما هو؟. فقال: نور نبيك يا جابر ، خلقه الله ثم خلق منه كل خير[٣].

---

(١)الأوائل للشيخ التستري.
(٢)البحار ج٢٦ / ٢ ح١، مشارق أنوار اليقين: ٦٩.
(٣) تفسير الآلوسي ج١: ٥١، السيرة الحلبية ج١: ٥٠، ينابيع المودة للقندوزي ج١: ٤٥،

وهذا يعني أن الصادر الأول هو النبي صلى الله عليه وآله ثم خلق الله عَزَّ وَجَلَّ الأشياء مشتقة من نور النبي صلى الله عليه وآله.

وهناك قاعدة عقلية مفادها إن المعلول لا يحيط بالعلة ولو كانت علة في وساطة الفيض أي ما به الوجود لا العلة الأولى ما منه الوجود، لأن المعلول متقوم بالعلة، إذن المعلول الذي خلق بتوسط الواسطة في الفيض مهما أراد أن يبلغ كنه علته في الفيض لا يصل إليه، نفس هذا المعنى هو نفس وقولوا فينا ما شئتم عدا الربوبية والإلوهية ـ ولن تبلغوا كنهنا، هو ترادف عقلي وليس ترادفاً لفظياً، فإن الترادف العقلي يحتاج إلى تحقيق وأجتهاد ولا يحتاج إلى كسل وسطحية وسذاجة. بل يحتاج إلى عمق تحليل بقواعد وقوالب فإذا أستطاع الإنسان أن يحلل أكثر فأكثر فسوف يصل إلى أمور كثيرة من المرادفات العقلية فضلاً عن باب الترادف الوجودي.

الاستفاضة المعنوية

إن الأستفاضة المعنوية هي غير التواطيء اللفظي، إن الكثير من الكتاب وله موقعية في العقائد والفكر يقول لا تواتر في الشيء الفلاني، فأي تواتر ينفيه، هل التواتر في اللفظ أم التواتر في المعنى، هب أنه لا تواتر في المعنى موجود، ولا تواتر لفظي ولكن ما هو مقصودك من نفي التواتر المعنوي، يعني أي معنى تنفي تواتره تمام حدود المعنى أو بعض أجزاء

الفجر الصادق لجميل صدقي الزهاوي: ٢٩٥، البحار ج١٥: ٢٤، الباب (١) ح: ٤٣، ج٢٥: ٢٢، ح: ٣٧.

المعنى من أجناسه العديدة الأعلى فالأعلى مما يشترك معه في جزء وجهة من المعاني، أنظر كيف يتسع بحث التواتر المعنوي أو الاستفاضة المعنوية. فهذه قواعد وقوالب في عالم المعنى.

مثال آخر ... الترادف الوجودي

قد يكون هناك ترادف معنوي ولكن لا في جزء ذات المعنى بل قد يكون ترادف معنوي في المعاني الألتزامية. لأن اللوازم دائماً تحيط بالمعنى سواء التلازم المعنوي أو الوجودي، شبيه الشمس والمنظومات الشمسية، وهذا نوع من الترادف للمعنى لا يعرف، فهناك نوع هائل ومهول وكبير من الترادف للمعنى وهو الترادف الوجودي وهو أوسع من الترادف المعنوي العقلي.

إذن أي تواتر معنوي أنت تنفيه. هل تنفي التواتر المعنوي من هذا القبيل.

إنَّ الناظر بنظرة سطحية للروايات والآيات لا يلتفت إلى هذه الأقسام الوسيعة من التواتر، بل الذي يلتفت إليه هو المجتهد لا المحقق فقط، الذي هو مجتهد حقيقة لا أسماً، والمحقق حقيقة لا أسماً.

لأنَّ عالم تفصيل المعاني وترابطه الوجودي عالم كبير ومهم وهو يصب في بحث المنطق وبحث المنهج وبحث الاستدلال ولا ربط له بالأصوات، بل بالمعاني ومنظومة الارتباطات الوجودية. وهي بحوث مهمة حتى في الفقه والفروع، ومفيدة وضرورية ونافعة في التفسير والمعارف والعلوم الدينية وهي مضبوطة بقوالب وقواعد.

أقسام الوحي

هناك أقسام للوحي أشار إليها القرآن الكريم لابدَّ من الأحتفاء بها وهذا الحديث هو في سياق التعرف على حقيقة أبلاغ الوحي للرسل أو لسيد الرسل صلى الله عليه وآله وحقيقة الكتاب الإلهي والكلام الإلهي، ومن تلك الأقسام التي أشار إليها القرآن الكريم ما يلي:

القسم الأول: الوحي:

وهو ما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1].

وهذا القسم فيه نوع من التوسعة ونوع من الإطلاق وعدم التقييد، والوحي هو الإشارة والإلهام والإيماء الخفي للكلام الإلهي[2]، فالوحي بنفسه هو المعنى المرموز، وبعبارة أخرى، الذي دلالته تكون خفية فالدال يكون خفياً والدلالة تكون خفية، فالخفاء في الوحي ليس فقط في الدلالة بل في ذات وجود الشيء الدال على الدلالة. فمثلاً نحن لا ندرك أصوات كثير من الموجودات ثم لو أدركناها لما علمنا هذا الصوت دال على ماذا ؟!.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٢)قال الكسائي: وَحَى إليه بالكلام يحي به وحياً، وأوحى إليه وهو: أن يكلمه بكلام يخفيه عن غيره / تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٢٩٦). والوحي في اللغة: إنما هو ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على شيء من غير أن يفصح به/ غرر الفوائد ودرر القلائد (٢/ ٢٠٥).
وقال الراغب الأصفهاني: فأمر وحي: هو ما يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض. (المفردات في غريب القرآن:٥١٥) وقال أيضاً: الوحي: الكلمة الإلهية تلقى إلى أنبيائه وأوليائه، يقال وحي.

فتارة الخفاء يكون في الدال وأخرى في الدلالة.

إذن للدال على المدلول خفاء كثير ومن هنا فالوحي فيه خفاء في الدال وفيه خفاء في الدلالة.

القسم الثاني: التأييد:

وهو من أقسام الوحي التي ذكرها القرآن الكريم وأشارت إليه بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، حيث قال تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[(١)].

فالتأييد ـ أيضاً ـ هو نمط ومنحى من الوحي، فعن أبي عبد الله عليه السلام: وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطئ في شيء مما يوسوس به الخلق، فتأدب بآداب الله....[(٢)].

وعن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره، فقال: يا مفضل، إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله أنتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والأربعة الأرواح تنام وتغفل

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧.
(٢) لكافي للكليني ج١: ٢٦٦.

وتزهو وتلهو وروح القدس كان يرى به[١].

وعن عمار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما منزلة الأئمة ؟. قال: كمنزلة ذي القرنين وكمنزلة يوشع وكمنزلة آصف صاحب سليمان،قال: بما تحكمون؟ قال: بحكم الله وحكم آل داود وحكم محمد صلى الله عليه وآله ويتلقانا به روح القدس[٢].

ومن الطبيعي أن روح القدس درجات كما في الروايات من أن الإمام عليه السلام إذا ولد أيد بدرجة من روح القدس وإذا تشهد أو سجد وقرأ جملة من الأذكار ضوعف له في روح القدس وإذا مات الإمام الذي قبله ضوعف له في روح القدس أكثر.

ومن باب تقريب الفكرة نذكر هذا المثال، مثلاً الطفل الرضيع لو أتيت له بثدي غير ثدي أمه فإنه لا يرتضع منه ويعرض عنه أما إذا أتيت بثدي أمه فنراه يرتضع منه ويتقبله لأنه يدرك الوجود الخاص للثدي من والعدم، وإلى ذلك يشير الحديث الشريف إن الطفل يولد على فطرة التوحيد يعني يدرك الوجود المطلق من إدراك ذاك الوجود المقيد فيدرك وجود الله المطلق بالوعي والإدراك الذاتي والفطري للباري تعالى، وهذا الأمر موجود حتى في الطفل الصغير، فالعقل النظري يدرك الوجود والعدم وإذا بلغ الصبي درجة التمييز الذي هو العقل العملي يقوم بالتمييز

(١) الكافي للكليني ج١: ٢٧٢.
(٢) المصدر السابق: ٣٩٨.

بين الخير والشر وبين الحسن والقبيح، وهناك درجة زائدة ومزاج وذوق عقلي إذا بلغ الصبي أشده ورشده يزداد في العقل ثم لا يزداد له إلا بمقدار العلم أو العمل ليورث علماً، فإن:

«أعقل الناس أطوعهم لله سبحانه»[١]، **«وأعقل الناس من أطاع العقلاء»**[٢]، **«أعقل الناس أنظرهم في العواقب»**[٣]، وغير ذلك من الأحاديث الشريفة.

فهذه درجات وزيادة في العقل الإنساني بقدر ما يكتسب من درجات وعلم وإدراك وما شابه ذلك، أما في المعصوم فيزاد له في روح القدس بتعبير **«وأيدناه بروح القدس»**.

فإن روح القدس له شأن كبير كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

القسم الثالث: الفطرة:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ يفطر المخلوق على شيء معين فكل بني الإنسان في دائرة البديهيات لهم عصمة في البديبهية سواء البديهيات التي في جانب العلم أو التي في جانب العمل، فبمقدار البديهيات أو اليقينيات أو ماقرب منها الفرد البشري معصوم، أي استثماره في هذه الدائرة، وهناك دوائر أوسع، ودوائر أكثر (قد يخطئ الإنسان فيها وقد يصيب) ولكن في ظل



(١)عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الواسطي: ١١٢.
(٢)المصدر السابق.
(٣)موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ج٧: ٢٩ / ٧٨٨٩.

نفس هذه الدائرة الإنسان معصوم، ولو أفترض عدم إستعصام الإنسان في هذه الدائرة لما أمكن الإنسان أن يستكشف أي شيء أصلاً، فهذه الدائرة فيها عصمة، وهذه العصمة المحدودة في كل أفراد الإنسان وجدت بسبب أيجاد الله تعالى الفطرة في الإنسان: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[1]،وقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3].

أما إذا كانت هذه الفطرة التي هي بدرجة محدودة في بقية أفراد الإنسان إذا أوجدها الباري تعالى في فرد إنساني بنحو وبدرجة واسعة جداً فالمساحات التي نظرية وليست بديهية عند البقية سوف تكون بالنسبة له بديهية. ومن هنا سوف تكون عصمته وسيعة، فما ندركه نحن بتوسط الأدوات النظرية فهو يدركه بتوسط البديهيات.

مثلاً هناك فرق بيننا وبين بعض الحيوانات في بعض دائرة البديهيات، فعند الإنسان بديهيات لا تدركها الحيوانات، ربما تكون مبهمة ومجملة ومحجوبة عنهم، في حين أن دائرة البديهيات التي عندنا تختلف عنها بالنسبة إلى المصطفين بالاصطفاء الإلهي درجات بل فيها بين المصطفين

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٩.
(٢) سورة الروم: الآية ٣٠.
(٣) سورة فاطر: الآية ١.

أنفسهم الحال متفاوت كما في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1].

حيث يوسع الباري لهم الفطرة والبداهة، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، مثلاً الآن علماء الرياضيات بالنسبة للبديهيات الرياضية التي عندهم هي أكثر من عامة الناس.

فالإنسان بتوسط العلوم يدرك أمور بدرجة الضرورة أكثر من بقية الناس لأنه زيد له في العلم، فالضروريات الخاصة الموجودة عند العلماء كالضرورات في الفقه أو في علم الكلام وما شاكل ذلك هي تغاير الضرورات التي عند عامة المسلمين مساحة بل تغاير الضرورات التي عند عامة المؤمنين دائرة، لأنه الفقيه يدرك أمور بتوسط علمه في الفقه بدرجة الضرورات لا يدركه عامة الناس، وكذلك المتكلم أو المفسر أو المحدث.

وهذا الأمر ليس بالمستغرب وليس بالعجيب من أن البديهيات والضروريات تتسع بحسب ما للإنسان من علم. وبالإمكان أن يكون هناك إنسان مفطور على العلم بكل الأشياء.

إنك لعلى خلق عظيم

عن أبي إسحاق النحوي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعته يقول: إن الله عَزَّ وَجَلَّ أدب نبيه على محبته فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ثم

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

فوض إليه فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾، قال: ثم قال وإن نبي الله فوّض إلى علي وائتمنه فسلمتم وجحد الناس فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله عَزَّ وَجَلَّ، ما جعل الله لأحدٍ خيراً في خلاف أمرنا[١].

وفي رواية أخرى عن فضيل ابن يسار قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أدب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عبادهُ، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لا يَزِلُّ ولا يُخطئ في شيءٍ مما يسوس به الخلق، فتأدب بآداب الله...[٢].

وهذا دليل على علم رسول صلى الله عليه وآله لكل محاسن وقبائح الأفعال التي عند الآخرين مجهولة في حين عند رسول الله صلى الله عليه وآله معلومة، سواء كانت هذه الأفعال فعل فردي أو فعل روحي أو بدني أو سياسي أو عسكري أو اقتصادي أو اجتماعي أو أسري، وفي أي صعيد من الأصعدة فإن أفعاله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، بل أفعاله على خلق عظيم حتى مع الملائكة

(١)الكافي ج١: ٢٦٥ ح ١.
(٢)الكافي ج١: ٢٦٦.

والجن، بل حتى مع المرئيات وغير المرئيات.

الآن حتى في العلوم الحديثة تنظم هذه العلوم أخلاقيات معينة مع البيئة، مثلاً بيئة المعادن لا بد أن يكون هناك خلق معين مع هذه البيئة بمعنى أن لا يدمر هذه البيئة، فالغاز ـ مثلاً ـ الذي يرتفع إلى طبقة الغلاف الجوي يجب أن يكون الإنسان له خلق معين حتى مع الثروة الحيوانية لكي لا تباد الحيوانات السميكة بل وحتى النباتية، فإن الإنسان إذا كان مدمراً لكل هذه البيئات فبالتالي سوف تنعدم هذه الدورة في الطبيعة كلها.

إذن خُلق الإنسان لابدَّ له من نظام معين مع كل دورة الطبيعة من جمادات ونباتات ومعادن وحيوانات وليس فقط مع الفرد والمجتمع والأسرة والروح ومن هنا نلاحظ أن خلق الإنسان يتسع ويرتبط ويتصل مع كل ما يحيط به.

فـ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، يعني خلق النبي صلى الله عليه وآله عظيم جداً عند الله عَزَّ وَجَلَّ في كل مجال في تعامله مع الماء أو في تعامله مع الحيوان والتراب والروح والعبادة وفي تعامله مع الله عَزَّ وَجَلَّ وفي تعامله مع الأسرة والمجتمع والزوجة والمرأة والقبيلة والسياسة إلى ما شاء الله من الكائنات والأكوان فإنه باب مفتوح كبير: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

ولذلك يقول الإمام عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، إن هذا برهان وبيان عقلي على صلاحية الرسول صلى الله عليه وآله للتشريع، يعني هو مفطور على محاسن ما يرضي الله عَزَّ وَجَلَّ وعلى الكمال، ولذلك يقول عليه السلام

عندما كمل خلق النبيﷺ نزلت هذه الآية: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾(١) ونزل أيضاً: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(٢).

إذن إبلاغ الرسولﷺ لمراضي الله وموارد سخطه بنفس خلقه العظيم والكريم، ولذلك ورد في رواية عن أحد زوجات النبيﷺ عندما سئلت عن خلق رسول اللهﷺ فقالت: كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه(٣). مع أن ذلك وصف ليوميات وتفاصيل التعايش الخاص لحياته في المنزل.

وهذا أمر بديهي يلمسه كل من يتعايش معهﷺ كأنه لا يرى فرق بين القرآن المتلو والقرآن المجسم أمامه، في حركاته وسكناته، والقرآن كما نعلم

لا يختص بالأوامر والنواهي والحكم وما شابه ذلك، بل يشمل حكم وملاحم وأمثال ومواعظ وأنباءات وبشائر، فتراه ينبأ عن الجنة وعن تفاصيلها وعن النار وعن تفاصيلها وغير ذلك.

ومن هنا فإن الإنسان يلمس منهﷺ تعامل وتعاطي هذا الفعل الخاص وكيف أن له صلة معينة بآثار في عرصات يوم القيامة وكيف أن له صلة بمقامات الدركات في الجنة، وعن أخبار التي في النار، وكيف أن له

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.
(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج٧: ٢٢٢، ح ١٨٧١٨.

صلة بالملائكة والجن، وكيف أن له تداعيات في أمواج المجتمع، وكيف له صلة مع العدو والإنذار منه، وهذه الأبواب كلها مقررة في القرآن الكريم، فخلق النبي صلى الله عليه وآله هو القرآن كل القرآن: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، وهذا نوع من الوحي.

عالم النحل والنمل المعقد:

وقد أستعمل القرآن الكريم مفردة الوحي في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا . . . ﴾[1].

إن نفس هذه الفطرة البالغة في العظمة في النحل من بناء البيوت وكيف تأخذ رحيق الزهور وكيف... هذا النظام بالنسبة للعلوم البشرية يعتبر نظاماً معقداً جداً، ونظاماً مذهلاً ودقيقاً بفارق كبير عن نظام فعل البشر، هذا النظام المذهل ليس موجوداً في النحل صدفة بل فطره الله عليه وكذلك أيضاً نظام وقوانين النمل هكذا وكلاهما من جنس الحشرات، وفي دراسة أجروها عن النمل في كالفورنيا وهي محافظةوليست مدينة ربما يبلغ عدد نسماة خلية نمل ستة عشرة مرة أضعاف أو أكثر من تعداد سكان المدينة، هذه خلية موجودة في هذه المحافظة وتعتبر مدينة كاملة للنمل حيث يوجد فيها كل ما موجود في المدن الطبيعية من شرطة وعمال وخدم

(١) سورة النحل: الآية ٦٨ ـ ٦٩.

وحرس وجنود وملكة وغير ذلك.

فأنتقلت هذه الخلية من جحر إلى جحر رغم المخاطر الموجودة، وفي زمن قياسي معين، بحيث لو أراد الآن علماء الإدارة والتخطيط والهندسة لنقل هذه المحافظة ـ كالفورنيا ـ فقد يحتاج إلى سنين عديدة من التقدم العلمي والأزدهار الحضاري كي يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه الهندسة الإدارية الموجودة في عالم النمل، وهذه أمثلة من الوحي الفطري، ومن ثم فإن هذا الخلق العظيم: (لعلى خلق عظيم)، هو نفسه وحي ولكن من نمط آخر من الوحي، ومن هذا الباب ماورد لدينا كثيراً في أحوال أهل البيتعليهم السلام كيف أنهم يعلمون برضا الله وسخطه بالرضا والسخط الحاصل في نفوسهم الشريفة.

علم الإمام عليه السلام

وقد وردت روايات مفادها قولهمعليهم السلام إذا شئنا علمنا أن الله قد شاء وإذا سخطنا علمنا أن الله قد سخط من سخطنا، وهذا ليس بعجيب أو بعيد، أليس كل ما حكم به العقل حكم به الشرع، طبعاً العقل بحسب دائرة البديهيات لو حكم على أمر أنه حسن فأنه يستكشف منه أن الله حكم بأن هذا أمر حسن بحيث لا يخالجك إرتياب في كون رأي العقل في البديهيات معصوم، ولكن الإنسان والفرد العادي معصوم في دائرة ضيقة بخلاف اولئك الذين اصطفاهم الله وطهرهم فإنهم معصومون في دائرة مفطورة وسيعة، لأنه مقتضى تركيبة الاصطفاء، كما نعتهم القرآن: ﴿إِنَّمَا

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾[١]، وهذه الخلقة الفطرية الطاهرة هي قسم من أقسام الوحي.

فإذا كانوا مطهرون وأبعد عنهم الرجس فلا محالة سوف تكون ميولهم ميول حق ونشأتهم نشأة حق، وإذا شاءوا علموا إن الله قد شاء.

فعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: في صاحب هذا الأمر سنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من يوسف، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله.

فأما من موسى فخائف يترقب، وأما من عيسى فيقال فيه ما (قد) قيل في عيسى، وأما من يوسف فالسجن والغيبة، وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالقيام بسيرته وتبين آثاره ثم يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عَزَّ وَجَلَّ، قلت وكيف يعلم أن الله تعالى قد رضي؟ قال: يلقي الله عَزَّ وَجَلَّ في قلبه الرحمة[٢].

وهذا نوع من الوحي غير التكليم، ويغاير مجيء ملك، ويغاير الوحي بالسماع، ويغاير الكلمة المدونة في ألواح المنزلة. فإن نفس هذه الفطرة المصطفاة هو نمط من أقسام الوحي، وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ و ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٢) أكمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٣٠٨.

عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]، وفي تفسير العياشي عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: إن الله أصطفى آدم ونوحاً فقال: هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين فوضعوا أسماً مكان أسم[٢].

وفي رواية أخرى: وآل محمد فمحوها وتركوا آل إبراهيم وآل عمران[٣].

وفي بعض قراءات التفسير عندهم قراءة أبن عباس (وآل محمد). والمهم هذا الاصطفاء وهذه الصفوة هو نحو من الوحي. وهنا يقول الميرزا القمي: أن الله تعالى إذا عبَد نبيه صلى الله عليه وآله بواسطة إلهام الفطرة من دون نزول وحي من جبرائيل عليه السلام وإتيان كلام وأمتثله، فيقال: إنه أطاع الله جزماً، فإن العقل الفطري فينا في دائرة صغيرة نظير الإلهام فيه صلى الله عليه وآله[٤] في دائرة واسعة بوسع أفق الدين.

فأحد أقسام الوحي الفطرة الإلهية، وهذا ما تبينه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[٤].

وهناك أرتباط وثيق بين أحكام وطبيعة ونظام الفطرة والدين، فإذا كنت تريد أن تعلم الدائرة المركزية في الدين ما هي فأستطلع الفطرة، وفي

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٣.
(٢) تفسير العياشي ج١: ١٦٨.
(٣) المصدر السابق: ١٦٩.
(٤) القوانين للقمي ج٣: ١١.

العصر الراهن كثير من أحكام الفطرة التي يتوصل إليها البشر غير المسلمين وعند أتباع الديانات ما دامت هي أحكام فطرية إذن هي أحكام دينية، لأن الدائرة المركزية في الدين

هي الفطرة (كلما حكم به العقل حكم به الشرع) وهو نظير ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، فكما أننا خلقنا على التمييز، نميز قبح الظلم عن حسن العدل وقبح الكذب عن حسن الصدق وقبح الخيانة وحسن الأمانة والوفاء والإحسان ومكارم الأخلاق، فهذه خطوط عامة وإدراكات أجمالية ندركها ونعلم بأن الشرع أحكامه حتماً على طبق هذه الفطرة. وهذه الفطرة إذا كتب لها أن تكون وسيعة في كل الأفعال الفردية والإجتماعية والسياسية والأدارية والروحية والفكرية وغيرها من المجالات فسوف تصبح ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

القسم الرابع: التسديد أو اللطف:

القسم الرابع من أقسام الوحي هو التسديد أو اللطف كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1]، حيث نزلت في شأن النبي يوسف عليه السلام ولكن في المقابل قال تعالى في شأن أهل البيت عليهم السلام: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

فلو لاحظنا هذا التعبير القرآني والفرق بين (لنصرفه عن السوء) وبين (يصرف السوء عنه) ، ففي التعبير الثاني ـ يصرف السوء عنه ـ يعني أن السوء مقبل على النبي يوسف عليه السلام، وليس أن النبي يوسف عليه السلام مقبل على زليخة وإنما السوء يقبل على يوسف أي (لنصرف عنه السوء)، وهذا نفس التعبير في آية التطهير (ليذهب عنكم الرجس) يعني ليذهب الرجس وليس ليذهبكم عن الرجس، والأذهاب بمعنى الأبعاد، فليس ليبعدكم، وإنما ليبعد الرجس عنكم، فهو ـ الرجس ـ مقبل فيبعده عنكم.

وهذا دليل على أنهم هم في ذواتهم مطهرون، فالباري عَزَّ وَجَلَّ يريد لهم طهارة وعصمة مستمرة واقية عن أن تلبسهم جاهلية المحيط من مدلهمات الدنس والنجس، وكما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: **«لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها»**، لأن البيئة وعوامل الضغط السياسي والعسكري، أسري وتربوي، هذه كلها عوامل ضغط أخرى قد تلبس الإنسان المدلهمات أو قد تنجس الإنسان، فهم عليهم السلام معصومون حتى مع هذه العوامل بتسديد وتأييد رباني، وهذا لا يعني أن الله اصطفاهم بحسب ذواتهم فقط بل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ اصطفاء وتطهير عن المحيط وإصطفاء ثان بإفاضة الكمالات التي تتعالى على صفات الآخرين، أي مرحلة كاملة من الاصطفاء والتطهير، علاوة على المرحلة الذاتية، فنفس الذات مفطورة على الطهارة وعلى العصمة وعلى التسديد، وهناك مرحلة أخرى وهو التسديد والتأييد عن تنجيس الجاهلية أو المدلهمات أو أدلهام المدلهمات من الجاهلية، والروح المسددة لا توحي إلا

للأرواح الطاهرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾.

فالفعل هو الوحي، والمفعول به هو النبي صلى الله عليه وآله والموحي هو الله عَزَّ وَجَلَّ، والموحى هو الروح الأمري وقد يكون الشيء الموحى هو الكلام كما في: ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾[1].

فيكون إيحاء جبرائيل بمثابة من إيحاء الله، وجبرائيل يوحي كلام الله أو معاني

وأصوات وكلمات، ولو دققنا في الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾[2]، فهذا الروح الذي (من أمرنا) ليس هو وسيط يوحي، كلا بل هو بنفسه موحى، ونظير ما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ﴾[3]، أي أوحينا إليك القرآن فالقرآن موحى ومتعلق للوحي أو كما يوحى إليه الكلام.

وكما أوحي إلى أم موسى عدة أوامر إلهية حيث قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[4].

فقد أوحي إلى أم موسى ستة أمور وهذه الستة يعبر عنها بالشيء الموحى، وعلى ضوء ذلك إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا

---

(١) سورة الشورى: الآية ٣.
(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.
(٣) سورة الشورى: الآية ٧.
(٤) سورة االقصص: الآية ٧.

مِّنْ أَمْرِنَا ﴾، نرى أن نفس هذا الشيء الموحى هو ﴿ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾، وهذا قسم من أقسام الوحي، وهو أن تجعل روحاً من عالم الأمر تغرز في روح النبي وذات النبي صلى الله عليه وآله.

وهذه الروح هي الروح الأمري ونفس هذه الروح لها عدة تفسيرات وتعريفات في الآيات القرآنية وتفسيرها، كما في سورة الدخان: ﴿ حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾[١].

القسم الخامس: الروح الأمري إلقاء في الذات المصطفوية:

وفي سورة النحل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾[٢].

وكما في سورة القدر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[٢].

وكما في سورة غافر: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾[٣].

وقد وردت روايات عديدة عن أهل البيت عليهم السلام أن الروح الأمري أعظم من جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وأسرافيل، وليس من جنس الملائكة، فعن أبي بصير أنه سئل الإمام الصادق عليه السلام... قلت: جعلت فداك ليس

---

(١) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٣.
(٢) سورة النحل: الآية ٢.
(٣) سورة القدر: الآية ١.

الروح جبرئيل، فقال: جبرئيل من الملائكة والروح خلق أعظم من الملائكة أليس الله يقول تنزل الملائكة والروح[١].

عظمة جبرئيل وكره اليهود له

هذا مع ما لجبرئيل من العظمة، فهو الذي قلب قرى قوم لوط سافلها عاليها: ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾[٢]، وغير ذلك من العذاب الإلهي نزل على يد جبرئيل، ولهذا ترى أن اليهود تكره جبرئيل: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾[٣].

وقد روي أن أبن صوريا وجماعة من يهود أهل فدك، لما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سألوه... فقال أبن صوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك، وأتبعتك، أي ملك يأتيك بها تنزل الله لك، قال: جبريل، قالوا: ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك...[٤].

وفي رواية أخرى: لأن ميكائيل كان يشد ملكنا، وجبرئيل كان يهلك

---

(١) بصائر الدرجات للصفار: ٤٦٢..
(٢) سورة هود: الآية ٨٢.
(٣) سورة الحجر: الآية ٧٤.
(٤) التبيان للطوسي ج١: ٣٦٤، تفسير الرازي ج٣: ١٩٤.

ملكنا فهو عدونا لذلك[(١)].

فجبرئيل هو مظهر جبروتي ومظهر مددي رحماني لله عَزَّ وَجَلَّ، فإن كلمة جبرئيل مشتقة من جبران أي يجبر ما نزل من العوالم، فإنَّ عالم الجبروت فوق عالم الملكوت وفوق عالم الناسوت، والتجبر من العظمة، ولا يخفى أن أسم جبرئيل يتضمن جملة من صفات الأسماء الإلهية ولذلك يصفه الباري بـ (المكين): ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[(٢)]، والمكين هنا من المكنة والقدرة، مع إضافة ذلك إلى أسم الباري ﴿ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾، يعني المكانة والقدرة التي أعطيت لجبرئيل من هذا الأسم الإلهي الذي هو صاحب العرش وهو الله سبحانه وتعالى.

وكذلك وصف جبرئيل عليه السلام بشديد القوى كما في قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ... ﴾[(٣)]، فإنه ورد في التفسير أن: ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ هو جبرئيل، أي القوي في نفسه وخلقته، و ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أي ذو قوة وشدة في خلقه، وعن الكلبي: ومن قوته أنه أقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء، ثم قلبها، ومن شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا[(٤)].

بل توجد لدينا روايات أن جبرائيل عندما تمثل للنبي محمد صلى الله عليه وآله ملأ ما

---

(١) البحار ج٩: ٢٨٧.
(٢) سورة التكوير: الآية ١٩ ـ ٢١.
(٣) سورة النجم: الآية ٤.
(٤) البحار ج١٦: ٣٠٩، التبيان ج٩: ٢٨٨.

بين المشرق والمغرب وهذا كناية عن أن كل عالم المادة هي محل قدرة وتصرف لجبرئيل عليه السلام.

ومن الطبيعي أن عزرائيل وميكائيل وأسرافيل هم أيضاً كذلك، فهم إذن جنود الله لهم تعلق بكل عالم المادة.

ومن باب تقريب هذا الموضوع، مثلاً يقال الجسم الدنياوي الأصلي في الإنسان هو مادة طاقة بحسب علوم الفيزياء أو علوم الطبيعيات أو علوم الروح الجديدة، فالبدن الطاقي الذي تتعلق به الروح وبتوسط هذا البدن تتصرف هذه الروح في البدن الغليظ، فالبدن الطاقي يكون هو الواسطة بين مراتب الروح وبين البدن الغليظ، وبواسطة الأجهزة الحديثة عرف أن شكل هذا البدن الطاقي كالبخار.

وهذا ما نجده في البحوث الفلسفية والعقلية السابقة، من أنهم شاهدوا من خلال المكاشفات أو بتوسط الأجهزة الحديثة أن بدن الإنسان الدنياوي هو روح بخاري وشكله كشكل السحب أو السحاب الأبيض الغليظ، وهذا البدن يتولد ويفرزه الدم، ولكن هذه الطاقة غير مرئية بأعيننا إلا من خلال الأجهزة الحديثة، أو المكاشفات أو غير ذلك.

وهذا ما يسمى بـ (الأكتوبلازم)[١]، وجبرئيل أيضاً له تعلق بالمواد الطاقية غير المرئية اللطيفة ومن ثم يتعلق بالمادة الغليظة وهذه المواد

(١) وهي المادة التي خلق منها الإنسان حسب هذه المقولة.

والطاقات السابحة في الفضاء الجسماني منتشرة في كل النجوم والكواكب والأرض والمجرات، والعلم لم يكتشفها مع أنها تملأ الشرق والغرب، بل حتى عزرائيل كما في الروايات أن له حضور في كل نقطة من نقاط الأرض، وكذلك أسرافيل وميكائيل، لايقتصر على الأرض فقط بل يشمل الكواكب والمجرات والمنظومات الأخرى وتمام الفضاء السماوي.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام والروح غير الملائكة[١].

ثم إن قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح) يشير إلى أن عروج ونزول الملائكة يتم بتوسط الروح الأمري، وإذا كان نزول الملائكة يتم بتوسط الروح الأمري، والنزول أسهل من العروج، ونزولها بالروح فكيف بعروجها.

إذن العروج والنزول الذي تتمكن به الملائكة في ليلة القدر أو في آن من الآنات أن تعرج الملائكة إليه في يوم كان مقداره كذا هو بالروح الأمري. وهو المشار إليه بعنوان: ﴿ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾، وهو الذي يقول عنه الإمام الصادق عليه السلام: خلق والله أعظم من جبرئيل وميكائيل وقد كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده مع الأئمة من بعده[٢].

وفي رواية أخرى: ملك منذ أنزل الله ذلك الملك لم يصعد إلى السماء كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم[٣]، أو (وأنه فينا)[١]. وقد

(١) البحار ج٢٥: ٦٤، الكافي ج١: ٢٧٤.
(٢) بصائر الدرجات: ٤٧٦.
(٣) المصدر السابق.

أشير إلى ذلك في آية الشورى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ أي الروح الأمري يجعله تعالى نورا يهدي به من تعلقت بهم المشيئة الإلهية أي المصطفين لذلك كما في آية (ثم أورثنا الكتاب).

إذن هذا الروح الأمري مختص بالمعصومين عليهم السلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[٢]، والأمر هنا الذي هو من عالم الأمر وعالم الإبداع هو الروح الأمري وليس هو المقام القانوني المختص فقط بالولاية السياسية بل يعم الولاية التكوينية، ويشير إلى هذا المقام ما ورد في روايات العامة من أن السيدة فاطمة الزهراء هي ولية الأمر، وهذا ما صرح بروايته أبو بكر في أول حكومته[٣].

فاطمةعليها السلام وليلة القدر

وورد أيضاً في رواياتنا أنها عليها السلام هي ليلة القدر، فعن زرارة عن حمران قال:«**سئلت أبا عبد الله عليه السلام عما يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدر الله فيها؟. قال: لا توصف قدرة الله إلا أنه قال: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾ فكيف يكون حكيماً إلا ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه لأنه يحدث ما يشاء، وأما قوله: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ يعني فاطمة عليها السلام، وقوله: ﴿ تَنَزَّلُ**

(١) المصدر السابق: ٤٧٧، الكافي ج١ : ٢٧٣.
(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٣) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج١٦ :

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾، **والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد عليهم السلام والروح روح القدس وهو في فاطمة»**[١].

فإذا كانت فاطمة عليها السلام هي ليلة القدر وولية الأمر على حد رواية أبي بكر فهذا يعني أنه نفس الأمر التكويني: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، وولي الأمر يعني صاحبه الذي يختص بالروح الأمري: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾، والرسول له أرتباط بالله عَزَّ وَجَلَّ من رسالة.

إذن نبوة الوحي، وهكذا (وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ) أيضاً لهم أرتباط مع الله عَزَّ وَجَلَّ بتوسط الروح الأمري. فهي طائفة كلها لله عَزَّ وَجَلَّ، فإن الإنسان لديه غريزة الشهوة والغضب ولديه روح العقل وروح الخيال، وأما المعصوم فأحد أرواحه هو الروح الأمري، وهو ـ الروح الأمري ـ جنس عالم الإبداع والأمر وليس من عالم الملائكة، وكذلك الملائكة ليس من عالم الأمر، فإن الملائكة لهم جسم لطيف له أجنحة كما هو مفاد الآية الكريمة: ﴿ جَاعِلِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾[٢]، ونزول وعروج الملائكة يكون من عالم ملكوت السمزات، ولكن بأجسام لطيفة، أما في الروح الأمري فليس فيه عروج ونزول وإنما كن فيكون.

ومن خلال هذا يتضح أن هناك إرتباط وثيق بين روح الأمر وبين ليلة القدر، سواء من جهة نزول الملائكة أو عروجها.

---

(١) البحار ج٢٥: ٩٧.
(٢) سورة فاطر: الآية ١.

تفسير القرآن وحقائقه

هناك فرق بين تفسير المفسرين وحقائق معاني القرآن، وهذه ضابطة ميزانية بالغة الأهمية في علوم القرآن، ولهذا يجب أن لا نخلط بين هذين أي تفسير المفسرين وحقائق معاني القرآن، فيجب علينا أن لا نحمل القرآن الكريم النتاج البشري، إن تفسير المفسرين مهما بلغ يكون من محدودة قدرة بشر وفكر بشر وإستنتاج بشر، بينما حقائق معاني القرآن الكريم شيء آخر.

لأن المفسرين على طول التاريخ يعني إلى عشرة قرون بما فيهم ابن العربي الصوفي كانوا يفسرون سبع سموات بنمط هيئة بطليموس إلى أن جاء العلم الحديث وأبطل فكرتهم، إلا أن بعض الكتاب المثقفين المعاصرين الذي ليس لهم باع في علم الفيزياء والعلوم الأخرى زعموا بطلان دعوى القرآن الكريم أن السموات سبع.

وهناك من يظن أن السبع سموات هي نظرية بطليموس والحال أنه لا صلة بين نظرية بطليموس في السموات السبع مع ما يذكره القرآن الكريم أو الإنجيل أو التوراة أو الكتب السماوية الأخرى كصحف آدم وصحف إبراهيم إلا محاولة من بطليموس لتفسيره هذه الحقيقة لسبع سموات التي تذكرها الكتب السماوية.

إذ بطليموس ولد بعد التوراة، فإن فكرة السبع سموات في ذهن بطليموس جاءت بسبب تعاليم السماء لا أن تعاليم السماء هي متأثرة به.

وقد أشار بروفسور أسكتنلدي في الفيزياء صاحب كتاب «على حافة

العالم الاثيري» وقد ألفه قبل مايقارب القرن وعنده تخصص في عالم الأرواح أيضاً أن نظرية السبع سموات هي ليست نظرية بشرية أصلاً، بل هي من تعاليم الكتب السماوية فقط، ثم يقول ونفسر السماء الثانية والثالثة... بمعنى كرات أثيرية غير مرئية بالنسبة لنا بل مواد ألطف، وبغض النظر عن أن هذا التفسير صحيح أو لا والمهم أنه يدلي بتفسير آخر ولكن لا يتنكر لمقولة سبع سموات الموجودة في التوراة والإنجيل والفرقان، وهو عالم فيزيائي كبير.

وهذه حقيقة هامة أنه لا الفلكيون ولا المنجمون ولا الفيزيائيون ولا علماء الطبيعة اكتشفوا أن السموات هي سبع، أو عشرة، أو واحدة أو أكثر أو أقل، بينما الكتب السماوية أتفقت على أن السموات سبع.

وقد حاول بطليموس أن يفسر السماوات السبع بأنها أجسام شفافة كقشور بصل والقشرة الأخيرة فيها المجرات، والقشرة ما قبل الأخيرة فيها المنظومة الشمسية وزحل ثم الشمس والقمر.

يعني حاول أن يقسم سباعية السموات بحسب المرئيات في السماء، وهذا مثال لأختلاف قدرة البشر في تفسير حقائق معاني الوحي فينبغي أن لا نحمل القرآن الكريم على النتاج البشري، وإن كثيراً من المثقفين لا تخصص لهم في علوم كثيرة ومع ذلك نراهم يتحدثون في نتائج تلك العلوم الكثيرة مع أنهم يتنادون بالتخصص وهم لا يعملون بالتخصص ولا يراعون المهنية التخصصية في البحوث.

فتراه يفتي لك في الفيزياء وتارة يفتي لك في النجوم وأخرى في تاريخ العلوم مع أنه لا باع له في ذلك ثم يأتي ويريد أن يحاكم القرآن الكريم بتلك العقلية والمعلومات المحدودة له، وهذه جهالات يضمها إلى جهالات وما يستنتج من هذه الجهالات يريد أن يأتي بها ويحاكم على وفقها القرآن الكريم، وتاريخ العلوم مهم جداً ليعتبر الباحث كيفية تطور الفكر البشري من سطح درجة إلى أخرى وأنه لا ينتهي الأفق لإدراك الحقيقة عند حد ويقارن ذلك مع بيانات ومعطيات الوحي.

فهناك فرق بين العلم نفسه وبين تاريخه، ألم يوجد هناك تاريخ علم الطبيعيات، كما هناك علم أصول الفقه وتاريخ علم الأصول، وأيضاً عندنا علوم الفقه والقانون وعندنا أيضاً تاريخ علم الفقه والقانون، حتى نعرف هذا العلم من أين بدأ ومن أين أسس وكيف مر بأدوار وما شابه ذلك.

إذن بطليموس جاء بتفسير هذه النظرية وهو لا يعلم هي سبع سموات أو غير سبع وظل هذا التفسير مستمر إلى زمن الشيخ البهائي رحمه الله أو المرحوم المجلسي أو غيرهم من الأعلام، ومن المسلمين وغيرهم، في حين أن هناك إشارات في الروايات إلى ما في سورة الصافات والملك، من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾[2].

---

(١) سورة الملك: الآية ٥.

(٢) سورة الصافات: الآية ٦ ـ ٧.

حيث صرح فيهما بأن كل ما تشاهدوه من كواكب ومجرات ونجوم هي زينة للسماء الدنيا التي هي السماء الأولى، وهذا يدحض رؤية ونظرية بطليموس، وهذا ما أكده الإمام الرضا عليه السلام على ما جاء في تفسير القمي.

والكثير من الشبهات لدى البشر أمام منهاج السماء ناشئة من خطأ القراءة للنص الوحياني وفق قناعات علمية خاطئة، وهذا ليس تعصباً لمنهاج السماء ولكن منهاج السماء منهاج علمي مفتوح على الحقيقة اللامتناهية لا منهاج قناعات محبوسة على أفق محدود، شعار السماء شعار علمي لكن شريطة أن يكون هناك تفهم فاحص باحث منفتح أمام الاحتمالات الواسعة وإنصاف علمي لا تعصب جهالات على قناعات محبوسة، فيأتي ويستشكل على سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله بأنه متأثر بنظرية بطليموس، وأن هذا من تزريق البيئة التي كان فيها سيد الأنبياء ومن ثم على القرآن الكريم. وهذه استنتاجات مغلوطة وجهولة عن الاطلاع على تاريخ النظريات العلمية في العلوم وعن مقارنتها بتراث الوحي السماوي.

تأسيس الأنبياء والأوصياء لعلوم البشر

هناك نظرية أخرى وعقيدة علمية أخرى وهي موجودة في روايات أهل البيت عليهم السلام، أن تأسيس كل علم بشري بدأ من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وهذا عكس ما يدعونه هؤلاء من أن الأنبياء يتأثرون بقومهم، ولو بحثوا في تاريخ العلوم لتبين لهم أن تأسيس العلوم بدأ على يد الأنبياء وأوصياء الأنبياء، وهذا ما بينه ثلاثة من الأعلام في كتبهم وهم:

١ ـ السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة، وذكر أن علوم الإسلام التي تفتقت في الأمة الإسلامية كان الواضع الأول لها هم أئمة أهل البيت عليهم السلام وهذا إنجاز قيم ولطيف.

٢ ـ السيد محسن الأمين العاملي في كتابه البارع الفاخر أعيان الشيعة، حيث ذكر في بداية كتابه هذا كيفية تأسيس أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن بعدهم شيعتهم للعلوم الإسلامية وهذا مهم في تاريخ الحضارة الإسلامية، وفي تاريخ مساهمة المسلمين في العلوم البشرية والحضارة البشرية التي مصدرها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ المحقق أغا برزك الطهراني في كتابيه (الذريعة) أو (الطبقات علماء الإمامية)، حيث بين في كتابه الذريعة أن تأسيس العلوم في الإسلام بدأ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، مما نبع هذا الأزدهار الذهبي للأمة الإسلامية.

مؤتمر باريس

في السبعينيات الميلادية تقريباً عقد مؤتمر في باريس بحضور عشرات البروفسورية ومن مختلف أقطار ودول العالم، وكانوا كلهم من أصحاب النظريات وما شابه ذلك، وشارك فيه السيد موسى الصدر، وكان هذا المؤتمر حول الإمام الصادق عليه السلام وتأسيسه لعلوم الكيمياء، وكيف خدم البشرية وقد طبعت مقالات المشاركين باللغة الفرنسية وترجم إلى اللغة العربية والفارسية.

إن لكل علم تعريف جامع وله موضوع كلي ومحمول كلي، وله قضية

مؤتمر باريس

كلية تسمى تلك القضية الكلية المنتشرة في قضايا العلم بالحيثية الكلية وهذه القضية الكلية تسمى مفتاح العلم.

هذا مابيّنه أمير المؤمنين عليه السلام من الموضوع الكلي لعلم النحو والصرف حيث يقول (إرفع ضم...) فبين الموضوع الكلي لعلم النحو والصرف إذ كشف لك عن القضية الكلية ثم بعد ذلك انفتح باب المرفوع وباب المنصوب وباب الأسم وباب الموصوف وهكذا، فأبواب كثيرة تفتح بل ألوف المسائل من المسائل الكلية، وهذا الفتح للقضية والمعادلة الكلية العامة لكل علم و للعلوم إما من نبي أو وصي نبي بل إن منظومة العلوم تتوالد من بعضها البعض لترابط عضوي معادلي بين المعادلات العامة العماد لكل علم كرأس هرم تتولد منه طبقات تحتانية تتسع ، فالعلم الذي يفتحه الوحي مفتاح لفتح علم هو بدوره مفتاح لفتح علوم توالدية منه ، وهذا شأن علوم النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في الاحاديث والحكمة المروية عنهم في كل مجال وكل باب من العلوم وهي معنى محاسن كلامهم أنه لو علم بها الناس والبشر لاتبعوهم لأنها مفتاح لعلم وهو مفتاح العلوم .

نعم الآن قد توسع في العلوم التوالدية المسماة بالمواليد وهذا بحث آخر ولكن الريادة والسبق لفاتح هذا العلم المفتاح لبقية العلوم كان بيدهم عليهم السلام ، إذن تأسيس تأريخ العلوم البشرية من آدم إلى يومنا هذا هو ببركات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وروايات أهل البيت عليهم السلام مشحونة بهذه المفاتيح لعلوم فاتحة، حتى علم النجوم وعلم الفلك وعلم السحر وحتى

العلوم المهنية والفنية والتقنية.

وقد ذكر الشيخ الأنصاري في كتابه (المكاسب المحرمة) جملة من الروايات أن الأنبياء مؤسسون للعلوم البشرية، من قبيل الرعي والزراعة والصناعة والتجارة والخياطة حيث مارسها الأنبياء كنوح وإدريس وسليمان وغيرهم.

فعن ريان بن الصلت، قال: حضر عند أبي الحسن الرضا عليه السلام الصباح بن نصر الهندي وسأله عن علم النجوم، فقال: هو علم في أصله حق وذكروا أن أول من تكلم به في النجوم إدريس عليه السلام وكان ذو القرنين به ماهراً، وأصل هذا العلم من الله[1].

وعن يونس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو، قال: علم من علوم الأنبياء، فقلت، كان علي بن أبي طالب يعلمه، قال: كان أعلم الناس به[2].

وإنما نذكر هذا في قبال هؤلاء الذين يقولون بأن عقلية الأنبياء عليهم السلام العلمية أو التاريخية متأثرة من علوم بيئتهم وزمانهم.

القرآن خصص ذكر الأنبياء لعظمتهم

فلو لاحظنا التاريخ الذي يستعرضه القرآن الكريم نراه لا يتعرض إلى الملوك ولا إلى شرائح أخرى بشرية، بل يتعرض ويذكر الأنبياء بما هم

---

(١) البحار ج٥٨: ٢٤٥، ح٢٦.
(٢) البحار ج٥٨: ٢٣٥، ح: ١٥.

رواد ورموز ونجوم التأريخ، وإذا تعرض لشخصيات غير الأنبياء من ملوك وفراعنة فهو يذكرهم بما لديهم من تأريخ مظلم فهو يذمهم ويندد بهم ويستقبحهم ،وهذا تنبيها من القرآن الكريم لكون الأنبياء هم صناع الحضارات والرقي والتمدن المتكامل من جوانبه المختلفة.

وهذه القاعدة ـ تأسيس الأنبياء لعلوم البشر ـ مهمة ومدعى عظيم تدل على أن الأنبياء لهم إحاطة بالبيئات لا أنهم يتأثرون بالبيئات وبالتربية العلمية في البيئة القاصرة التي يعيشون فيها، ولذلك كل نبي يأتي بمعجز علمي يتحدى به قدرة العلم الموجود عند أبناء ذلك العصر بل تحديه يتطاول أجيال البشرية اللاحقة إلى يوم القيامة.

تفسير القرآن بالقرآن

هناك من تبنى تفسير القرآن بالقرآن كما أشار إليه السيد الطباطبائي رحمه الله، وكذلك السيد الخوئي والسيد السبزواري وكذلك من مفسري العامة محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، وغيرهم كثيرون، ولكن هذا التعبير والعنوان كمنهج فيه مسامحة، لأن هذه القاعدة التفسيرية ليست تفسير القرآن بالقرآن أي أن القرآن يفسر نفسه بنفسه، وإنما هو تفسير البشر بالإستعانة بقدرة فهمهم للقرآن أو تفسير المجتهدين أو المفسرين للقرآن بالأستعانة بالقرائن والدلالات القرآنية بحسب درجة إحاطتهم بمعاني القرآن، وفرق بين أن نقول تفسير إجتهادي للقرآن بجهد بشري إستعانة بالقرآن وبين أن نقول عبارة نحذف منها كلمات أخرى فتعطي مفاداً آخر،

ويتوهم السامع أو القاريء كأنما القرآن تجسد وتمثل، أو يقول أنا أفسر القرآن على منهاج تكلم القرآن بأنا أفسر نفسي بنفسي وكأن المفسر أصبح القرآن الناطق، نعم هو حجة ظنية والاستعانة بالقرائن القرآنية الاجتهادية لتفسير القرآن لا تعدوا الظن المعتبر، ولكن لا يرقى ولا يصل هذا إلى درجة حق اليقين وعين اليقين وإن هذا هو التفسير النهائي ولا خطأ فيه.

أحد المفكرين الكبار ـ ولا أريد أن أذكر أسمه لأن النقاش في المنهج وليس النقاش في الأشخاص ـ يعتبر تفسير القرآن بالقرآن حجيته فوق حجية العترة، فنقول له أيها المحقق الجليل هذا ليس تفسير القرآن بالقرآن بل تفسير المجتهد للقرآن بقدرة ظنية بشرية إستعانة محدودة بالقرآن، وهل هذا يرقى إلى تفسير العترة الذين شهد لهم القرآن أنهم يمسون الكتاب المكنون الغيبي ؟!. كلا.

نعم الإستعانة بالقرائن القرآنية بحسب الجهد الظني للمفسر والمجتهد منهج من المناهج صحيحة ولكن لا نعطيها الدرجة الأولى ولا يقتصر على هذا المنهج دون معية الثقلين، الآن شخص يتوصل إلى أن الاستصحاب كدليل أصلي عملي حجة وهذا صحيح لكن هل نجعل الاستصحاب مقدم على حجية الخبر الواحد؟!. هذا خطأ ليس معنى أن تتوصل إلى أن الاستصحاب حجة فهذا يكفي، بل لأبُدَّ أن تعرف رتبة حجية الاستصحاب، فلا بد أن نعرف مراتب الحجج وهو ناموس منهج المعرفة الحقة.

قد راج أخيراً في الأوساط العلمية المسلك المنهجي الذي يعتبر الخبر

الصحيح هو الميزان الأول والأخير، وكأنما حجية الخبر الصحيح تفوق حجية الخبر المتواتر والمستفيض مع أنهما قد يتحصلان من الأخبار الضعيفة غير تامة السند بلحاظ وصف طريقها منفرداً.

وعلم الأصول علم بالغ الأهمية وذلك لأنه منطق المعرفة الدينية إذ يعطي للباحث المنظومة والخريطة والتخطيط المنهجي، وقد قرر فيه دراسة وميزانية كل قاعدة من القواعد التي يستنتج بها في العلوم الدينية وإذا عمل بها فسوف لا يلتبس علينا المفهوم في سير الاستدلال والدليل.

عودة على بدء

إذن هناك عملية وحي بين الباري تعالى وبين النبي وهو الروح الأمري، فالروح الأمري ليس وسيطاً يوحي للنبيﷺ، وهذا بخلاف: ﴿ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾، ففي الروح الأمري لم يعبر عنه أنه رسول أو وسيط يوحي إلى النبي البشر، وإنما الروح الأمري هنا هو نفس متن الوحي بين الباري تعالى وبين النبيﷺ، ولذلك لم يعبر الباري تعالى مثلاً: ﴿ وكذلك أرسلنا روحاً من أمرنا ﴾ بل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ ﴾.

فالفرق واضح إذن بين الآيتين الكريمتين المتاليتين في آخر سورة الشورى، وهذا شأن خاص لنبي الإسلامﷺ، لأنه عبر تعالى بكلمة (إليك) أي خاص لك يا محمدﷺ، في حين قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾، مفاده عام

لعموم البشر من الأنبياء أو الأوصياء أو الحجج، فالروح الأمري خاص بسيد الأنبياء وخاتمهم (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن هنا جاءت هذه الآية مباشرة بعد تلك الآية وجعل هذا الروح الأمري من عالم الأمر وغرز في ذات النبي صلى الله عليه وآله.

المحكم والمتشابه

أمومة آية الروح الأمري:

وفي روايات معارف أهل البيت عليهم السلام تعتبر هذه الآية ـ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ـ من الآيات التي لها أمومة ومن المحكمات،: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[1]، والمحكمات لها أمومة ولها قيمومة ولها هيمنة، وهناك قواعد في تفسير القرآن الكريم تبتني على منظومة المحكمات على منهج أهل البيت عليهم السلام تشكل منهاجاً تفسيرياً، ليس هو منهج التفسير الموضوعي الذي يعني بالموضوع الواحد في ظل سور عديدة في مقابل التفسير التجزيئي، بل تفسير المحكمات في مقابل تفسير المتشابهات، يعني تفسير الآيات التي لها إشراف ولها هيمنة على بقية الآيات أي تفسير طبقات عليا من الآيات لها هيمنة وإشراف وتوضيح لطبقات نازلة وهو يختلف منهاجاً عن التفسير الموضوعي.

إذ التفسير الموضوعي أخذ موضوع من الموضوعات سواء كانت

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

فرعية أو سطحية، فوقية أو أولية، في حين تفسير المحكمات هو تفسير خصوص الآيات التي هي حاكمة ومحكمة على بقية الآيات وحاكمة على بقية الموضوعات، وحاكمة على بقية السور، فتفسير المحكمات يختلف قواعدياً ومنهجياً في علائق الارتباط له مع التفسير الموضوعي، فإن كل آية تشرف على آيات أخرى تكون هذه الآية لها إحكام.

إذنْ منهجية المحكمات وتفسيرها أكثر عمقاً وأكثر دقة ومنهجية منظومياً ونظاماً، فالمهم في التفسير لايقتصر على التفسير الموضوعي بل النظر إلى تفسير المحكمات.

ومثالاً نرى العلامة الطباطبائي رحمه الله مر بمرحلتين في بناء علميته التفسيرية، المرحلة الأولى كتابه الذي طبع مؤخراً وهو تفسير (البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن)[1]، وهنا حاول قدس سره أن يكتشف منهج أهل البيت عليهم السلام في التفسير، وعلى ضوء هذا المنهج كتب تفسير الميزان، ولكن المشاهد في إستنتاج هذا التفسير ـ الميزان ـ أنه قدس سره حاول أن يكتشف كيف هو تفسير القرآن بالقرآن عند أهل البيت عليهم السلام.

وهو شبيه بالتفسير الموضوعي أو بدرجة نوعاً ما متطورة ، لكن هناك من ألتفت إلى تفسير المحكمات كالعلامة الفتوني[2] في كتابه مرآة

(١) حيث كانت الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥ هـ وبستة مجلدات ولم يكن كاملاً بل إلى الآية (٥٧) من سورة يوسف.

(٢) وهو الشريف أبي الحسن بن محمد طاهر العاملي وهو من علماء جبل عامل ولد في

الأنوار ومشكاة الأسرار والذي يعتبر دورة في مفردات ولغات القرآن الكريم، وقد طبع هذا الكتاب في أول تفسير البرهان بأسم المقدمة.

ومن إلتفت إلى ذلك الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي شيئاً ما ودرجةً ما وذلك بسبب مطالسته وممارسته لتفسير الروايات للآيات بتفسير أهل البيت عليهم السلام .

والحاصل أن هذه الآية التي نحن بصددها تعتبر من الأيات المحكمات الأم ، بمعنى أنها مرجع ومآل ومنتهى لتفسير آيات عديدة. ومن هنا لابد لنا أن نحلل هذه الآية ونبحث عن الجهات والحيثيات والأمور الموجودة فيها .

الفرق بين (أوحينا) و (أرسلنا)

إن إرسال الرسول كما مر يعني الوسيط وهذا الوسيط سوف يمكث وإن كان هذا المكوث ليس مكوثاً دنيوياً ولكن بحسب عالم ومعنى الروح، ولكن بطبيعة الحال سوف ينتهي هذا الأرتباط في حين متن الوحي الموحى إلى النبي لا ينقطع بأنقطاع مكث وبقاء الرسول الملكي.

أصفهان سنة ١٠٧٠ هـ عاش في أصفهان فترة من الزمن ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وممن أجازه بالرواية العلامة المجلسي الذي هو ـ المجلسي ـ والد زوجة خاله السيد محمد صالح الخاتون آبادي، وهو جد صاحب الجواهر لأم والده، وقيل جده لأمه وليس لأم والده، له ما يقارب (٢١) مؤلفاً ومن أهم مؤلفاته (ضياء العالمين في بيان إمامة الأئمة المصطفين) وطبع مؤخراً.

وقد أثنى على هذا الكتاب الشيخ الأميني صاحب موسوعة الغدير والسيد عبد الحسين شرف الدين وغيرهم، توفي رحمه الله في الغري الشريف سنة ١١٣٨ هـ وقيل سنة ١١٣٩ هـ.

ومن هنا قال تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[١]، فالوحي هو علم يحصل للنبي صلى الله عليه وآله ويطلق على هذا العلم بالوحي، فإن إرسال الملك للنبي هو إحداث علم، ولكن هذا العلم من أي نوع ومن أي نمط أو درجة، فهو غير إرسال الرسول الملك، فإن هذا الرسول الملكي إرتباطه وإتصاله ينقطع وبالتالي فالأرسال سوف ينقطع أيضاً بسبب رجوع ذلك المرسل الملكي والوسيط بين الباري تعالى وبين النبي صلى الله عليه وآله.

أما الوحي الذي هو بمعنى العلم الحاصل من الوحي باق، نعم لو يشاء الله ذلك لذهب وأزال: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾، وهذا ما عبر عنه الإمام الصادق عليه السلام عندما قال ـ في بيان حقيقة الروح من عالم الأمر الذي هو متن وحي الكتاب ـ:... لم يصعد إلى السماء كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم. وفي رواية أخرى (إنه فينا).

وهذا يعني أن أحد أرواح النبي صلى الله عليه وآله هو الروح الأمري، فهو قد زرع وغرز في ذات النبي صلى الله عليه وآله، وسميت الغريزة بالغريزة لأنها تغرز مثل غرز البذرة والشجرة في التراب، وكما في ذات الإنسان فلها أرواح متعددة وقوى متعددة وجواهر مختلفة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«أتزعم أنك جرم صغير وفيك أنطوى العالم الأكبر»**[٢].

فالإنسان كما ركب من عقل وشهوة، وكذلك النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾، أي ركب فيك عالم الأمر

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٦.

(٢) الوافي للكاشاني ج٢: ٣١٩

والملكوت بماله من عظمة بالنسبة إلى ذات النبيﷺ، ومقتضى ذلك أن معرفة نفس ذات النبيﷺ شيء أعظم من تلك الأرواح، وسوف يأتي أنشاء الله أن الروح الأمري له تعاريف مهولة وعظيمة وكبيرة، في سور عديدة من القرآن الكريم.

وهذا الروح الأمري الذي أثبت تكويناً في ذات النبيﷺ جعل كقوة من قوى ذات النبيﷺ فضلاً عن بقية قوى أخرى في ذاته سواء أعظم من الروح الأمري أو أصغر منه، وهذا الروح أو الوحي لم يزايله الله عَزَّ وَجَلَّ عن نبيه ولم يذهب به بعيداً عنهﷺ بل أبقاه في النبيﷺ وهذا نمط للوحي.

حقيقة الروح الأمري

وحقيقة هذا الروح الأمري هو الكتاب العزيز بحسب هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾[1].

وعرف الروح الأمري في الآية أنه نور هادوي وهو كتاب تكويني لا ورقي بنقوش خطوط إعتبارية، وهذا الروح الأمري يورثه الله عَزَّ وَجَلَّ بعد النبيﷺ لجملة من عباده المصطفين: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾، وسوف يكون ـ الروح الأمري ـ نبراساً نورياً لبقية من العباد

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

المصطفين وليس كل العباد، بل العباد الذين تتعلق بهم المشيئة الإلهية: ﴿ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾، أي الذين يصطفون ويجتبون ويختارون: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾[1].

ولو كان المراد منه المصحف الشريف الذي هو عبارة عن أوراق ونقوش لكان هذا بيد الجميع، فيقرأه الكافر والمسلم والمؤمن والمنافق وغير ذلك، بينما خصصه تعالى: ﴿ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾، وحسب روايات أهل البيت عليهم السلام الذي مضمونها مطابق لما هو موجود في الآيات، ولو نتدبر ونتدبر ونمعن النظر على الدوام في مضامين روايات عترة النبي صلى الله عليه وآله لرأينا أنه مطابقة لما هو موجود في إشارات أو لطائف الآيات الكريمة.

فهناك حقيقة مستمرة وهي من محكمات محاور أعمدة نظام القرآن وهي قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾[2]، وهي أن الروح الأمري لايقتصر إنزاله على خصوص سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فقط، بل هنا المخاطب بها أمة الإسلام إلى يوم القيامة، وهي خالدة وحية بعد سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، فـ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ ﴾، أي من عالم أمر الله: ﴿ لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾[3]، فله عالم الخلق وعالم الأمر: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٤) سورة يس: الآية ٨٢.

(٣)بحار الانوارج٣٣: ١٣٣

(٤) سورة السجدة: الآية ٤.

يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[١]، وهذا عالم الأمر.

أما عالم الخلق: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[٣].

عالم الأمر وعالم الخلق

وهناك فرق بين عالم الخلق وعالم الأمر، فعالم الخلق تدريجي حسب الآيات المتقدمة، في حين عالم الأمر ليس كذلك بل: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾، يعني عالم الإبداع والملكوت، وهذا الروح الأمري هو نمط ثان من الوحي، وهو تصرف خلق تكويني يوجده الله عَزَّ وَجَلَّ في نبيه ومن ثم يورث هذا التكوين الراقي والعالي إلى عباد مصطفين بعد سيد الأنبياء: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٤].

وكما مر بنا أن حقيقة الكتاب أو القرآن الكريم ليس وجوداً ورقياً أي المصحف الشريف الذي هو نزول القرآن، أنها حقيقته غيبية وملكوتية: ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[٥]، يعني محفوظ، فأي قرآن هذا؟!. فهذا المقام من القرآن الكريم ليس هو المصحف الشريف الذي هو

---

(٥) سورة فصلت: الآية ١٠.

(٢) سورة ق: الآية ٣٨.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٧٧ ـ ٧٩.

(٤) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٥) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

تنزيل القرآن، بل هو نفس حقيقة القرآن الذي هو عالي متعالي فهو القرآن ولكنه المحفوظ والمكنون.

وهذه الحقيقة المعرفية من الأمور والقواعد المعرفية المهمة التي يجب أن نعرفها ويؤكد عليها القرآن الكريم وأئمة أهل البيت عليهم السلام، لأن هذه القواعد تفتح أبواباً للمعارف ولمعرفة حقيقة دور أهل البيت عليهم السلام، فإن دورهم عليهم السلام دور إختصاصي رائد في الأمة الإسلامية لا يسده غيرهم، ولا يقوم بعبأه سواهم، ولا يمكن لأي أحد لا من العرفاء ولا من الصوفية ولا من الخليقة ولا... أن يدعي ذلك: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾، هيهات أن يمسه الكل فهو بعيد المنال إلا المطهرون.

قال الشيخ الطوسي في تفسير هذه الآية: ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾، قيل: هو اللوح المحفوظ أثبت الله تعالى فيه القرآن، والمكنون المصون.

وقوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ قال أبن عباس ومجاهد الضحاك: لا يمس الكتاب الذي في السماء إلا المطهرون من الذنوب[١]، وعن أي لا يطلع عليه إلا المطهرون من الكدورات البشرية[٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾[٣].

فالمصحف الشريف مقدس عظيم، وهو طرف عند الناس من حبل

---

(١) التبيان ج٩: ٥١٠.
(٢) الأصفى للفيض الكاشاني ج٢: ١٢٥٩.
(٣) سورة البروج: الآية ٢١ ـ ٢٢.

الله الممدود ولكن الدرجة العليا من القرآن الذي له المجد التكويني أي عظمة وقدرة فهو طرف آخر عند الله لايمسه الا المطهرون، والمصحف عبارة عن معلومات وشرح لحقيقة موجود غيبي ملكوتي وهو القرآن، وهو الروح الأمري، الروح الذي يحيى به الموتى، فعن الإمام أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى أنتهى إلى نفسه ؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه، قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره: ﴿ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴾ حين فقده فغضب عليه فقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾، وإنما غضب لأنه كان يدله على الماء فهذا وهو طائر قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والأنس والجن والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان يعرفه وإن الله يقول في كتابه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحيى به الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمرٌ إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون جعله الله لنا في أم الكتاب، إن الله يقول: ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ ثم قال: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ

ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ فنحن الذين أصطفانا الله عَزَّ وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء[1].

وهناك وصف آخر للقرآن وكرامة أخرى له التي فيها آثار تكوينية وهو قوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

وليس المراد من القرآن الذي فيه هذه الأوصاف وخصصوا بوراثته هو المصحف فإنك إن تضع المصحف الشريف على جبل لاتراه متصدعا ولاتراه خاشعاً فهذا طرف آخر من الحبل، وكذلك هناك نزول لحقيقة القرآن يغاير نزول المصحف ، وهو النمط الأول من نزول القرآن، النزول الجملي الدفعي لجملة حقيقية تكوينية للقرآن فهذا نمط من الوحي يعني تصرف في ذات النبي صلى الله عليه وآله أي جعل وغرز وإيجاد قوة عظيمة فيه صلى الله عليه وآله تسمى الروح الأمري ﴿ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ .

الحبل الممدود

إذن هناك آثار كثيرة بينتها الآيات القرآنية في حقيقة القرآن الكريم من الآثار الكونية العظيمة، وتلك الآثار ليست للمصحف الشريف مع عظمته وقدسيته ووجوب التمسك به، فنحن ليس عندنا من القرآن الحبل الممدود الا

(١) الكافي ج١: ٢٢٦، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء.
(٢) سورة الحشر: الآية ٢١.

المصحف والعترة طرفاً منه عند الناس أما الطرف الآخر فهو عند الله وهو الروح الأمري الذي جعله الله في ذات النبي ﷺ ثم أورثه الذي اصطفاهم من عباده أهل البيت عليهم السلام المطهرون .

فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[(١)].

فقد مثل النبي ﷺ في هذا الحديث عن الثقلين وهما الكتاب والعترة بأنهما حبل ممدود، فالكتاب الكريم فيه إتصال بين السماء والأرض، طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله عَزَّ وَجَلَّ[(٢)]، هذه العندية الإلهية (عند الله) يعني مقام ملكوتي تلك هي حقيقة القرآن الكريم وهي تتنزل في المصحف كمعلومات وتقارير خبرية عن تلك الحقيقة الغيبية، وقد قرر في علم المنطق الفكري إن للشيء أربع وجودات:

وجود حقيقي أي نفس شخص زيد.

ووجود ذهني مثل صورة زيد في الذهن.

ووجود إعتباري مثل لفظة صوت أسم زيد هذه ليست حقيقة زيد وإنما هو تنزيل.

---

(١) مسند أحمد ج٣: ١٤، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) معاني الأخبار للصدوق: ٩٠.

ووجود كتبي مثلاً عندما تكتب نقش أسم زيد في الورقة، فزيد هنا ليس معنى بل ولا حقيقة زيد، بل هذا تنزيل لحقيقة زيد.

مثلاً عندما تتلفظ وتقول زيد بن أرقم وذكرت زيداً بالصوت، فهذا ليس حقيقة زيد التكوينية بل وجود تنزيلي لزيد وهو وجود صوتي لفظي.

إذن هناك حقائق تكوينية للأشياء وهناك معلومات عنها، وهي درجة ثانية، ودرجة ثالثة الصوت التنزيلي، ودرجة رابعة المنقوش المرسوم والمكتوب المخطوط للأشياء، وكذلك الحال في القرآن الكريم فحقيقته: ﴿ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾، وهذا الروح بعيد المنال إلا عن العترة لايمسه إلا المطهرون ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ و﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ و﴿ نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ و﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ . . . أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾، فضرورة وجود العترة هي هذه الحقيقة المستمرة بعد النبي صلى الله عليه وآله التي أشير إليها في آخر سورة الشورى وسورة غافر وأول سورة النحل وسورة القدر وسورة الدخان، لأن علومهم تنزف، وترتفد رفدها ورشدها من حقيقة القرآن العلوي الملكوتية، وتلك الحقيقة لها خواصٌ كثيرة.

إذن الروح الأمري باقي إلى يوم القيامة: ﴿ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾، ولذلك فالملائكة عندما تنزل في ليلة القدر تنزل بحقيقة القرآن، وهنا يتضح أنه لولا القرآن لما أستطاعت الملائكة من الهبوط حتى جبرئيل عليه السلام كما مر في سورة النحل و: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ

ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[١]، أي من عالم الأمر، وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام بكل أمر (الباء) بدل (من).

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[٢]، فعن علي أبن إبراهيم قال: روح القدس وهو خاص لرسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وفوض إليه القدرة وأحيى الموتى وعلم بما كان وما يكون وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين، وعلم ما في الضمائر والقلوب وعلم ما في السموات والأرض[٤].

الكتاب موجود حي شاعر عاقل

إذن كل الكتاب الكريم مرتبط بهذا الروح الأمري، ولكن هذا الكتاب وهذا الكلام ليس المراد منه الأمواج الصوتية بل هو موجود حي شاعر عاقل، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ

(١) سورة القدر: الآية ١ ـ ٣.
(٢) سورة غافر: الآية ١٥.
(٣) تفسير القمي: ٥٥٥.
(٤) البحار للمجلسي ج٢٦: ٦.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

وَكَلِمَتُهُۥ ﴾(١)، فنرى أن القرآن أطلق على عيسى ابن مريم عليه السلام أنه كلمة الله، وهذا يعني أن الموجود التكويني العظيم الخلقة كلمة إلهية، وإذا كان النبي عيسى عليه السلام وهو من أولي العزم كلمة من كلمات الله عَزَّ وَجَلَّ ولم يوصف بإنه كلمة تامة فكيف بالكلمة التامة أو الكلام التام: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾(٢).

وليس إطلاق الكلمة من الله حصراً على النبي عيسى عليه السلام بل هناك موارد عديدة ذكرها الباري تعالى، كقوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٤).

وغيرها من الآيات الشريفة.

فمن موارد استعمال القرآن الكريم لمعنى الكلام والكتاب يستعمله في الموجود الحي الشاعر العاقل ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٦)، إذ

الكتاب موجود حي شاعر عاقل

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.
(٢) سورة الانعام: الآية ١١٥.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٩.
(٤) سورة النمل: الآية ٧٥.
(٥) سورة الانعام: الآية ٥٩.
(٦) سورة النمل: الآية ٧٥.

الذي له وجود حي شاعر عاقل هو الذي يحيط بكل صغيرة وكبيرة، وهذا هو ليس من نمط الأصوات والكلمات اللفظية أوالمعاني المسموعة لأنه ليس من خواصه، وليس نزولاً مفرقاً ونزولاً نجومياً، ومن ثم يتضح أن الوحي الإلهي والوحي النبوي هو على أقسام وعلى درجات، يغاير نوع الوحي الذي يقوم به جبرئيل بالصوت أو بالكلام أو بالتحديث، هناك نوع ونمط وحي هو عبارة عن غرز الروح الأمري، الذي هو من عالم الأمر، غرزه وتكوينه وإيجاده في ذات النبي صلى الله عليه وآله كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١].

إذن كم هي عظيمة ذات النبي صلى الله عليه وآله، بل هي أعظم من الكتاب كله لأن الروح الأمري هو أحد أرواحه صلى الله عليه وآله التي فيه، فذاته أوسع من الروح الأمري وما الروح الأمري إلا أحد الأمور التي أوحيت إلى ذاته صلى الله عليه وآله.

ولذلك وردت روايات من الفريقين أن القرآن يأتي يوم القيامة بصورة شاب وغير ذلك، من قبيل قول النبي صلى الله عليه وآله: يجيء يوم القيامة القرآن كالرجل الشاب (الشاحب) فيقول لصاحبه أنا الذي أسهرت ليلك وظمآت ليلك ونهارك[٢].

وعن زيد بن علي عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج١: ٥٥٧، مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ١٦٠.

الكتاب موجود حي شاعر عاقل

الله صلى الله عليه وآله: «يأتي القرآن يوم القيامة وله لسان طلق ذلق قائلاً مصدقاً وشفيعاً مشفعاً، فيقول يا رب جمعني فلان عبدك في جوفه فكان لا يعمل في طاعتك ولا يتجنب في معصية ولا يقيم في حدودك، فيقول صدقت فيكون ظلمة بين عينيه وأخرى عن يمينه، وأخرى عن شماله، وأخرى من خلفه تنتره هذه وتدفعه هذه حتى يذهب به إلى أسفل درك من النار، قال: ويأتي فيقول يا رب جمعني فلان عبدك في جوفه فكان يعمل في طاعتك ويتجنب معصيتك ويقيم في حدودك، فيقول صدقت فيكون له نور يسطع ما بين السماء والأرض حتى يدخل الجنة، ثم يقال له أقرأ أوراق فلك في كل حرف درجة حتى تساوي النبيين والشهداء هكذا وجمع بين المسبحة والوسطى»[(١)].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: يجيء يوم القيامة في أحسن منظور إليهصورة فيمر بالمسلمين فيقولون: هذا الرجل منا، فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منا، حتى ينتهي إلى رب العزة عَزَّ وَجَلَّ فيقول: يا رب فلان بن فلان أضمأت هواجره وأسهرت ليله في دار الدنيا وفلان بن فلانٍ لم أظمئ هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم، فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن: أقرأ وارقه، قال: فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجلٍ منهم منزلته التي هي له فينزلها[(٢)].

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يجيء صاحب القرآن يوم القيامة

---

(١) الإحكام للإمام يحيى بن الحسين ج٢: ٥٢٦.
(٢) الكافي ج٢: ٦٠١..

فيقول القرآن يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة، يقول يا رب أرض عنه فيرضى عنه[١].

وفي بعض الروايات أن المصحف يشتكي من هجرانه أو حرقه. ففي الحديث: ثلاثة يشتكون يوم القيامة: المصحف، والمسجد، والعترة.

يقول المصحف: يا رب حرقوني ومزقوني.

ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني.

وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا...[٢].

وغير ذلك من الأحاديث والروايات التي يرويها الفريقين فإذا كان المصحف أو القرآن يشهد أو يشتكي فلا بد أن يكون لديه شعور فإذن هو حي وشاعر وعاقل .

الوراثة الملكوتية لآل النبي صلى الله عليه وآله:

ومن خلال الآيات الكريمة والتي مرت علينا سابقاً أن القرآن روح من الأرواح العظيمة من عالم الأرواح من عالم الأمر، وهناك صلة بين نزول القرآن والروح من عالم الأمر: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾.

وهذا النزول يكون: ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[١]، وهذه الجملة كفعل

(١)الخصال للصدوق: ١٧٥ .

(٢)عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي الواسطي: ٢١٤.

الكتاب موجود حي شاعر عاقل

مضارع دال على الأستمرار دال على أنه بعد سيد الأنبياء هناك ورثة وخلفاء: ﴿ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾، وقد أكد على ذلك القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾(٦).

إذن للقرآن وراثة تكوينية ملكوتية، فإن الوراثة في القرآن ليست بمعنى الوراثة الأعتبارية في دار الدنيا فقط، بل تشمل كل أنحاء الوراثة، من وراثة قانونية إعتبارية ومن وراثة تكوينية، ولذلك نقرأ في زيارة المعصومين عليهم السلام: **«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله»**، وهذا يعني أن كل ما كان لآدم عليه السلام من مقامات غيبية والتي هي أرواح من عالم الأمر، أو لما لآدم من أرواح مجندة من عالم الأمر، وكذلك تجنيد وإخضاع الملائكة لآدم، لم ترتفع وتنقطع إلى الآن من قبيل: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ

---

(١) سورة غافر: الآية ١٥.
(٢) سورة غافر: الآية ١٥.
(٣) سورة فاطر: الآية ٣٥.
(٤) سورة النحل: الآية ٥.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.
(٦) سورة القصص: الآية ٥.

فَسَجَدُوٓاْ ﴾[1]، أو قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾[2]، فإن هذه المقامات من تعليم الملائكة مستمرة للمعادلة الإلهية العامة أني جعلت في الأرض خليفة فمقام (خليفة الله) مستمر وله كل هذه الشؤون.

وكسجود الملائكة أي طاعتها وخضوعها لآدم عليه السلام بما هو خليفة لله تعالى لا ترتفع ولاتزول بموت النبي آدم عليه السلام بل يرثها بعده شيت أو هبة الله ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى إسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى إلى أن تصل إلى سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ومن ثم إلى أهل البيت عليهم السلام.

إرث فاطمة عليها السلام

ولذلك فإن احتجاج السيدة فاطمة عليها السلام على أبي بكر في طلب إرثها ليس هو الأرث الشخصي في البعد المالي اليسير كما يصوّره بعض الكتّاب، بل هي ترث مقامات الرسول صلى الله عليه وآله في الولاية، وهذا ما أعترف به الخليفة الأول بلسانه دون فعله وعمله.

وهو مفاد قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾، وأول مصداق لأقرب المقربين بالرحم للنبي صلى الله عليه وآله هي السيدة العظيمة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولكن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾، فهذا مقام آخر مهم وهو مقام الولاية ومنها وراثة الكتاب، ولا أشكال ولا ريب أن القانون الوراثي قانون عظيم ولكن ليس

(١) سورة الأعراف: الآية ١١.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣.

المراد منه مقصوراً على الوراثة المادية الأعتبارية بل يراد به الوراثة التكوينية الاصطفائية أيضاً: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[١] و: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٢] و: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٣].

وهذا تنصيص من القرآن الكريم، أن هذا الوحي وهو القرآن الكريم الذي أوحي إلى النبي سيرثه من بعده الذين أصطفاهم الله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، والذين أجتباهم الله من نسل اسماعيل من إبراهيم: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٤] و: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾[٥] و: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[٦].

مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم

والذين أجتباهم الله عَزَّ وَجَلَّ من ذرية إبراهيم من نسل إسماعيل الذين هم من بني هاشم وهم ذو القربى قد تعلقت بهم المشيئة الإلهية بأن

(١) سورة النمل: الآية ١٦.
(٢) سورة مريم: الآية ٦.
(٣) سورة فاطر: الآية ٣٢.
(٤) سورة الحج: الآية ٧٨.
(٥) سورة مريم: الآية ٥٨.
(٦) سورة يوسف: الآية ٦.

يرثون الكتاب بعد النبي صلى الله عليه وآله حيث بين القرآن أنهم هم المطهرون الذين يمسون الكتاب، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إني تارك فيكم الثقلين»** وهما لم ولن يفترقا: **«حتى يردا عليّ الحوض»** والتعبير هنا «يردا عليّ» أي على نفس الرسول صلى الله عليه وآله وليس على الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا يعني أن المبدأ والمنتهى والمسؤول والمشرف على الثقلين هو الرسول صلى الله عليه وآله، وبالتالي فإن مقام النبي صلى الله عليه وآله أعظم من القرآن الكريم: ﴿ مَاكُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾، فجعل الكتاب كله معلومة من المعلومات التي أودعها الله عَزَّ وَجَلَّ عند النبي صلى الله عليه وآله.

وهذا ما أشار إليه زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية:

«ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً... اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد صلى الله عليه وآله مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسراً...»(١).

وكذلك قوله في دعائه يوم الفطر عليه السلام (٢) ـ في معرض المدح والثناء على النبي صلى الله عليه وآله ـ «وخصصته بالكتاب المنزل عليه، والسبع المثاني الموحاة إليه، وأسميته القرآن، وإكنيته الفرقان العظيم فقلت جل أسمك: «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» وقلت جل قولك له حين أختصصته بما سميته من الأسماء: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء (٤٢) عند ختمة القرآن.

(٢) الصحيفة السجادية للأبطحي: ٣٠٩ ـ ٣١٠ من دعائه عليه السلام يوم الفطر.

وقلت عز قولك ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾

وقلت تقدست أسماؤك : ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ وقلت عظمت آلاؤك ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ فخصصته أن جعلته قسمك حين أسميته وقرنت القرآن به ، فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردف به إلا وهو أسمه ، وذلك شرف شرفته به، وفضل بعثته إليه، تعجز الألسن والإفهام عن وصف مرادك به وتكل عن علم ثنائك عليه، فقلت عز جلالك في تأكيد الكتاب وقبول ماجاء به : ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾، وقلت عززت وجللت: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ وقلت تباركت وتعاليت في عامة ابتدائه: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ و ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ و ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ و ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١﴾ و ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾، وفي أمثالها من سور الطواسين والحواميم في كل ذلك بينت بالكتاب مع القسم الذي هو أسم من أختصصته لوحيك ، وإستودعته سر غيبك واوضح منه شروط فرائضك ،وآبان عن واضح سنتك ، وأفصح لنا عن الحلال والحرام، وأنار لنا مدلهمات الظلام، وجنبنا ركوب الآثام وألزمنا الطاعة ووعدنا من بعدها الشفاعة» .

وفي هذا المقطع من دعائه عليه السلام بين :

أولاً: عظمة القرآن .

وثانياً: بين عليه السلام أن في كثير مبتدأ السور ذكر الله تعالى اسما من أسماء

النبي (صلى الله عليه وآله) وقسم به ثم أردف وقرن به القرآن والكتاب أي أن ابتداء تعالى بالقسم بأسم من أسماء النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قسم بعد ذلك بالقرآن والكتاب لتبيان أن هذه الأسماء للنبي (صلى الله عليه وآله) مقامات أعظم شأناً وأكبر مقاماً من القرآن .

وثالثاً: بين (عليه السلام) أن هذه الأسماء للنبي (صلى الله عليه وآله) مقامات أعظم من القرآن والكتاب بل تعجز الألسن ولاتصل الإفهام عن وصف مراد الله تعالى من تلك الأسماء لنبيه وتكل الإفهام عن علم ثناء الله تعالى على نبيه بتلك الأسماء والمقامات، وإذا كان القرآن لايمسه إلا المطهرون فكيف بمقامات فوق القرآن والكتاب .

ورابعاً: بين (عليه السلام) أن كل مابينه النبي (صلى الله عليه وآله) إنما هو من ماأوحي إليه في القرآن والكتاب لا من ماشرفه الله به من الأسماء والمقامات الأعلى من القرآن والكتاب ولامن الفضل الذي بعثه الله تعالى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) من الأسماء النبوية والمقامات المحمدية فأين البشر من يلتفت إلى هذه الأسماء من إشارات ولطايف كلام الله تعالى لمقامات النبي (صلى الله عليه وآله) ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ .

والحاصل أنه (عليه السلام) في دعائه يشير إلى عظم مقامات النبي (صلى الله عليه وآله) على مقامات القرآن والكتاب الغيبية وأن القرآن والكتاب ليس إلا أحد هذه الأمور التي أوحيت للنبي (صلى الله عليه وآله) وأن عظايم من الوحي فوق ذلك .

ففي هذا الدعاء والصلوات بيان مقام النبي (صلى الله عليه وآله)،وأن أي حرف من الحروف المقطعة في أوائل السور إذا أتى بعدها أسم القرآن أو الكتاب

فذلك الحرف أو المقطع هو أسم من أسماء ومقامات النبي صلى الله عليه وآله، من قبيل قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾[1]، ففي روايات الفريقين أن (يس) هو أسم النبي صلى الله عليه وآله.

وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾[7].

وكذلك سور الطواسين كقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾[8].

---

(١) سورة يس: الآية ١.
(٢) سورة الزخرف: الآية ١ – ٢
(٣) سورة يونس: الآية ١.
(٤) سورة هود: الآية ١.
(٥) سورة يوسف: الآية ١.
(٦) سورة الرعد: الآية ١.
(٧) سورة إبراهيم: الآية ١.
(٨) سورة الشعراء: الآية ١. والقصص: ١.

وكذلك الحواميم كقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾[(١)].

غير ذلك من الآيات الكريمة.

إذن السور والآيات القرآنية تفصح وتبين وتوضح أن مقام النبي صلى الله عليه وآله مقام عظيم جداً، ومع كل هذه العلوم الغيبية والملكوتية فإن هناك من يدعي العرفان أو التصوف أو أي شيء من هذا القبيل، ويقول أن القرآن عندما تنزل تلون بالبيئة العربية، وهذا من الآراء القاصرة عن درك ماوراء المادة والحس حول القرآن الذي هو: ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾[(٢)]، ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[(٣)] ليس يحيط بالزمان لكل أدوار قرون الأرض وبقاعها بل بكل شأن في السموات فضلاً عن أم الكتاب الذي هو من منازل ومقامات القرآن العليا ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩﴾[(٤)]. الذي هو فوق لوح القضاء والقدر.

كل هذا يحويه الكتاب وأعظم، فهل هو وجود مادي جسماني أم هو يحيط بما وراء الآخرة الأبدية فضلاً عن عالم القيامة والبرزخ والرجعة فضلاً عن الكرة الأرضية.

---

(١) سورة الدخان: الآية ١. الجاثية والاحقاف والزخرف والشورى وفصلت وغافر.
(٢) سورة النمل: الآية ٧٥.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.
(٤) سورة الرعد: الآية ٣٩.

هذا الكتاب المبين كيف يكون قابلاً أن يتلون ببقعة جغرافية ترابية، أو يتلون ببيئة زمانية معينة، والنفس البشرية التي تستوعب غيب السماوات وكل صغيرة وكبيرة في السماء وفي الفضاء وفي الكون كله: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾، أي العلوم المستقبلية كيف تتأثر بعلوم البشر في زمان.

هذا لا يعقل، مع أن القرآن الكريم قد بين شخصية النبي صلى الله عليه وآله أن له مقامات عظيمة تفوق كل مقامات القرآن كما مر، ولاحظ عروجه بجسمه فضلاً عن روحه إلى السماء الأولى والثانية والثالثة وإلى السماء السابعة، وكيف دخل الجنة ويشرف على النار وعلى عوالم لم يرها الأنبياء في حياتهم الدنيوية بل ولا في برزخهم مع أن تلك العوالم وراء عالم القيامة ذي الأهوال العظيمة، وأشرف على كل هذا من دون إضطراب أو أي إرباك، أما نحن البشر العاديين لو كشف لنا عن واحدة من عجائب البحار التي خلقها الله ربما يسقط ما في أيدينا إذ ليس لدينا قوة مخيلة قوية، ولا قوة مفكرة ولا قوة حواس وإرادة ولا رباطة جأش كقوة نفسية رسول الله صلى الله عليه وآله، بحيث يعرج بها ـ النفس ـ إلى البرزخ وإلى الآخرة وهو حي بحياته في دار الدنيا، ولا تزهق روحه ولا يرتبك ولا يضطرب ولا ولا.....

إذن هذه القوة المخيلة وقوة القلب وقوة الروح وقوة العقل التي عند النبي صلى الله عليه وآله ليس كبقية البشر، والمشكلة التي في البشر سواء فلاسفة أو عرفاء أو صوفية فضلاً عن أنصاف المثقفين أنهم يقيسون حقائق ذات النبي صلى الله عليه وآله بذاتهم المتقوقعة الصغيرة، والتي هي قطرة في بحار العوالم، ولو يستطيع

الإنسان أن يخرج عن هذا المقاس الخاطيء لأدرك الحقائق أجمالاً، ولذا ترى أن أهل السير والسلوك وذو القدم الراسخ في المعنى والمعارف إذا إرتاض رياضة ثم ربما تباشره بالسلام قد لا يبقى له صبر ولا حوصلة ولا قدرة أن يتكلم مع أحد، لأنه خارت قواه، فهذا الذي هذا شأنه يريد أن يقيس روح النبيﷺ وذاته بنفسه، الذي لو أبتلي ببلاء يسير قد يفقد أعصابه وأرادته وعقله، بينما سيد الأنبياءﷺ أبتلي ببلاء وبمحن وكان يتلذ بهذه الامتحانات الربانية.

مقام معلم الحكمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

قاعدة الحجية العلمية والحجية التعبدية :

وهذه القاعدة ربما لم تطرح بشكل واضح ومفصل في علم الاصول بل حتى علماء الكلام للأسف لم يذكروها بشكل مفصل ومبلور مع أنها قاعدة مهمة، نعم حاول العلامة الطباطبائي أن يستنطق الآيات بهذا المنهج الذي سوف نذكره الآن ولكن لم يبينه بشكل مبلور ومفصل وهذه القاعدة هي:

أن هناك حجية للروايات أو للآيات ولكن لابما هي حجية تعبدية ظنية بل بما هي حجية تعليمية أو علمية.

ـ مثلاً ـ الرواية وظيفتها الألفات والتعليم إلى دليل أخر في نفسه تام سواء كان هذا الدليل التام عقلي أو برهاني أو قطعي ديني، وهنا بيان الرواية حجيته لاتتوقف على الحجية التعبدية.

ومن باب المثال، عندما يراجع أحد الباحثين ـ مثلاً ـ في علوم العقائد أو الفلسفة أو العرفان أو الكلام، وعندما يراجع أقوال العلماء في تلك المسألة أو في ذلك العلم لايراجع أقوالهم بما هي حجية تعبدية وإنما يراجع ويستعرض أقوالهم لكي يستكشف الأدلة المنطوية في أستدلالاتهم أو في كلماتهم، فهل هناك من يستنكر عليه ذلك؟!.

كلا فهو يقوم بالتأمل والاستعلام والاستبيان واستخراج الأدلة التي هي بنفسها أدلة وبغض النظر عن القائل، وهذا دأب كل علم من العلوم كالفيزياء أو الكيمياء أو الرياضيات وما شاكل ذلك، وهو منهج علمي وليس منهجاً جهلياً.

وهذا المنهج نفسه له دعوة أكيدة في القرآن وعند المعصومين عليهم السلام بمعنى أن أنظروا إلى الآيات وتدبروا فيها وهكذا الروايات أيضاً حتى نلتفت إلى الأدلة والبيانات البرهانية، فالمراجعة إلى الآيات والروايات على هذا النمط فوق الحجية التعبدية لأنه سوف نقف على البرهان والبيان، وعندما نقول هذه الرواية ضعيفة السند أو هي قوية السند فهذا لا يؤثر على هذا المنهج، وكذلك في الآيات من أن الدلالة في هذه الآية دلالة صريحة أو دلالة ظنية أو دلالة ظهور أو دلالة قوية متوسطة أيضاً لا تؤثر في هذا المنهج ولكن المدلول في نفسه تام أو لا هو المؤثر لا غير، وهذا ما يعبر عنه بالحجية التعليمية أو العلمية.

معلم الحكمة

القرآن الكريم يصف لنا النبي صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[1]، فالنبي صلى الله عليه وآله لاينحصر مقانه في كونه ولياً ومطاعاً وحاكماً بل هو معلم الحكمة، وهذا البحث لانجده بشكل مستقل في علم الكلام، إذ الكتب الكلامية غير مستوفية لمباحث كثيرة جداً، وهذا يعد نقصاً في منظومة علم الكلام لأنه مقام مهم قد نص عليه القرآن الكريم، فكما له الولاية والطاعة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2]، أو ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[3].وهذا مقام مقرر له صلى الله عليه وآله، ولكن أحد مقامات النبي صلى الله عليه وآله أنه (معلم الحكمة) و(معلم الكتاب) والكتاب يعني الذي يستطر فيه كل الحقائق للعوالم، وهذه الحقائق أميرها هو أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد روى أحمد بن عمر قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام لم سمي أمير المؤمنين عليه السلام؟. قال: لأنه يميرهم العلم، أما سمعت في كتاب الله: ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾[4]»[5].

(١) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٤) سورة يوسف الآية ٦٤.

(٥) الكافي للكليني ج١: ٤١٢.

معلم الحكمة

وفي رواية أخرى قال:«لأن ميرة المؤمنين من عنده، يميرهم العلم[١]، أي طعامهم الروحاني وهو العلم من عنده»[٢]. فالنبي هو الذي يزكي النفوس ويربيها ومن بعده يقوم بهذا الدور النبوي الأوصياء من الأئمة عليهم السلام.

الحَجية العلمية للحَديث لا التعبدية الظنية

الإسرائيليات لا تشتبه على الفقيه المتضلع

إن من مقامات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، أَنَّهُ صلى الله عليه وآله معلّم البشر والملائكة والجن وغيرهم.

[illegible] الْأُمِّيِّنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَاب وَالْحِكْمَة ﴾[٣].

فوصف تعالى نبيه بإنه معلم الكتاب ومعلم الحكمة ولا يخفى أن المعلم والتعليم رابطة وإرتباط مع البشر تختلف عن رابطة الولاية كما في قوله تَعَالَى: [illegible] اللَّهُ، وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[٤].

فارتباط الولاية آمرية من الوالي الولي، والمأمورية من الموالي الولي التابع،

(١) المصدر السابق.
(٢)شرح أصول الكافي للمازندراني ج٧: ٤٩.
(٣) سورة الجمعة: الآية ٢.
(٤) سورة المائدة: الآية ٥٥.

وأما التعليم فهو إحداث المُعلّم العلم لدى المُتعلّم.

فكون أحد شؤون النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مُعلّم الكتاب ومُعلّم الحكمة أي يوجد العلم بالكتاب ويوجد العلم بالحكمة في البشر.

ولا يخفى أن العلم بالحكمة ليس حجيته تعبداً ظنياً بل حجة من باب حجية العلم بالحكمة والبرهان.

وكذلك كونه معلم الكتاب الذي هو علم بالخطوط الكلية العامة الكونية الأكوانية أيضاً هو الآخر ليس حجية تعبدية ظنية. فلا ينفع في حصولها الطريق الصحيح للرواية والحديث لأن غايته هو الظن لا العلم واليقين والبرهان. بينما أحد أهم أدواره صلى الله عليه وآله القيام بدور التعليم للحكمة والكتاب.

صفة. أمير المؤمنين.

صفة. أمير المؤمنين.

وكذلك دور الهادي والهداية في الإمام والأئمة عليهم السلام هو التعليم لا الحصر في الولاية بل لك أن تقول أن من أرفع درجات الولاية والتولي هو التعليم والعلم والتعلّم.

[illegible]

«يمير العلم ملكوتياً على المؤمنين»[1]، اي صفة المعلّم والتعليم طبعاً لا يقتصر التعليم والعلم على قناة وطريقة واحدة بل من طرق شتى.

فالتعليم والعلم وهو إيجاد العلم في المتعلّم المكتسب المتلقي للعلم حجة

---

(١) الكافي: ج١ :٤١٢.

غير تعبدية أي الإنقياد ليس ناشئاً من الظن وأسبابه بل من أسباب العلم.

فلا يكون حجة تعبدية ظنية بل حجية تكوينية وهذه الحجية للعلم كما قررت في علم اصول الفقه وعلم الكلام أقوى من الحجية التعبدية الظنية ومقدمة عليها.

فإذا أتضح ذلك فليتنبه بالتفات مركز أن الحديث ليست حجيته منحصرة من ناحية الصدور وصدوره وطريقه من سلسلة السند للحديث والرواية الذي هو طريق ظني تعبدي إذا كان الطريق من خبر الآحاد من نقل الثقات أو هو قطعي أو هو طمئنيناني إذا كانت طرقه متواترة أو مستفيضة.

حجية العلم حجية للحديث

بل هناك جهة أخرى لحجية الحديث والرواية وهي حجية للعلم وذلك من ناحية دراسة المتن ودراية المضمون وفقه الحديث، فإنه إذا تضمن وأنطوى متنه على دلائل برهانية وقطعية، أو تضمن معناه لإشارات إلى دليل محكم آخر أو أحتوى مدلوله على إيماء إلى بينات يقينية، فإن حجيته سوف تكون من حجية العلم لا من الحجية الآتية من الصدور ولا من نقل الرواة ولا من إسناد الإخبار.

بل حجيته آتية من معاني متنه ومن قواعد مدلوله ومن دلائل مفاده وهي حجية يقينية من نظم قوالب المعنى ليست ظنية تتطرق إليها الريبة من الإسرائيليات ولا تحتمل التشكيك بالدس والدسيسة والوضع والوضيعة

و لا المرية من التدليس والكذب.

فلاحظ كم الفرق بين حجية الحديث من ناحية الطريق والسند

[illegible]

ثم ورد عنهم عليهم السلام «حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه»(١). وورد تعداد آخر في المفاضلة.

وهذا الإختلاف في المفاضلة راجع إلى درجة فهم متن ومعنى الحديث و مدلول الرواية.

فلاحظ كلام النَّبِيّ صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه مِنْهُ»(٢).

وورد عنه صلى الله عليه وآله: «رب حامل فقه وليس بفقيه»(٣).

فلاحظ كم يؤكد وينبه إلى أهمية فهم ودراية متن ومعنى الحديث وفقه مضمونه.

وكذلك لاحظ قوله تعالى الراسم لخريطة العلم والتعلم لعلوم الوحي: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٤).

(١) معاني الأخبار: ٢.
(٢) الكافي: ج٢: ٤٠٣.
(٣)المصدر السابق.
(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٢ .

فبعد ذكره للنفر إلى المعصوم النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام الذي هو وسيلة لنقل الحديث ولرواية الخبر أكد تعالى على فهم كلام الوحي ومعرفة منظومة تركيب معانيه وحقايقه.

ومن ثم ورد متواتراً أن أعظم ميزان لدراسة الحديث والرواية ليس هو الطريق للخبر والسند للرواية بل هو ميزان متنه ومعيار معناه وضوابط مدلوله، وهو عرضه على الكتاب والسنة، أي محكمات الكتاب ومحكمات السنة القطعية.

وهذا العرض ليس دراسة لوثاقة الرواة في سلسلة السند ولا دراية لأحوال رواة الرواية بل هو عرض لقوالب معاني الحديث على قوالب معاني الكتاب والسنة ومقارنة أطر المضمون لمضامين الثقلين ودراية لمتن الحديث.

فعلم الدراية علمان دراية لطريق وسند الرواية والحديث ودراية لمتن ومضمون ومدلول الحديث ومعنى الرواية والمروي.

والفقه كل الفقه للدين والفقيه كل الفقيه والعالم كل العالم المتضلع في فهم معنى الحديث وطبقات معانيه المنتظمة المترابطة بعضها ببعض علاوة وعلوا على الإلمام بأحوال طريق وسند الحديث والرواية.

ث م: «إنّا لا نعد الفقيه منكم فقيهاً حتى نلحن له فيفهم معاريض كلامنا»[1].

(١) معاني الاخبار:٢

وهو جانب مرتبط بدراسة متن الحديث لا مجرد طريقه وحال صدوره.

فاتضح إختلاف منشأ الحجيتين، كما هو الحال في إستعراض الباحث في أي علم أقوال الآخرين، فإن تصفحه لأقوالهم وكلامهم ليس لأجل الإنقياد التعبدي لهم بل لإستخراج الدلائل العلمية من كلماتهم.

فكذلك هو منهج الحجية العلمية والعلم للحديث فإنه لا يتوقف ولا ينحصر على حال طريقه وصحته من ضعف سنده بل العمدة والعماد والركن والأركان والمركز والركاز هو دراسة متنه والبحث في مضمونه ومعانيه.

ومنه يتبين ما قاله المفيد والطوسي والمحقق الحلي وجملة من الأعلام المتقدمين:

من أن هناك مسلكاً حشوياً قشرياً وآخر مسلك المحصلين المحققين هو إشارة إلى هذا الفرق بين الإقتصار على دراسة السند والطريق في الحديث وبين دراسة متن ومدلول الحديث ومعناه.

ومنه يظهر أن المعاداة والتحسس من الحديث بذريعة الإسرائيليات نظرة ومسلك حشوي وقشري لا تحصيلي تحقيقي.

حجية فاطمة عليها السلام وعلم الكلام

وأيضاً من المباحث التي لم تكن مستقلة ومبلورة في عدة من كتب الكلام حجية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهل رأيتم في عقائد الإمامية مثلاً

للشيخ المظفر أو في شرح التجريد أو في الباب الحادي عشر أو في كتب المحقق الطوسي وغيره مبحث حجية الزهراء عليها السلام مستقل ومبلور؟!. ولاريب أنهم يؤمنون بهذه العقيدة الحقة ولكن لم يعقدوا لها بحثاً مستقلاً ولامحوراً مبوباً.

ولذلك فإن المعارف والعقائد المذكورة في القرآن الكريم وفي الروايات لا يظن أن العلماء أستقصوها كلها في علم الكلام.

ومن المباحث التي لم تكن مبلورة أيضاً بحث الملائكة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وملائكته وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ...﴾[(١)]، نعم في البحار والكافي باب معقود لذلك ولكن تبعاً للروايات، في حين لم تعقد كتب الكلام هذا البحث إلا أستطراداً، مع أن الإيمان بالملائكة أمر لا بد منه وليس أمراً خيارياً.

وكذلك مبحث البرزخ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(٢)]، لايرى له بحثاً مستقلاً مع أنه مهم جداً، والشبهات الراهنة لدى الوهابية والسلفية جلها تتضمن وتنطوي على إنكار البرزخ بمعنى إنكار بقاء حياة الروح، وهذا القصور في المعرفة بسبب سقم التبويب والتصنيف الموجود في كتب الكلام لدى المسلمين وأنها غير حاوية ولا وافية لكل الأبواب، وهذه ظاهرة حساسة ينبغي الإلتفات إليها.

ومثال أوسعية المنابع والأدلة الشرعية على عناوين الأبواب والمسائل

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٠٠.

المدونة في كتب العلوم الدينية أنه لو نقارن بين أبواب الفقه الموجودة في كتب المعاصرين وبين أبواب الفقه في كتب القدماء سوف نرى أضعاف أضعاف العدد موجوداً الآن في كتب الفقه المعاصر، لأن المتأخرين أستنبطوا وأستخرجوا أبواباً فقهية جديدة لم تكن قد ألتفت إليها سابقاً، مع أنها موجودة في الآيات والروايات، كذلك الحال في المعارف والعقائد، وربما الأقدمين يشيرون إليها ولكن إجمالاً، إرتكازاً، إستطراداً تبعاً، ولكن هذا لا يدعوننا إلى الأستيحاش من بلورة وعنونة مسائل وأبواب مقررة في الأدلة من الكتاب والسنة للمعصومين عليهم السلام، ولابدَّ للباحث أن يستنبط القواعد والثوابت والضوابط والمنهج القويم الصحيح.

شبهات وردود حقايق

هناك تساؤلات وشبهات أثيرت في الآونة الأخيرة من قبل كاتب معروف[1] في الساحة الإسلامية حول خاتمية النبي صلى الله عليه وآله، وفي الحقيقة أن هذه التساؤلات ليس هو إلا ناقلاً لها عن جملة من الكتاب الغربيين أو الفلاسفة الماديين أو جملة من بعض العرفاء أو الصوفية.

توهم حصر عصمة النبي صلى الله عليه وآله بنزول جبرئيل

ومن ضمن المسائل التي طرحها أنه كيف يمكن أن نتصور عصمة وعصماوية النبي صلى الله عليه وآله، وأن جبرئيل ينزل عليه صلى الله عليه وآله بأستمرار ويعرج إلى السماء في كل مشهد من مشاهد النبي صلى الله عليه وآله وأن هذا لا يمكن تعقله فلسفياً ولا بحسب علم الكلام هذا ما زعمه هذا الكاتب المعاصر.

شبهات وردود حقايق

ولا نعلم لأي قاعدة فلسفية أستند، وأي قاعدة من قواعد علم الكلام تمنع أو تحيل أن يكون جبرئيل وسيط ملكوتي وحياني بين السماء والأرض في كل آن من الآنات.

فقد توهم وحسب أن النزول والعروج الملكوتي يستغرق أياماً أو سنيناً أو ساعات، فكيف يمكن أن نتصور عروج جبرئيل ونزوله من العرش أو من السماء ونزوله بالأمر والتسديد الإلهي والتوجيه المسدد للنبي صلى الله عليه وآله في لحظات قليلة، وكذلك كيف هو عروج النبي صلى الله عليه وآله[١]، إن هذا الكلام ينطوي على غفلات كثيرة جداً وهو لم يصرح في كلامه أنه على أي قاعدة علمية أو فلسفية أستند إليها حتى تكون تساؤلاته علمية ودقيقة.

مع أنه قد ورد في بعض روايات المعراج أنه عندما خرج النبي صلى الله عليه وآله من بيت أم هاني إلى الإسراء والمعراج والعروج علق ردائه الشريف صلى الله عليه وآله بكوز ماء فأماله بظرف من الظروف الطينية الفخارية التي فيها الماء فأخذ ينسكب منه الماء والنبي صلى الله عليه وآله ذهب إلى المعراج بتوسط جبرئيل وبواسطة البراق وأكمل المعراج وعاد إلى مكة المكرمة ثم إلى بيت أم هاني وذلك الظرف الذي ينسكب منه الماء لا زال ينسكب ولم ينقطع.

إذن كم كان يستغرق أنسكاب هذا الماء من ظرف طيني فخاري؟!. إنه أقل من الساعة ولا ريب في ذلك، وهذا هو وقت المعراج في أحد

(١) الدكتور عبدالكريم سروش.

المرات من بدايته إلى نهايته.

وفي مراسلات النابغة (أنشتاين) مع (السيد البروجردي) وهي محفوظة الآن يقول أنه من هذه الرواية عرفت أن الزمان نسبي، يعني أن الزمان بحسب كل مجال وكل دائرة يختلف عن زمان مجال آخر، فربما زمان سنين هو ساعات بحسب مدار فلكي آخر، وهنا بحسب المدار الأرضي ساعة أو نصف ساعة فالمقاسات الزمانية تختلف وليس الزمان واحداً، هذا مضافاً إلى لطافة الزمان في الجسم المجرد عن هذه المادة الغليظة وإن كان له مادة لطيفة، فمثلاً في عالم الرؤيا المنامية، أنت تشاهد مشاهد وأحداث كثيرة تطول بك وربما لم تستغرق هذه المشاهد إلا خمسة دقائق في المنام، فكذلك الحال بالنسبة إلى عروج النبي(صلى الله عليه وآله)، فإن الزمان هنا غير الزمان في عالم الملكوت وفي السموات وفي مافوقها من عوالم جسمية ألطف.

توهم حصر عصمة النبي بنزول جبرئيل

إن مثل هذه التساؤلات والإشكالات تفتقد وتفتقر إلى أبسط مراعاة الموازين العلمية. هذا كله لو حصرنا العصمة والتسديد بنزول جبرئيل والحال أن أركان العصمة للنبي(صلى الله عليه وآله) والمعصومين(عليهم السلام) من بعده على أنواع وأقسام من الوحي.

والمهم إن هذه الإشكالات التي طرحها هذا الكاتب مبنية على أن الوحي هو من هذا القسم فقط، أي أن الوحي الذي هو جبرئيل هو الطريق الوحيد للنبي(صلى الله عليه وآله) من عروج وهبوط وصعود ونزول وهو الذي يسدد النبي(صلى الله عليه وآله).

ومن الغريب إدعاء الكاتب والباحث الإحاطة ببحوث الروح وبحوث الوحي والمشاهدات العينية، ومع ذلك يفترض حصر الوحي بمجيء جبرئيل هو الوحي والوسيط بين النبي ﷺ وبين الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يوجد غير هذا الطريق من هذه الوساطة للوحي.

والحال أن أقسام الوحي عديدة قد فصلها القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام بيّنت ذلك بشكل مفصّل، وقد مرت الإشارة إلى ذلك سابقاً.

توهم حصر عصمة النبي بنزول جبرئيل

وإذا تم البناء على هذا القول من حصر نمط الوحي بالواسطة بين السماء والنبي ﷺ المتمثل بجبرئيل فسوف نخرج بخطأ فادح وهو كون حقيقة عصمة النبي ﷺ حصراً من خلال الوحي التكميلي بإرسال جبرئيل عليه السلام لا غير، وإن كانت العصمة والسداد حتى على هذا المبنى الضيق الأفق قابلة للتصوير للنبي ﷺ، على ضوء هذا التعريف القاصر في أقسام وأنواع الوحي ثم ربط تعريف العصمة للنبي ﷺ والسداد العصماوي بهذا النمط الوحيد من الوحي فقط، لكن سوف تنشأ جملة من الإشكالات والأستفهامات، إذ التعريف القاصر للوحي وحصره في زاوية واحدة محددة هو الذي يسبب أوهاماً من الإبهامات لعقول جملة من الباحثين والكتاب والمفكرين وغيرهم من المسميات الأخرى تشكل وتستفهم وتدعي غير ما أنزل الله به من سلطان.

وهؤلاء لا يفرقون بين الجنبة البشرية والجنبة الوحيانية، فمن القواعد

التي مرت بنا سابقاً والتي هي من القواعد المهمة في تعريف هوية سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[1]، فالجنبة البشرية مشتركة بيننا وبين النبي صلى الله عليه وآله، وهي أولى مراتبه صلى الله عليه وآله فآخر مراتبنا هي بداية مراتبه كما أن آخر مراتبه هي الجنبة الوحيانية المستمرة وله بين المرتبة الأولى والأخيرة مراتب لاتحصى، كما أن المرتبة الوحيانية منه صلى الله عليه وآله لاتتناهى ولاتنقطع ومن ثم ذكرت في الآية بصيغة الفعل المضارع للاستمرار ولم يقيد طبيعة الوحي المستمر بوقت زماني لامبدأ ولامنتهى أي لم يحدد لإفاضة الوحي الإلهي عليه صلى الله عليه وآله بمبدأ زماني بزمن البدن مثلاً ولابمنتهى زماني فتلك الجنبة الوحيانية في ذاته أسبق إيجاداً من البدن، فهناك بعد ذو مراتب وراء الجنبة البشرية أي مراتب جنبة في الحقيقة التكوينية لسيد الأنبياء يمتاز بها عنا وهو أنه يوحى إليه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[2].

وكونه إنساناً وفيه جنبة الحياة البدنية وفيه جنبة النمو وجنبة الإحساس والنطق والإدراك العقلي، ومما يشترك بهذا مع باقي البشر،كما له جنبة كمال مودع في حقيقة ذاته صلى الله عليه وآله وهذه الحقيقة (يوحى إليه).

وهذا المائز وهذه الجنبة التي عند خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله الذي هو الوحي ليس على قسم واحد، وهو الوحي الذي من نمط النزول والصعود والهبوط والعروج لجبرئيل، كلا وإنما هذا أحد الأقسام.

---

(١) سورة الكهف: ١١٠، فصلت: ٦.

(٢) سورة النجم: الآية ٣ ـ ٤.

نزول القرآن

فقد أتفق كثير من المفسرين ـ ومن كلا الفريقين ـ والمتكلمين قالوا بان نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وآله على أقل تقدير هو على نمطين وليس على نمط واحد، ولم نقل مرتين على نمطين وكيفيتين، نعم هناك من يستشكل على ذلك أو ينكر أو لا يستطيع أن يتفهم كيفية نزول القرآن الكريم على نمطين، والنمطان هما:

الأول: نزول القرآن جملة واحدة وفيه لم يكن الوسيط هو جبرئيل بل الوسيط هو روح القدس الذي هو الروح الأمري، وهذا ما أشارت إليه جملة من الآيات والروايات، كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾[1].

وهذا ما بينه الإمام الصادق عليه السلام كما مر بنا سابقاً حيث قال: عليه السلام: (هو خلق من خلق الله عَزَّ وَجَلَّ أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده)[2].

والذي يدل على أن القرآن نزل دفعة واحدة وفي شهر رمضان آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾[3].



(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.
(٢) الكافي ج١ : ٢٧٣.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

روي أن عطية بن الأسود سأل أبن عباس فقال: (إنه قد وقع في قلبي الشك قول الله: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ وقد أنزل في شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وشهر ربيع الأول.

فقال ابن عباس: في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام)[(١)].

ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾[(٢)]،وقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[(٣)].

فجبرئيل عليه السلام هو الذي ينزل نجوماً بالقرآن فالروح إذن غير جبرئيل.

نعم جبرئيل هو الروح الأمين كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[(٥)].

ففي النزول دفعة واحدة لم يكن الوسيط هو جبرئيل بل الروح الأمري وهو أعظم من جبرئيل كما جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ج١: ١٨٩، تفسير الثعلبي ج٢: ٦٨، تفسير البغوي ج١: ١٥١.
(٢) سورة طه: الآية ١١٤.
(٣) سورة القيامة: الآية ١٦ ـ ١٧.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٥) سورة التكوير الآية ٢١.

﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾.

فعن الإمام الصادقعليه السلام: «... الروح خلق أعظم من جبرئيل، إن جبرئيل من الملائكة وأن الروح خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾»[1].

وهناك آيات عديدة تذكر الروح والملائكة معاً تثنية، وهذا يعني أن الروح غير الملائكة كقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾[3].

وأما النزول التدريجي أو النجومي فقد بدأ من يوم المبعث الشريف.

يوم مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

في يوم السابع والعشرين من شهر رجب بعث النبي رسولاً، وإن ورد في التعبير الروائي:(**نُبئ رسول الله**)، وورد أيضاً بعث أي: بُعث رسولاً بالبعثة النبوية، لأن هناك فرق بين النبوة والرسالة، النبؤة: تنبئ النبي بالوحي عبر قنوات وأنواع مختلفة، ولكن البعثة: أن يحمل مأمورية ومسؤولية ودوراً يبتعث فيه إلى قومٍ وإلى الناس لينذرهم.

والمهم أنه بُعث رسولاً، وإلا فالنبيﷺ هو على اتصال بقنوات الوحي،

(١) المحاسن للبرقي ج٢: ٣١٥، بصائر الدرجات للصفار: ٤٦٢.
(٢) سورة المعارج الآية ٤.
(٣) سورة النحل: الآية ٢.

وهو حقيقة النبوة منذ ولادته صلى الله عليه وآله بل قبلها من العوالم السابقة، أما كونه بُعث رسولاً فذلك في سن الأربعين في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، وأما الإسراء والمعراج فقد كان ذلك عند علماء الإمامية تبعاً لروايات أهل البيت عليهم السلام في السابع عشر من شهر رمضان[1]، أو في السابع عشر من شهر ربيع الأول[2]، أي أن ميلاد الرسول صلى الله عليه وآله هو نفسه يوم الإسراء والمعراج.

والإسراء والمعراج في هاتين الروايتين في شهر رمضان أو في شهر ربيع الأول، نظراً لما في رواية أخرى قد وقع الإسراء والمعراج مرتين[3]، بل في رواية رابعة قد وقع مائة وعشرين مرة[4].

إذن في يوم المبعث نُبئ أي أبتعث رسول الله صلى الله عليه وآله رسولاً، حيث نزلت عليه أول سورة في القرآن، سورة العلق على أشهر الأقوال: (أقرأ قال ما أنا بقارئ) أي ماهو الشيء الذي أقرأه، إلى بقية الأمر.

وأما في روايات العامة أو مصادرهم التاريخية، فليس محسوماً أن يوم المبعث هو يوم الإسراء والمعراج، هذا أبن إسحاق صاحب كتاب المغازي، ذكر في كتابه السيرة النبوية وهو من أقدم المصادر، وكذلك الواقدي ذكر أنه قيل السابع والعشرين من رجب وقيل السابع عشر من شهر رمضان

يوم مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) مناقب آل أبي طالب ج١: ١٥٣ ،البحار ج١٨: ٣١٩.
(٢) الأقبال:٦٠١ .
(٣) الميزان ج١٣ :٣١.
(٤) البحار ج١٨: ٣٠٧، ٣٨٧ .الخصال:٦٠٠ .بصائر الدرجات:٩٩.

وقيل السابع من عشر من ربيع الأول وهو مولد النبي صلى الله عليه وآله، ولكن لهم ـ ظاهراً ـ دواعٍ لتغيير ليلة المبعث أو يوم المبعث وراءه التعتيم على حقيقة نزول القرآن دفعة جملة واحدة. لأن كون ليلة المبعث أو يوم المبعث من شهر رجب، بداية نزول القرآن، كيف يتوافق مع ما في سورة البقرة وسورة الدخان وسورة القدر من أن القرآن نزل في شهر رمضان؟: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[3].

وظاهر الآية في سورة البقرة أن القرآن نزل جملة واحدة، كما في سورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾[4]، وليلة القدر في شهر رمضان، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ظاهر الآية إنزال كل القرآن، كذلك في سورة الدخان: ﴿حمٓ ① وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[1] أيضاً كل القرآن.

فللقرآن نزولان كما بينا سابقاً: نزول يعبر عنه بالنزول الجملي، يعني جملة واحدة، هذا النزول الجملي يحرج الأدبيات العقائدية لدى المذاهب الإسلامية الأخرى ويستعصي عليهم بيانه، إذ تواجههم عدة أسئلة وحقايق حول حقيقة هذا النزول الجملي الواحد، منها : أنه ماصلته بالروح الأمري المغاير لجبرئيل عليه السلام.

(١) مناقب آل أبي طالب ج١ :١٥٣ .

ومنها: هل هو نزول لألفاظ ومعاني أم نزول لحقيقة تكوينية وراء الألفاظ والأصوات والمعاني، وعلى التقدير الأول فكيف يتلائم مع الزمان المأخوذ في تركيب الألفاظ والمعاني وتسلسل الأحداث زمناً.

ومنها: أنه إذا كان النازل أمراً وحقيقة مغاير للألفاظ والمعاني فهذا الأمر أين هو؟، وعند من بقي بعد رسول الله ﷺ لأن حقيقة القرآن لم ترتفع برحيل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وغير ذلك مما هو متصل ببحث الإمامة، فإذا أثبتنا أن ليلة السابع والعشرين من شهر رجب مبعث نبوي، وإن القرآن نزل نزولاً جملياً في شهر رمضان سيكون هناك للقرآن نزولان: نزول ألفاظ ومعاني وأصوات القرآن الكريم الذي يسمى نزولاً متفرقاً نجومياً، لتفرق الآيات والسور بحسب موارد أسباب النزول، ومن ثم سُميّ القرآن فرقاناً يعني مُتفرق، هذا النزول كان أبتداؤه من أول البعثة النبوية، ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة في يوم السابع والعشرين من شهر رجب نزل نزولاً متفرقاً، بداية السور سورة العلق إلى نهاية السور وهي سورة المائدة على أشهر الأقوال.

مبحث الإمامة وليلة القدر

وهذا هو نزول أقوال وألفاظ ومعاني القرآن، وكان متفرقاً بحسب أسباب النزول، إبتداؤه من ثلاث عشرة سنة قبل البعثة، أربعون سنة بعد عام الفيل، حيث كان سن النبي الشريف أربعين عاماً حسب التقويم الجاهلي العربي السائد، وثلاث عشرة سنة قبل الهجرة، وهذا نزول، وهناك

نزول من سنخ آخر من نوع ولون ونوعية أخرى من نزول القرآن.

وكون القرآن ينزل على نمطين، ونوعين، ولونين للقرآن، فهذا محرج للمباني الإعتقادية للطرف الآخر، إلا أن الكثير منهم أعترفوا وأقروا به، لأن سورة البقرة صريحة في بيانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[1]، وماذا يصنعون بهذه الآية؟ وأما ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾[2]، فواضح بأنها أول سورة نزلت على الرسول صلى الله عليه وآله، وهي في يوم المبعث صبيحة السابع والعشرين من شهر رجب، فكيف التوفيق؟ ولا بد لذلك من نزولين، النزول الجملي للقرآن، النوع الثاني حصوله ليلة القدر، وهو مرتبط بليلة القدر ومنتهاه ليلة القدر أيضاً؟ هو نزل كله جملة معاً.

فالأمور التي تحرج الطرف الآخر ههنا، وتبين دلائل على إمامة أهل البيت عليهم السلام، وأرتباط شخص معصوم على وجه الكرة الأرضية دوماً بهذه الحقيقة للقرآن التي نزلت في ليلة القدر المرتبطة بالروح الأمري لابجبريل عليه السلام والروح الأمري قناة إتصال بالغيب والسماء ما دام القرآن موجوداً، والذي يدل على ذلك هو سورة القدر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ الضمير يعود على القرآن الكريم كله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ

---

(١) البقرة:١٨٥ .

(٢) العلق:١ .

ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾[1]، هذه السورة واضحة أنها تربط بين نزول القرآن جملة وبين تنزل الملائكة والروح، يعني أن هناك صلة وثيقة جداً بين ليلة القدر وبين تنزل القرآن جملة واحدة.

أيضاً لاحظ سورة الدخان: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ ﴾[2]، ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ ﴾ بتعبير علماء العربية: جملة فعلية تدل على الأستمرار، شأن ليلة القدر أن فيها فرقاً أي أن فيها باستمرار السنين قضاءاً وقدراً، تفصيل، تنظيم، تدبير، وفوق هذا: تطبيق الأمور التي هي مجملة إلى تفاصيل في ليلة القدر، شأنه، بيئة ليلة القدر متناسبة مع نزول القرآن الجملي، نزول القرآن الجملي هذا ما هو؟ الكثير يسئل كيف كان نزول القرآن جملة ؟ قالوا نزل في البيت المعمور. ما هو البيت المعمور؟ البيت المعمور في السماء الرابعة، أو البيت المعمور هو قلب النبي صلى الله عليه وآله، وكلاهما معنيان لا يتنافيان ولا يتدافعان.

وفي سورة الشورى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ ﴾[3]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ ﴾، ما الفرق أو الصلة بين إيحاء الروح والكتاب فبوحي الروح له

---

(١) سورة القدر: الآية ٢ ـ ٥.

(٢) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٥.

(٣)

حصلت له دراية الكتاب؟ هذه الأمور نبّه عليها أهل البيت عليهم السلام وهم أصحاب أسرار القرآن: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ،إذاً بين الكتاب، الكتاب يعني جملة القرآن، وبين إيحاء الروح أرتباط بتمام الحقيقة بينهما نظير هذا الأرتباط موجود في سورة القدر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ـ يعني كل الكتاب ـ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ـ أينما ورد الكتاب جملةً ورد معه الروح ـ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ ، هذا في سورة القدر وفي سورة الشورى كذلك، وفي روايات أهل البيت عليهم السلام إشارة إلى مثل هذه الأسرار من المعادلات العلمية، وأيضاً في سورة النحل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ ، متى تنزل الملائكة؟ في ليلة القدر ﴿ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ ـ ليس التعبير أنبياءه أو رسله، التعبير: ﴿ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[1]، ليدلل الله عَزَّ وَجَلَّ على أن الذي يتنزل عليه القرآن في ليلة القدر ويتنزل عليه الروح في ليلة القدر، هو من يشاء من عباده بعد النبي صلى الله عليه وآله.

إستمرارية ليلة القدر

ليلة القدر الآن بضرورة المسلمين مستمرة وتنزل الملائكة وتنزل الروح فهل هناك أرتباط بين الروح وبين نزول القرآن جملة أم لا ؟. سورة النحل تكشف لنا أن نزولهم ليس عبثاً، نزولهم ليس بعبط، نزولهم ليس

(١)

إستمرارية ليلة القدر

سدى، وليس لغواً، نزولهم على من ؟: ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ ، من هذا الذي أصطفاه الله وشاءت المشيئة الإلهية أن يكون عبداً مصطفى تتنزل عليه الملائكة والروح كل عام إلى يوم القيامة ؟ ملف النزول الثاني للقرآن يفتح لك أبواب مفصلة عن الإمامة حرجة للطرف الآخر.

فتحصل أن نزول القرآن على نمطين ونوعين ولونين، نمط نزول متفرق للقرآن الكريم بدأ من ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة وأستمر ثلاثاً وعشرين سنة، بدأ من السابع والعشرين من شهر رجب إلى سنة وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، هذا نمط فرقاني ـ متفرق ـ لنزول القرآن، نزول أصوات وحروف ومعاني القرآن، نمط آخر لا الوقت يسعه ولا الساعات والشهور، بحوث طويلة فيه، كما أرشد أئمة أهل البيت في رواياتهم لذلك، نمط آخر له لون آخر، نوع آخر، من خصائصه أن نزوله بجملة القرآن، هذا النزول من القرآن ليس نزول أصوات وحروف، إنما هو نزول لحقيقة القرآن مرتبط بروح القدس.

في رواية الفريقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:**«يجيء يوم القيامة القرآن كالرجل الشاب فيقول لصاحبه: أنا الذي أسهرت ليلك...»**[(١)].

ذاك الشاب قرآن أم فرقان أم ماذا؟ إن كان قرآنا وأعتقدنا أن حقيقته ليست إلا المصحف الشريف، حروف وأصوات، فهذا الذي يأتي في روايات الفريقين يشهد لمن تلاه ولمن حفظه، من هو هذا؟ هذا مرتبط بالنزول

(١)

الثاني، النزول الثاني نزول روح القدس، الروح الأعظم وهو القرآن حقيقة وهو حقيقة القرآن.

علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحجيته على الإنبياء عليه السلام

يقول الباري تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ، والقرآن الكريم يخبرنا بذلك، لنعلم أن الذي يأتينا من سيد الإنبياء (صلوات الله عليه) أحق بالإتباع من الذي يأتينا عن النبي إبراهيم أو عن النبي موسى أو عيسى أو نوح، ولذلك مرت سابقاً في الآيات قوله تعالى: ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ في سورة الشورى، يعني خاص لك يا محمدﷺ، وليس لجميع الأنبياء والرسل، إن أمر الحجية أمر خطير وأحد خواص الحجية أنها حاسمة وتحسم مفترق الطريق بخلاف بقية المقامات، فمثلاً مقام الشجاعة والكرم واليقين والصديقين والمتوسمين وأهل الفراسة والزهد وأهل الشوق وأهل المحبة وأهل العفاف ومقام الإحسان، تلك المقامات قد لا تكون حاسمة، لأنه قد تزاحمها صفة أخرى فضيلية أو ثالثة فضيلية أو قد تزاحمها التجنب والوقاية عن صفة رذيلية، فالحسم ليس من الضروري أن يكون من نصيب تلك المقامات أو من نصيب أصحاب تلك المقامات.

والحجية ليست في لقمان مثلاً بل الحجية في نفس الدليل المدلل المبرهن الذي يدلي به لقمان، وفرق بين أن تكون الحجية لنفس لقمان وبين أن تكون الحجية صفة لما ينطوي عليه ويفيده لقمان، ففرق بين أن يكون الحجية للشخص نفسه وبين نفس العمل الصالح وصلاح العمل في

نفسه، فميزان الصلاح ذاتي منطبق على العمل نفسه، وكثيراً ما البشر يحصل لديهم امتزاج وخلط بين صفات العامل وبين صفات العمل وبين حكم العمل أو الفعل أو الشيء المعين وبين صفة صاحب العمل أو الشيء، فإن بينهما فرق، وفي لقمان لا يستشهد الباري تعالى بذات نفس لقمان بل يستشهد بالعلم الذي أعطي للقمان من حيث أنه متضمن للبرهان، فالحجية لنفس العلم بما اشتمل عليه من برهان لا صفة للقمان، وهذا بخلاف ما لو قبل لقمان النبوة لكانت الحجية له في نفسه.

مثلاً أهل اليقين و السداد والصلاح والنجدة والنجابة والكرم الحجية لا في ذات أنفسهم بل لنفس ميزانية ذات العمل من حيث أنه منطبق على الموازين والصفات الميزانية والفضيلية بلحاظ نفس العمل، ويجب أن نفرق بين المقامات التي تكون الحجية صفة لنفس الذات وبين الحجية التي تكون لنفس العلم أو لنفس الصفات الميزانية، والقران عندما يستشهد مثلاً بمؤمن آل فرعون أو مؤمن إنطاكيا (حبيب النجار) فإنه يستشهد بما تضمن كلامهم من حجج لا بنفس صفة الحجية لذواتهم.

هدى النبي وعلي

ومن باب المثال القران يخاطب النبي صلى الله عليه وآله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1]، ولم يعبر الباري فبهم اقتده، والفرق بين الخطابين لأجل أن سيد الأنبياء أعظم

هدى النبي وعلي

---

(١)

من إبراهيم وموسى وعيسى ونوح وآدم عليه السلام فكيف الأفضل يتبع المفضول. نعم الوحي الإلهي المنزل إليهم الذي هو فعل الله (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) فالهدى من الله وهو فعل الله فهو يقتدي بهذه الحقيقة التي هي فعل الله تعالى وبما تضمنه هذا العلم الوحياني، لا أنه (فبهم أقتده) فإنهم ليسوا في مقام الحجية على النَّبِيّ صلى الله عليه وآله. نعم علم الوحي بأعتباره فعل الله فهو حجة في الوحي فكل الأنبياء بالنسبة إلى سيد الأنبياء ليسوا حجة بل الوحي النازل عليهم هو حجة عليه، والأنبياء حجة على البشر وهذه نكتة لطيفة.

مثلاً أمير المؤمنين عليه السلام ليس بحجة على رسول الله بل إن رسول الله صلى الله عليه وآله حجة على أمير المؤمنين عليه السلام،وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام حجة على الحسنين وليس الحسنان حجة على أبيهما، وفاطمة عليها السلام بناءاً على أنها مفضولة لأميرالمؤمنين عليه السلام فهي ليست بحجة على أمير المؤمنين عليه السلام وأمير المؤمنين حجة عليها. نعم علم فاطمة عليها السلام الذي تنزل به جبرائيل حجة على أمير المؤمنين عليه السلام، ففي عالم الحجج من يكون أعلى يكون حجة على من دونه ولا يكون من دونه حجة عليه لكن إذا كان فعل الله في البين فهو الذي يكون حجة، فالعالم علمه بعلم مكتسب حجة على العباد وليس ذاته والفرق هو أن الذات إذا صهرت وعجنت بذلك العلم تصير الذات حجة سلوكاً وفهماً ومعرفةً، أما إذا كانت الذات ليست معجونة بذلك العلم كما هو الحال في غير المعصوم وحينئذ تكون تلك الصفة أو ذلك الشيء حجة وليس صفة لزومية لتلك الذات، لأن تلك الذات يمكن أن تفارق ذلك العلم، وأما عندما تكون نفس الذات حجة فالكمال الذي يكون أكمل من

الشؤون التي عند تلك الذات هي الحجية، والذات عندما تكون حجة فبالتالي الذات في كل مواقفها وسيرتها وإقدامها وإحجامها تكون حجة، أما إذا كانت الحجية للعلم كصفة مكتسبة فالعلم يحتاج إلى من يطبقه ويحتاج إلى من يوزنه أو يعادله بجهات أخرى ولا يصير كل شيء في الموصوف به حجة.

للحجج مراتب

ونفس الحجج التي مرت لها مراتب وأحد الفتن والأمتحانات الشديدة العظيمة التي يمتحن الله بها كل العباد هو الإمتحان في المعرفة والبصيرة التي تشق الفتنة في المعرفة في مقابل الضلال، هي هذه أشد الامتحانات من إمتحانات الشهوة والغضب والرئاسة ومن كل شيء وإن كانت تلك إمتحانات شديدة، لكن الإمتحان في البصيرة والمعرفة شديد جداً، وأحد الأمور المهمة في النجاة من إمتحان فتنة المعرفة البصيرة هو تمييز الحجة عن اللاحجة، وأمر آخر في النجاة من فتنة المعرفة والبصيرة هي شيء أعقد ويخفق فيه الكثيرون هو معرفة مراتب الحجج، وتمييز الحجة عن اللاحجة يمكن لنخبة أن يفرقوا بينهما وهذا بخلاف تمييز مراتب الحجج نفسها فإنه يمتحن به الأنبياء فضلاً عن دونهم حيث يوجد ضلال وإضلال وإفتتان في مراتب الحجج، مثلاً فتنة تشابه دلالة آية ظنية يعمل بها مقابل محكم من القران، وقد أمتحن الله تعالى اليهود والنصارى في تمييز حجية الحس عن حجية المعجزة، وجعل إتباعهم للحس ضلال مع أن

الحس حجة في نفسه، ومن أحد مصادر البديهيات لكن درجات البديهيات تختلف.

وبعبارة أخرى يمتحن الله عباده في قدرة تمييز عقل الإنسان في درجات حجية البديهيات: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[(١)]، فألقى إنعكاس أضواء شبه النبي عيسى وليس هذا سحراً ولكنه حقيقة حسية لا تكشف عن الحقيقة تماما كما هي المعجزة، فإن المعجزة حيث قد أخبرهم عيسى عليه السلام بدلائل وببينات وبراهين أنه باقي إلى دولة آخر الزمان في خلافة آخر الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد أخبرهم بنزوله آخر الزمان فلديهم وعندهم علم بنزول عيسى عليه السلام، والنبي عيسى عليه السلام بنفسه معجزة وما أدلى به من كلام الوحي هو فوق الحس، لكنهم حكّموا الحس على الوحي، وهذا إمتحان وفتنة ومع أن الحس حجة لكنه حجة دون حجية الوحي، ونفس مراتب البديهيات كما هو مبين في العلوم العقلية هي مراتب للحجج، مثلا الأوليات أبده من الحسيات فمن يتبع الحسيات ويترك الأوليات سوف يضل، وهذه هي الصعوبة والوعورة والشدة، فإن الحجة لها مراتب فإذا أتبعت الحجة الدنيا وتركت الحجة العليا فهو الضلال، لأن مساحة الحجية الدنيا حجيتها محدودة فإذا خرجت عن مساحتها إلى مساحة حجية أخرى ولم تتبع الحجية العليا فالمآل إنقطاع الضياء والمصباح والوقوع في الضلال، وهذه الحقيقة في نظام الحجج يشير إليها مافي قول

---

(١)

النَّبِيّ ﷺ: لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلاّ إتباعي ولو اتبعا ما يوحى إليهما وتركا ما يوحى إلي لهويا أو لضلا[(١)].

بمعنى أن حجية ما يوحى إلى سيد الأنبياء أعلى بمراتب من حجية ما يوحى إليهما.

وإمتحان الباري تعالى للأنبياء في البصيرة عظيم جداً وفي معرفة بطون الحقائق: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[(٢)]، وبتعبير أحد الأعلام أن الباري يقول لا أريد في الخلافة مجرد مقدس وعابد بل يتأهل لها العالم: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[(٣)] و: ﴿ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ . . . قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[(٤)]، فلا علم لهم بالأسماء كلها: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[(٥)]، وإن كان لديهم قدس وعبادة لكن هذا في دون ظل العلم. إذاً البصيرة في المعرفة مهمة جداً.

أمتحان النبِي صلى الله علَيهِ وآله وسلم

وفي رحلة معراج النبي ﷺ وفي خضم تلك الرحلة خاض النبي عدة إمتحانات وأكثرها في البصيرة وكأنها هي نوع من إرادة الباري أن يبرز

(١)
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة: الآية ٣١ .
(٤) سورة البقرة: الآية ٣١ـ ٣٢.
(٥) سورة البقرة: الآية ٣٣ .

للملائكة وطبقاتهم كيف أن سيد الأنبياء نافذ البصيرة، مثلاً ناداه هاتف ولم يعتني به بل لم يلحظه وثاني وثالث لم يعتني به فجاء جبرائيل وقال للنبي صلى الله عليه وآله الهاتف الأول الدنيا ولو التفت إليها لطمعت أمتك في الدنيا، والهاتف الثاني يهوذا الذي هود اليهود ولو التفت إليه لتهودت أمتك، والثالث بولس الذي نصر النصارى ولو التفت إليه لتنصرت أمتك[1]. أي يبعث فيها من يعمل بنفس ما عمل بولس بالنصارى، أما السامري وعجله فهذا بحث آخر، فهذه عدة إمتحانات خاضها النبي صلى الله عليه وآله.

وتفسير كيفية الإمتحانات بذلك أن تمثل الدنيا ليس مجرد تراءي بسيط بل عبارة عن تمركز كل جاذبيات وطاقات الجذب في الدنيا من أول عمرها إلى بقائها من قوة أنواع مفاتنها، فمثلاً قوة جاذبية كل فتاة حسناء في الدنيا أجتمع في ذلك التراائي فلو أراد محاسب أن يقدر مدى طاقة الجاذبية الغريزية لكل إمرأة جميلة بل لكل جمال خلاب في الدنيا ويجمعه في مركز واحد فكم طاقة جاذبية ذلك المركز سوف تكون، وكذلك جاذبية كل مال من ذهب وفضة ونقد كان وكائن وسيكون في الدنيا تمركز في ذلك التراائي، وكذلك جاذبية حب الأولاد والعشيرة في كل عمر الدنيا تمركز في ذلك التراائي وغير ذلك من كل ما للدنيا من قدرة وطاقة مفاتن، فتمركز كل هذه الطاقات والجاذبيات في ذلك التمثيل والتراائي للدنيا واعتراضها بدايات العروج لرسول الله صلى الله عليه وآله، ورغم كل هذه الطاقة والقدرة في الجاذبية

---

(١)

لم تستطع أن تؤثر على النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بمقدار تسخير لمحة طرف من لحاظ عينه الشريفة، وأين هذا الإمتحان من إمتحان النبي يوسف عليه السلام بزليخا فالفارق لايقاس ولا يحصى.

وكذلك تراءي بولس ويهوذا فهو عبارة عن تمركز قوة فتنة كل الدجل وفتنة التشابه في كل المتشابهات ومع ذلك فلم تستطع أن تؤثر بمقدار اختطاف لمحة من توجه خواطر النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وبصره، فمثلاً لاحظ التخييل بالسحر الذي حصل في مواجهة النبي موسى عليه السلام، وجاذبية قدرة السلطان في إستعراض الخيل الذي إمتحن به النبي سليمان عليه السلام، وفتنة التحكيم الذي كانت في إمتحان داود عليه السلام، وإمتحان إبراهيم بذبح إسماعيل عليه السلام.

وغير ذلك من فتن في إمتحانات الأنبياء متفرقة مختلفة لكنها تجمعت وتمركزت في ذلك الترائي والتمثيل في الاعتراض الثلاثي الذي واجهه سيد الأنبياء وعند بدأ عروجه صلى الله عليه وآله إلى السماء.

قربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وهناك نكتة يشير إليها القرآن وهي أن العدالة في الأرض بكاملها وتمامها لا تسود ولاتتحقق إلاّ بقربى النبي صلى الله عليه وآله دون غيرهم من المعصومين من الأنبياء والرسل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[1]، ولم يمنح الباري ذلك التعبير

---

(١)

في حق النبي عيسى ولا موسى ولا إبراهيم عليه السلام، كما يقول بعض المحققين من أهل المعنى لأن المسؤولية عندما تكون ثقيلة والعبء العلمي والتدبير العلمي والعملي كبير باهض يتكئد الكاهل فيراد لها عصمة شديدة، ومن ثم يخصص القران هذا المنصب والمقام لإقامة العدل الإلهي في كل أرجاء الأرض بقربى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ،الثروات العامة بل كل ثروات الأرض: ﴿ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ . . . ﴾ فتدبيرها بيد الله والرسول وقربى النبي تدبيرها إلى يوم القيامة لا بيد النبي عيسى الذي سينزل من السماء ولا إلياس ولا إدريس والخضر من الأنبياء الأحياء على الأرض بل خاصة لقربى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مع أن سائر الأنبياء كإبراهيم وموسى ونوح وغيرهم سيرجعون إلى الدنيا في مرحلة الرجعة من عمر آخر الدنيا قبل يوم القيامة والمعاد الأكبر، وقد علل القرآن هذا التخصيص : ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ ﴾ [(١)].

فالفارق الطبقي الفاحش والإقطاع الفاحش والأستبداد...الخ، والعدالة لا تتم إلاّ بإسناد ثروات الأرض بيد ذي القربى، مما يدل أن علم النبي عيسى عليه السلام ليس بذلك المستوى بأن يقيم نظام سياسة نقدية عادلة أو نظام سياسة مصرفية عادلة أو نظام سياسة زراعية أو إقتصادية أو تجارية عادلة تتحكم في القدرات الأخرى، كما نشاهد الآن طاقات تسلح المعلومات مؤثرة في أدارة نظام المالية والمصرفية والاقتصادية مع أن البشرية

(١)

لازالت تعيش في عقدنا المعاصر الراهن أزمة اقتصادية حادة عاصفة فهاهم منظري نخب الخبرة البشرية في المال والنقد والمصرف والأقتصاد والتجارة قد عجزوا عن تنظير نظام عادل في هذه الحقول فضلاً عن مقام التطبيق والتنفيذ وهذا بعد أن جربت البشرية النظرية الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية ونظام السوق الحر ونظام التجارة العالمي الموحد ونظام البورصة. فالبشرية لازالت عاجزة عن تنظير نظام عادل في هذه الحقول فضلاً عن أن تجد آلية ضامنة للعدل في التطبيق، فالباري يقول هذه العدالة على وجه الأرض بنحو كامل تام هذه يهيئ لها طبقة خاصة من المعصومين عليهم السلام.

ومن ثم كان بعض الأنبياء نبوته بحدود أسرته بمعنى أن حدود عصمته تؤهله لهداية أسرته،وبعض الأنبياء لحيه وبعضهم لبلده أو لبلدين: ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[1]، أما قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2]، فهذا يحتاج إلى سؤدد وعصمة شديدة، إذاً العصمة درجات وبحسب كاهل المسؤولية والعبء، وهذا بنفسه برهان على أن أوصياء سيد الرسل هم أفضل من أنبياء أولو العزم،لأن رسالة سيد الرسل مسؤوليتها للعالمين وإلى يوم القيامة فهي أطول الشرايع وأكبر المسؤوليات فوصيه يكون اكبر مقاماً من الأنبياء الآخرين، لأن دائرة المسؤولية عظيمة وكبيرة بنفس البيان.

(١)
(٢)

منازل القرآن

إذاً للقرآن منازل غيبية وليس القرآن الكريم منزلته ومقامه محصور بما بين الدفتين كي يقول القائل (حسبنا كتاب الله) لأن الكتاب ليس ينحصر مقامه فقط بما بين الدفتين، بل له منازل غيبية أخرى، وأحد المنازل الغيبية للقرآن الكريم هي ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾(١).

مع أن الكلمات الموجودة في المصحف الشريف تعدادها معدود محدود وكذلك الآيات والسور، بينما القرآن الكريم يقول الكلمات لا تنفد ولا تنقطع، لذلك يتوهم هذا القائل أن النبي يتلقى شيئاً محدوداً لأنه لم ولن يعي أي منزل من منازل القرآن الكريم، فإن المنزل العلوي الذي تلقاه النبي صلى الله عليه وآله لا يزال يرفد وينهل ويمد العلم البشري، وهذا سنخ ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ فإن الكلمات جمعها كلام، والكلام جمعه في الكتاب.

وفي آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

فتبين أن هذا الذي بين الدفتين من المصحف الشريف العظيم المقدس هو



---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.
(٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

أنزل منزلة من منازل القرآن الكريم، فإن للقرآن منازل ومقامات عديدة جداً، بعضها موصوف بأنه لا محدود، لا متناهي، لا ينقطع، ولا يستوعبه عالم المادة، وإنما يستوعب عالم المادة شيئاً فشيئاً من عالم الملكوت، وأهل البيت عليهم السلام هم الذين يبنون هذه البراهين والدلائل والحقائق، والقرآن يفصح عن حقائقه بدعامة وإرشاد أهل البيت عليهم السلام للأمة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1] .

فكما يجب الأخذ بتنزيل القرآن يجب الأخذ بالتأويل الحق لا التأويل الهلوسي الذوقي. فالتأويل الحق الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من هذه الأمة، والذي أفصح عنه القرآن الكريم بـ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ فحجية التأويل من المطهرين في هذه الأمة كحجية التنزيل وكلها روافد نازلة من المنازل والمقامات العلوية للقرآن الكريم، ولذلك ورد أن في كل عام من شهر رمضان في ليلة القدر ينزل تأويل للقرآن الكريم، وقد أصبح للنزول ١٤٣٥سنة وهذا يعني أنه نزل للقرآن (١٤٣٥) تأويل، لا ينفد ولا ينقطع ولا ينتهي، ومن هنا فإن هذا القائل بحسبنا كتاب الله أو المتسائل لم يع ولم يعرف ولم ينتبه إلى منازل القرآن الكريم، ولو فهم هذا لما قال أن ما تلقاه من النبي صلى الله عليه وآله محدود ومحصور بحسب عدد السور والآيات والكلمات.

إذن للقرآن الكريم منازل غيبية غير محدودة، وليس لها لون من تربة

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

الأرض زمكانية أو جغراقومية كي تتسمى بتسمية معينة بل هي من عالم الأمر فلا تتلون بالجغرافية.

علم المعارف والفقه

في بحوث علم المعارف ليس من قبيل موازين علم في بحث الفقه والفروع، من قبيل العام والخاص، والخاص يقيد العام وهكذا، فإنه لا تطابق تام بينهما بين موازين البحث الفقهي في الفروع وموازين البحث في المعرفة، ولكن هناك قواعد في البيان، في الآيات، في العموم والخصوص، المجمل والمبين، المحكم والمتشابه، فلا يمكن لنا أن نحبس البحث العلمي في بحث الفقه والفروع فقط، بل هناك معادلات وموازين في المعارف يجب أن يبحث فيها ويدلل عليها ولها ومنها تتفرع قواعد أخرى يجب الخوض فيها.

وكما يجب على طالب العلم أن يدمن البحث في الفقه والأصول كذلك يجب عليه أن يدمن طيلة حياته في البحث عن المعارف، والباب فيهاـ المعارف ـ أوسع فأوسع، لأنه لايتم ولايستنفذ، فإن إصابة الحقيقة واستقامتها بتوسط العلم يراد له مكابدة، وبحث، وتنقيح، وتحري، وتحرير، وتفصيل، وبيان، وبسط.

أما إذا بات في البين تكاسل وتهاون فسوف تصبح تلك البحوث دائماً مبهمة ومجملة ومن ثم يدب التشابه والإثارات، والمغالطات، والإنحرافات.

ولذا فإن أحياء العلم ضروري في فقه الفروع وفي فقه الآداب ـالفقه

الأوسط ـ من سير وسلوك وتهذيب النفس وغيرها، وفي الفقه الأكبر الذي هو المعارف وَهُوَ الأعظم، فإن هناك تلازم بين هذه المقامات الثلاثة، الفقه الأكبر، الفقه الأوسط ، الفقه الأصغر، فإن أحدها بدون الآخرين يسبب تخبط أو غفلات، ويسبب نوع من التشويشات، والتشابهات.

ومن يريد الغور في هذا العلم لا يكفي يوم ولا يومين ولا سنة ولا سنتين، ولكن يدأب عمره كله (أعطي للعلم كلك يعطيك بعضه)[1] كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

صدقية الكتب الإلهية

هناك جملة من الباحثين وربما بعض المتكلمين من الأديان والملل والنحل، يتبنون هذا الرأي، وهو أن كتاب التوراة ـ الأصلية وليست المحرفة الحالية ـ هو من إنشاء النبي موسى عليه السلام، هكذا يظنون ويزعمون، مع أن نظام الآيات القرآنية واضحة لرد هذا الإدعاء، لأن النبي موسى عليه السلام تلقى الألواح، وهذه الألواح ـ كما مرَّ سابقاً ـ فيها تفصيل من كل شيء، حيث مكتوب فيها التوراة بالكامل، فكيف يكون إنشاء من النبي موسى عليه السلام.

وهذه الشبهة أيضاً وردت على كتاب الإنجيل من أنه من إنشاء النبي عيسى عليه السلام وكذلك الزبور أنه من إنشاء النبي داوود عليه السلام.

ونظير ذلك زعم البعض ولا أقول الكل من أهل السير والسلوك أو

(١)

العرفان أو التصوف من أن القرآن الكريم كذلك، أي أنه من إنشاء النبي صلى الله عليه وآله، والآيات القرآنية تفند مثل هذه المقالات، فهي كتب سماوية وكلام إلهي نازل على الأنبياء، إن هذه المزاعم والإثارات والشبهات تثار الآن بثوبها الجديد وبصياغة جديدة، حيث أنها ترجع إلى بحوث قديمة ولكن بتغيير من البيان.

الصدق الفعلي والفاعلي

إنَّ الصدق عموماً كصفة أو كفعل أو ممارسة كيف يمكن أن نتصورها، ومن الطبيعي هناك صدق في الفعل في حد نفسه، ويسمى بالصدق الفعلي، وهناك صدق بحسب تعمد الفاعل للقيام بأخبار صادق ويسمى بالصدق الفاعلي، فربما شخص عادل مستقيم السيرة، مؤمن من المؤمنين أو مسلم من المسلمين، صادق اللهجة يخبر عن شيء هو خلاف الواقع، ولم يكن متعمداً في الإخبار بخلاف الواقع، بل اعتمد في أخباره على مستند معين معذور فيه، بل إن البينات الشرعية قامت لديه بخبر معين، فهو يخبر بمدلول ذلك الخبر، هنا حسب الاصطلاح يقولون من جهة الفاعل الذي هو المخبر المؤمن عنده صدق فاعلي، يعني من جهة الفاعل المخبر لم يتعمد الكذب، لأنه استند في أخباره لشيء معذور فيه، فقد سلك موازين متاحة له، ومعذور ومجاز في الاعتماد عليها، ولكن من جهة المقولة الخبرية ينقلب الواقع، فهذا صدق فاعلي ولكنه كذب خبري.

فلو كان فالشخص لا يتأهل لموقع من المسؤولية في النظام السياسي ـ

الصدق الفعلي والفاعلي

مثلاً ـ أو الاجتماعي، أوالقضائي، وعنده كفاءة من العدالة وكفاءة علمية، ولا تكفي الكفائة من الجانب العملي أن يكون عادلاً، بل لابد أن تكون لديه كفاءة علمية أيضاً، ولكن كفاءته العملية إلى درجة وكفاءته العلمية إلى درجة، من قبيل قوله تعالى ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[1]، فإنه أمين من جانب وقوي على إدارة الشؤون والتدبير جانب آخر.

ومن قبيل قوله تعالى ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2] فإنه أمين من جانب وذو علم من جانب آخر.

ومن هنا فالمؤمن العادل إذا قام بأخبار ما، وكان قد أستند إلى مستندات وهذه المستندات قد تصيب وقد تخطىء فما هي الضمانة للصدق دائماً؟!

فربما نفتقد الضمانة الدائمة المطابقة للواقع، لأن هذه المستندات وإن كان معذوراً هو في الإستناد إليها لكنها لاتؤمن الضمانة الدائمة للصدق.

وبتأمين الضمانة الدائمة للصدق لابد أن تكون منابع العلم منابع منفتحة على الواقع، فلا يمكن أن تتخطى الواقع ولا الواقع يمكن أن يتخطاها.

ومن هنا فالصدق الخبري لا يمكن أن يقرر بنحو الديمومة والثبات إذا لم تكن المنابع العلمية محيطة بالواقع.

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٦.
(٢) سورة يوسف: الآية ٥٥.

وبعبارة أخرى الصدق الخبري ليس فقط يؤثر فيه الصفات العملية للإنسان أو للمخبر وبل للصفات العلمية دور رئيسي أكبر أيضاً.

فيتضح أن المنبع العلمي الذي يستند إليه المخبر إذا لم يكن محيطاً وتاماً بالواقع فلا يؤمن الصدق الدائم، وهذه الحيثية تعني أن الدرجة العلمية للمخبر مؤثرة بشكل ركني وبنيوي في صدق الصادق، ولذلك ـ مع أحترامنا وتقديرنا لكل من يتسمى بعادل ـ فإن العادل ليس هو صادق دائماً ، وإن لم يتعمد هو الكذب، ولكن الأمر والحال تلقائياً يقع في الكذب، لأن العادل مهما بلغت عدالته وتقواه فليس لديه منابع علمية يمكن أن تحيط بالواقع، وهذه القضية ليست فقط لشخص العادل وإنما هي سارية في كل أصحاب العلوم.

مثلاً خبير فيزيائي أو كيميائي أو في أي علم من العلوم الأخرى، لا يمكن أن يقدر لذلك العالم أن يكون صادقاً أو واقعياً في أحكامه وأخباره دائماً، لأن هذا الركن الأول ليس له خبرة فيه وهو أن يكون منبع العلم لديه منبعاً علمياً محيطاً بالواقع.

علم الأنبياء

ومن هنا نأتي إلى بحثنا وهو أن الأنبياء إذا لم يكونوا على درجة من العلم اللدني المحيط بالواقعيات، لا يمكن أن يؤمن فيهم الصدق بنحو دائم، دع عنك الآن الصدق الفاعلي، فالصدق الفاعلي في الراوي العادل صدق فرض نهاية، وهو بحسب روايته وسلوكه في عدم تعمد الكذب

وإن كانت كل روايته كذباً من حيث لا يشعر، ولكن وليكن كلامنا الآن في الذي لا يصدر منه كذب، لأنه بحسب المقولة والمقال والقول لا تكون مقالاته وإخباراته وآرائه مخالفة للواقع أي تؤمن المطابقة.

فتبين أن الصدق بحسب الخبر وبحسب القول والمقال لا تظنن أبداً أنه يؤمن بحسب الصفات العملية الصحيحة لدى القائل والمقول. فإن الركن الركين أن يكون مستنده العلمي منفتحاً، متسعاً، محيطاً بالواقعية على سعته، فلو لاحظنا رواة الأخبار سواء عند الفرق الإسلامية أو في الفرق والملل والنحل الأخرى، فالراوي لأي كان إنتمائه كيف يؤمن حجية خبره، وإن كانت الحجية عند الجميع لاتصل إلى اليقين، بل تصل إلى الظن. ولماذا حجية العابد الصالح العادل تصل إلى الظن ولا تصل إلى اليقين؟!

هناك عدة زوايا وعدة حيثيات لابد أن تؤمن بشكل ظني كي نصل إلى الحجية الظنية في الخبر، وهذا حتى في الأحكام والقوانين الوضيعة، فعندما يأتي شاهد أو شاهدان أو شهود في محكمة قضائية أو في خصومة معينة، هناك زاوية من الزوايا ألا وهي زاوية الاشتباه، مستند هؤلاء الشهود والرواة للتراث الديني الإسلامي أو غير الإسلامي هناك زاوية تسمى بالاشتباه أو الغفلة، كيف نؤمن أن هؤلاء الشهود، أو الرواة، أو المخبرين لم يغفلوا، نؤمن ذلك من خلال الحس، بل إن المستندات اليقينية على درجات في علم المنطق وعلى مراتب منابع اليقين من أوليات، وجدانيات، حسيات، حدسيات، ومتواترات حسب درجات، لأن حدود اليقين في هذه المراتب له مديات مختلفة، مثلاً الحس له دائرة معينة ووراء هذه الدائرة،

لا يورث الحس اليقين بل الظن، هو وراء هذه الدائرة كماً ومساحة، أو في هذه الدائرة كيفاً، ومن باب المثال المصباح المشتعل مثلاً، له دائرة ينير فيها، ووراء هذه الدائرة يكون الظلام ويتسلط هذا الظلام على نور هذا المصباح، ووراء هذه الدائرة المعينة فرضاً إلى عشرة أمتار أو عشرين متر لا إضاءة له.

إذاً قوة هذا المصباح كماً، مساحة إلى مائة متر من حيث الكم لا من حيث الكيف وإذا أردت أن تنظر في نور هذا المصباح الذي أمامنا فلا نستطيع أن ننظر به إلى أشياء ناعمة جداً مثل أجزاء الساعة اليدوية، بل نحتاج إلى نور أقوى كيفاً.

فنلاحظ هذا المصباح نوراً ذا مائة وحدة طاقية ولكن له كيفاً حداً في دائرته، ومدى محدود يجلب لك الحقيقة كيفاً وكماً ومساحة ، فليس لديه سعة لا محدودة من جهة الكيف وليس لديه سعة لا محدودة من حيث الكم، وهكذا الحجج الإلهية فإن لها مراتب.

الحس الكاذب

فالمستند العلمي ولو كانت صورته يقينية إلا أن هذا اليقين ليس له سعة كماً وكيفاً بنحو لا محدود، هذا لو كان المستند هو من منابع اليقين، فكيف لو كان المستند من منابع ظنية، فالحال سوف يكون أضعف وأضعف.

ومن خلال هذا يتضح أن أخبار العدول أو الثقاة غالباً ما تكون حجيته ظنية، وإلى مراتب المنابع في الإدراك وفي مستندات العلم ومحدوديتها نرى

الإشارة في الكتاب الكريم وأنه تعالى عَزَّ وَجَلَّ يخطىء النصارى واليهود في دعواهم، أن النبي عيسى قتل مع أن مستندهم كان هو الحس ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

وهذا الحس تشبيه بترائي الشبيه بالحقيقة حيث ألقى الله مثال النبي عيسى على الشخص الخائن الواشي فاشتبه الحال على اليهود والنصارى، وهذا ليس بسحر منه تعالى بل هذه كرامة إلهية بأن يحجب أبصارهم عن رؤية ذلك الرجل بحقيقته.

ومن باب المثال على الحس الخاطئ، أنك إذا نظرت إلى أي شارع معين يمتد إلى الأفق أمامك وإذا أمعنت النظر إلى نهاية الأفق سوف ترى أن ضفتي هذا الشارع ملتصقتين مع أنك تجزم بعقلك أنهما ليس ملتصقتين بينما الحس يريك عكس ذلك، وهذا دليل على أن الحس يخطأ، فالحس له مجال وأفق معين من الصدق وماورائه يخطأ.

مثال آخر، لو كانت هناك شعلة نارية بيد شخص ما وكان هذا الشخص يدير تلك الشعلة بقوة فسوف يترائى لك أن هناك حلقة نارية بيد ذلك الشخص الذي يدير الشعلة بيده بيد أنها ليست حلقة بل هي شعلة واحدة لكن توالي صورة الشعلة على العين بسرعة تتألف منها حلقة نارية،

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧ ـ ١٥٨.

وهذا خطأ حسي أيضاً.

ومناشيء الحس الخاطئ التي ذكروها كثيرة سواء كانت عن طريق البصر أو غيره كما في الهندسة، ولذلك لا يعتمد البحوث الهندسية العملاقة على مجرد الحس وإلا لفشلت في كثير من إنجازاتها، ولما كانت إنجازاتهم مؤمنة ومضمونة بالسلامة، لأن الحس لا يضبط أكناف المشهد الخارجي بتمامه.

رواة الفروع غير رواة العقائد

ظاهرة أُخرى نذكرها في الاخبارات والمقولات، وهي أن الراوي الفقيه في الفروع مثلاً عندما يروي الرواية التي عن النبي صلى الله عليه وآله أو عن الأئمة عليهم السلام يكون ضبطه للرواية أكفأ من الراوي غير الفقيه، ولذلك تكون رواية الأفقه هي المقدمة في الترجيح بين الروايات عند التعارض والتنافي.

وهكذا الحال بالنسبة إلى الراوي الذي يخوض في باب المعارف، فإن ضبطه لنكات المعارف في الروايات الصادرة عن بيت النبوة والعصمة أضبط من غيره حتى من فقهاء الرواة في الفروع، وهذا ما شاهدناه بالاستقراء وفي موارد كثيرة.

فإن تخصص الرواة مؤثر في ضبطهم للأحاديث الصادرة عن المعصومين عليهم السلام وهذا يدلل على أن الأهلية العلمية التي يمتلكها الراوي في مجال ما يرويه مؤثرة جداً، وهذه نكتة علمية يجب الالتفات إليها.

ومن ذلك تنقشع الغفلة في مقولة كثير من تقديم رواية الراوي الجهبذ والثقة العين النيقد في الفروع في المعارف في الدلالة والحجية على رواية الراوي الذي يروي روايات المعارف، وأن هذا القول ليس صحيحاً، لأن الراوي المحترف في روايات المعارف تكون روايته أضبط من غيره في المعارف لأن المجال والاختصاص اختصاصه ومجاله، وللأسف الشديد أن هذه الضابطة متروكة في علم الرجال تماماً إلا من المحققين فإنهم التفتوا إلى هذه المسألة وفي المسألة فائدة عظيمة في البحث العلمي.

فالمستوى العلمي لدى الراوي يؤثر طرداً في صدقه وضبطه واتقانه للمتن في المجال الذي يخبر عنه ويروي فيه.

حقيقة صدق النبوة

ومن هنا نفهم معنى ومنشأ صدق الأنبياء ولا سيما سيدهم صلى الله عليه وآله إذا كان يخبر عن غيب الغيوب وعن شؤون الملكوت المختلفة والمفروض أن إخباره صدق مطلق منه صلى الله عليه وآله، حيث أن له إحاطة علمية حضورية بتلك العوالم فيكون صدقه بأصدق إطلاق ناشئ من نفوذ علمه وإلا فكيف يكون له قدرة إفهام للبشر ولا يكون له قدرة على الصدق المطلق، وهذا التعريف لحقيقة صدق النبوة يختلف عن التعريف التي تستعرضه جملة من الكتب الكلامية ـ ولا أقصد الكل ـ حيث تصور أن الأنبياء مثل حافظة الصوت يخزنون ما يصل إليهم صوتاً ثم يبلغوه يعني كالرواة وهذا لا يمكن تصوره في الأخبار عن هائل من المعلومات وهول من الحقائق والعوالم من دون أن يكون ضبط علمي محيط بالمعلومات.

حقيقة صدق النبوة

تفاوت هيمنة الكتب السماوية

وإذا أردنا أن نخوض في هذا البحث غوراً قليلاً وببسط أكثر فنقول، لماذا كتب الأنبياء عليهم السلام تتفاوت هيمنة وعلواً وإحاطة عن بعضها البعض، مثلاً القرآن الكريم يوصف بأنه مهيمن على الكتب السماوية كلها ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(١) وكذلك التوراة تختلف عن الإنجيل، والإنجيل يختلف عن صحف إبراهيم، وصحف إبراهيم تختلف عن صحف موسى وهكذا. فلماذا هذا الاختلاف.

قد يقال أن سبب هذا الاختلاف بلحاظ الشرائع أو اعتبار تدريجية التشريعات الإلهية.

ولو أردنا أن نتعمق أكثر نسأل نفس هذا السؤال حول العلوم والمعلومات العقائدية، لأن العقائد لا يمكن أن تنسخ بين نبي ونبي آخر، لأن الدين لا نسخ فيه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾(٢)، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٣)، وإنما النسخ يكون في الشريعة أو المنهاج ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٤).

إذن الدين واحد وهو عبارة عن مكونات العقيدة التي لا نسخ فيها،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٤) سورة المائدة: الآية ٤٥.

ويتضمن أيضاً أركان الفروع التي هي الشريعة والمنهاج، فلماذا تفاوت الأنبياء في بيان المعارف والتي هي حقائق عن العوالم والكونيات؟!

ونحن نعلم أن الموحي الأصلي وهو الله رب العالمين مرسل لكل الأنبياء، فمن جهة القنوات الإلهية في قدرة الله سواء وعلى حالها ولا اختلاف فيها لجميع الأنبياء، فما هو سبب هذا التفاوت؟

إن التفاوت المذكور صار وأصبح بسبب نفس مستويات الإحاطة الحضورية لتلك الرسل والأنبياء، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1].

وهذا ليس كما يفسره أصحاب الإثارات والشبهات، من أن الأنبياء يبلغون عن الواقعية وعن الباري تعالى بمقدار تلوينات ذواتهم لتلك الحقيقة ـ والعياذ بالله - بل الحقيقة هو أختلاف مقاماتهم كمرايا من جهة ومن جهة الإحاطة الحضورية لعروج ذواتهم إلى غير ذلك من الجهات في أنواع وحي النبوة.

في المرآة أسرار

ففي حديث طويل قال الإمام الرضا عليه السلام وهو يحاور عمران الصابي: ... ألا بالله أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأي شيء استدللت بها على نفسك ياعمران؟



(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

قال: بضوء بيني وبينها، قال الرضا عليه السلام هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينك؟ قال: نعم، قال الرضا عليه السلام: فأرناه فلم يحر جواباً، قال: فلا أرى النور إلا وقد دلك ودل المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما[١].

فالمرآة بقدر صفائها تعكس النور أكثر فأكثر، والآيات الإلهية تختلف عن المرايا لأنه هناك آيات كبرى وصغرى وآيات أكبر من الكبرى حسب بيان القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[٢].

فهذه العلامات وهذه المرائي تختلف درجاتها مما يدلل على أن ما يبلغه الأنبياء عليهم السلام لابُدَّ أن يكونوا قد أحاطوا به علماً ومن ثم يبلغوه، وإلا فكيف يكون هناك ضبط وإتقان وصدق فعلي وصدق فاعلي، والضبط ـ كما مرَّ ـ يعني الصدق الذي لا يتكىء على ركازة واحدة، بل لابد أن يتكأ على الجانب العلمي.

حاكمية الفيء والطبقات المحرومة

ومن باب المثال، في آية الفيء ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٣] والفيء عند المسلمين هو ثروات الأرض، يعني أن إدارة الفيء، وحاكمية

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ج٢: ١٥٣، ب١٢.
(٢) سورة النجم: الآية ١٥.
(٣) سورة الحشر: الآية ٧.

الفيء، وولاية الفيء إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وللرسول صلى الله عليه وآله ولذي القربى عليهم السلام لأن اللام هنا لام ملكية التدبير والإرادة والتمكين أي لام الولاية، ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ فقد تكررت هذه اللام في الثلاثة الأولى، ولم تتكرر في ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي الطبقات المحرومة، فلماذا هذا التخصيص للام بالنسبة إلى الملكية خاصة في ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ دون الطبقات المحرومة؟!

هنا يجيب على ذلك مفاد الآية الشريفة أي ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ يعني كي لا يحتكر الأغنياء أو الطبقات الغنية والمرفهة أموال الأرض في يدها ومن ثم سوف تظلم باقي الطبقات المحرومة، ومن هنا فلابد من إسناد ولاية تدبير أمور الأرض إلى قربى النبي صلى الله عليه وآله بالأسباب كي تنتشر وتفشو العدالة في الأرض من العدالة الاقتصادية والنقدية، وكذلك العدالة في القدرة التي تؤمن العدالة في كل مجالات الحياة من المجال السياسي والاقتصادي والأمني.

علاج الأزمة الاقتصادية المالية بيد ذوي القربى

فلابد من وجود برنامج علمي في السياسة الاقتصادية العادلة التي تؤمن قانون عادل مالي اقتصادي تجاري زراعي ضريبي جمركي في كل أصعدة الاقتصاد، ولو نلاحظ الآن الأزمة الحالية في أمريكا وفي كل العالم، وقد عجز منظرو الرأسمالية ونظام السوق الحرة ونظام التجارة العالمي الموحد ونظام البورصة عن الوصول إلى تنظيم عادل ومعالج للأزمة،

والنظام الاقتصادي المالي قد مر بمراحل وتطور كثيراً وآخر ما وصل إليه هو نظام (السوق الحر)، وهذا النظام أثبت فشله، لأن عصابات الأموال سرقت كل ودائع البشر والشعوب الموجودة في البنوك.

وبعبارة أُخرى الشيوعية أتت وفشلت كتنظير فضلاً عن التطبيق، وهكذا الاشتراكية والرأسمالية كتنظير وتطبيق أيضاً فشلتا، وأثبتت البشرية عجزها وحيرتها في التنظير فضلاً عن مرحلة التطبيق كعمل، بل كنظام نظري قانوني يؤمن العدالة البنكية والمصرفية وعدالة البورصات وعدالة توزيع الأموال وحركتها، بل وكذلك عدالة الصناعة والزراعة والدول في تنافس زراعي وصناعي وفي خضم هذا التنافس دولة تدمر أخرى وتدمر شعوب أخرى بسبب هذا التنافس، وهناك ملفات وحوادث كثيرة لو أراد الباحث أن يتتبعها، ولهذا ترى الدول العظمى تدعوا إلى مؤتمرات دولية لرسم قواعد جديدة في النظام المالي يتطاول فكرهم في مثل هذه الأزمات ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ وهذه ملحمة قرآنية ذكرها الباري منذ أربعة عشر قرناً وإلى يوم القيامة، والقرآن يتحدى البشرية في هذه الملحمة من أنه (لم ولن ولا) تتحقق العدالة حتى على المستوى النظري للبشر إلا بقربى النبي صلى الله عليه وآله ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فخصص الله تعالى ولاية أموال الأرض إلى قربى النبي صلى الله عليه وآله وعلل ذلك بقوله تعالى ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ وليس التخصيص هنا من باب العصبية أو القبلية بل للتعليل المذكور.

وهذا تحدي واضح لكل البشرية حتى لو زعم أحدهم الاستمساك بالقرآن من دون أهل البيت عليهم السلام لن يستطيع أن يرسم للبشرية أي نظام عادل دون قربى النبي صلى الله عليه وآله فضلاً عن عدم ضمانة التنفيذ والاجراء.

وهذا مما يدلل على أن العدالة تحتاج إلى دعامتين، دعامة منبع علمي هائل تستطيع من خلاله أن تؤمن نظام قانوني لا يشذ عنه أي شيء في رسم العدالة، من قبيل العدالة الزراعية والعدالة المصرفية والنقدية، وعدالة التسويق والبورصات والضمان الاجتماعي وغير ذلك من الانشعابات الأخرى، والدول العالمية لم تستطع أن تقطع الطريق أمام طبقات الأغنياء في أن لا يمتصوا المال العام أو الخزينة الوطنية لأموال الشعب، ونرى كل ما يرسم من نظام معين تظهر على الخط طبقات الأغنياء بطبقية فاحشة لتستولي على موارد الفقراء، فالبشرية في حيرة وقلق مستمر من رسم نظام عادل، وبكل صراحة فإن المدارس الإسلامية لم تستطع أن تنظر معارف الإسلام العظيم بما يحمل من أسس، وبما يحمل من حظر ومحظورات على الغدد السرطانية في الاقتصاد من الربا والاحتكار والمعاملات التمويهية التبادلية (أكل المال بالباطل) التي تسمى بمسميات مختلفة كغسيل الأموال من تحريم القمار واللهويات، فهذه عدة محاور حرمها القرآن الكريم، بعنوان أنها غدد سرطانية في عالم الاقتصاد، وإلى الآن لم يرسم فقهاء المسلمين نظاماً قانونياً بشكل تفصيلي عادل من القرآن الكريم والسنة النبوية بحيث يجذب كل أنظار البشر.

إن الذي يستطيع أن يرسم هذا النظام العادل هو عدل القرآن

والعليم بالقرآن، ولا يكفي في القدرة على ذلك كون الشخص مديراً صادقاً وعادلاً ونيته عادلة ولديه إرادة مخلصة من دون أن يكون لديه علم محيط كفوء يرسم ليس في بقعة من البلاد بل للكرة الأرضية نظام تجاري أو مصرفي أو زراعي أو صناعي أو جمركي (ضريبي) عادل؟! فلابد من وجود العلم المحيط، وهذا التاريخ للإقتصاد والنظام البشري كله عبارة عن شهادات في التجربة للتاريخ البشري ونداءات تلح وملحة تطالب بصاحب العلم المحيط، فإن لم نصل إلى الشخص والشخصية ذات العلم المحيط لم يمكن أن ترسم ولايكتب نظام تلك العدالة والموصوف في القرآن الكريم (كي لا يكون دولة بين الأغنياء).

الأمانة في النقل

ويؤثر في أمانة وصدق النقل جنبتان، جنبة في الصفات العملية وجنبة أخرى ترتبط في الصفات العلمية، والأمانة في النقل لا تتأثر بالجنبة العملية فقط ـ كما قد يظن البعض ـ بل ترتبط بنحو أكبر بالجنبة العلمية أيضاً فهناك صدق فاعلي وصدق فعلي، والذي يتأثر في الجنبة العلمية هو الصدق الفعلي، فالقول أو الصدق الخبري يتأثر في الجنبة العلمية من ناحية نقل الخبر، فمثلاً لو كان هناك أي خبر تخصصي معين وإن كان حسياً كعلم الفلك ـ مثلاً ـ فإذا كان المخبر فلكياً وذا تخصص في الفلك فمن الواضح يختلف عما لو كان المخبر من غير هذا التخصص المذكور، لأن المخبر الفلكي يتفطن إلى أين يركز في نقل الخبر أو في إيصاله أو إعلانه.

وهكذا بالنسبة إلى الطبيب فإنه يخبرنا بحالة معينة في بدن المريض أو ما شاكل ذلك، ولذلك تراه يركز أين هي المواضع ذات الصلة وذات الأهمية للحالة المرضية، وهذا بخلاف ما لو كان المخبر عن هذه الحالة المرضية غير ذي الاختصاص وإن كان صادقاً أميناً لأنه لا يفطن ولا يعي شيئاً من أحكام الطب، فالمخبر لابُدَّ أن يكون له إلمام بذلك المجال، ولابد أن يكون هناك اطراد وتناسخ بين علم المخبر بالمجال المخبر به والخبر الذي يخبر به، وإلا لما كان له القدرة على الصدق ولا القدرة على الضبط والدقة.

النبي صادق أمين

ومن هنا نتعرف على معنى وحقيقة الصدق والأمانة في نبوة سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله بإخباره عن القرآن، وقد مر في البحوث السابقة أن للقرآن نزولين، وبعبارة أخرى أن للقرآن الكريم منازل ومقامات وليس نزولين فقط، وهذه القاعدة لو ضممناها ولو بشكل فهرسي مختصر إلى ما نحن فيه من صدق النبيصلى الله عليه وآله فيما يبلغه عن الله عَزَّ وَجَلَّ فيتقرر:

إن صدق النبيصلى الله عليه وآله في الذي يبلغه عن الله عَزَّ وَجَلَّ ليس هو القرآن المقروء والمتلو فقط لأن القرآن المتلو هو القرآن الذي نزل نجوماً طوال عشرين عاماً ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى﴾[1] وقوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[2].

---

(١) سورة الأعلى: الآية ٦.

(٢) سورة القيامة: الآية ١٧ ـ ١٨.

فهذا النزول النجومي يقرا ويتلى ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1]. وقد بدأ هذا النزول منذ اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، وقد نزل قسم منه في مكة والقسم الآخر في المدينة ولهذا يسمى مكي ومدني.

ولكن ماذا عن صدقه وأمانته صلى الله عليه وآله في النزول الآخر للقرآن غير المتلو وغير المقروء والذي هو عبارة عن الروح الأمري الموصوف بالكتاب المبين الذي يستطر فيه كل شيء في السماء والأرض.

البيت المعمور وقلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ولكن ماذا عن صدقه صلى الله عليه وآله في نزول آخر للقرآن الكريم وهو نزوله جملة واحدة، وهذه القاعدة التفسيرية ينفتح منها بحوث كثيرة وتنحل بها معضلات كثيرة في مباحث التفسير، وإذا أغفلها المفسر فسوف يرتطم بعقبات وبإشكاليات وبمبهمات لا يستطيع حلها إطلاقاً، وهناك جملة من مفسري العامة يقرون بهذه الحقيقة أو القاعدة من النزول الثاني للقرآن مثل الطبري في تفسيره الكبير، والسيوطي وغيرهما، وقد رووا روايات شبيهة بروايات أهل البيت عليهم السلام من أن نزول القرآن جملة واحدة كان في شهر رمضان، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[2] وكذلك قوله

(١) سورة المزمل: الآية ٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١] وقوله تعالى ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[٢] يعني في ليلة القدر من شهر رمضان.

فقد روى الكليني بسنده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة. ثم قال: قال النبي صلى الله عليه وآله أنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان[٣].

وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أن البيت المعمور هو قلب النبي صلى الله عليه وآله كما في بعض الزيارات الوارد تضمن الخطاب **«أيها البيت المعمور»**[٤]، وكما يقول الإمام الصادق في حديثه أنه قال؛: **ونحن البيت المعمور الذي من دخله كان آمناً**[٥] وغير ذلك من الروايات.

فسورة القدر والدخان والبقرة تشير إلى نزول آخر للقرآن غير النزول التدريجي والنجومي وأنهما نمطان مختلفان وقد ذكرنا في كتابنا الإمامة الإلهية[٦] شواهد وروايات عديدة على ذلك.

فإنه في ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم كما في سورة الدخان، أي تقرير وتقدير تقادير كل حادث تكويني في الأرض، ومن الواضح أن هذا

---

(١) سورة القدر: الآية ١.
(٢) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٣.
(٣) الكافي ج٢: ٦٢٩.
(٤) مقدمة تفسير البرهان مادة المعمور.
(٥) دلائل الإمامة للطبري: ١٢٦، البحار ج٥٦: ١٥٧.
(٦) الإمامة الإلهية الفصل الثامن من الجزء الثالث..

ليس في القرآن المتلو الذي نزل نجوماً وإنما هو في المنازل والمقامات الأخرى للقرآن.

ولابد من الإقرار بهذه القاعدة الشريفة بمقتضى جملة من السور والآيات وهذه القاعدة تدلل على ضرورة وجود معصوم في كل زمان ولا يكفي دور علماء التفسير ولا دور الفقهاء ولا دور الأتقياء ولا العرفاء ولا النساك ولا يغني عن دور المعصوم أحد.

ومن المهم الالتفات إلى أن القائل بحسبنا كتاب الله أي حسبنا المصحف لايعقل أنه ترك وتارك حقيقة الكتاب نفسه بترك شخص النَّبِيّ صلى الله عليه وآله ثم إنه يقول ذلك ليس في قبال العترة فقط بل في قبال الشخص الشخيص لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله مما يدلل أن حقيقة النبوة مخزونة مودعة عند العترة أعدال القرآن وتلك الحقيقة للنبوة هي تاركها هذا القائل بحسبنا كتاب الله (المصحف).

النبي يبلغ عدة رسالات وليست رسالة واحدة

ففي زيارة النبي صلى الله عليه وآله ورد (أمين الله على وحيه ومبلغ رسالاته) وهذا يعني أن للنبي صلى الله عليه وآله عدة رسالات وليست رسالة واحدة، فربما رسول من الرسل يكون له رسالة واحدة ويبلغها، ولكن سيد الأنبياء وخاتمهم صلى الله عليه وآله كانت له عدة رسالات من الله يبلغها، ومن ضمن تلك الرسالات التي كان يبلغها رسول الله صلى الله عليه وآله هو ما رواه الفريقان في ذيل الآية ﴿ وَأَنذِرْ

عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[١] فعن البراء بن عازب أنه قال: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بني عبد المطلب وهم يؤمئذ أربعون رجلاً منهم يأكل المسنة ويشرب العس[٢] فأمر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ برجل شاة فأدمها[٣] ثم قال: أدنوا بسم الله فدنى القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعى بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا بسم الله، فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال:؛ هذا ما سحركم به الرجل، فسكت صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يومئذ ولم يتلكم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عَزَّ وَجَلَّ فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ثم قال: من يوافيني ويوازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا، فقال في المرة الثالثة أنت، فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع أبنك فقد أمر عليك[٤].

وأورده الثعلبي في تفسيره، وروى عن أبي رافع هذه القصة:

وأنه جمعهم في الشعب فصنع لهم رجل شاة فأكلوا حتى تضلعوا وسقاهم عساً فشربوا كلهم حتى رووا، ثم قال: إن الله أمرني عشيرتي

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) المسنة من أولاد المعز: ما بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي، العس: القدح الكبير.

(٣) أدم الخبز: خلطه بالأدام.

(٤) مجمع البيان، مسند أحمد، ج١: ١١١، مجمع الزوائد، ج٩: ١١٣.

ورهطي وان الله لم يبعث نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً وخليفة في أهله، فأيكم يقوم فيبايعني على أنه أخي ووارثي ووزيري ووصيي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ فقال علي عليه السلام: أنا.

فقال: أدن مني ففتح فاه ومج في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه، فقال أبو لهب: بأس ما حبوت به ابن عمك أن أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً فقال النبي صلى الله عليه وآله ملأته حكمة وعلماً[١].

فقد بعث النبي صلى الله عليه وآله أولاً إلى عشيرته ورهطه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ حيث كانوا أربعين رجلاً وكان من بين هؤلاء أبو طالب، وحمزة، وجعفر، والعباس، ثم بعث إلى الناس عامة، وطلب منهم المؤازرة وقضاء دينه، كما يقول صلى الله عليه وآله فيبايعني على أنه أخي ووارثي ووزيري ووصيي.

ولاية علي وفاطمة في عهد رسول الله

ووزيري هنا يعني ولايته مفعلة في حكومة وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله لكنها في شعاع وتبع ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أن ولاية فاطمة الزهراء عليها السلام في آيات أخرى كانت مفعلة وفعلية في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله تبعاً له صلى الله عليه وآله مع أنه لدينا روايات تؤكد أنه لا يكون هناك إمامان ناطقان وإنما إمام واحد ولكن مع هذا كانت ولاية علي وفاطمة عليهما السلام مفعلة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) نور الثقلين: ج٤: ٦٨.

أما فاطمةعليها السلام فقد أشار إلى ولايتها في عهد النبي قوله تعالى ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[(١)] فإن ولايتها في الفيء فُعلت بأمر من الله لرسولهصلى الله عليه وآله ومؤكداً عليه في ثلاث سور الروم، والحشر ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى﴾ وفي سورة الإسراء ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾.

والمهم أن هناك بعثة خاصة للنبيصلى الله عليه وآله إلى بني عبد المطلب وقد كانت على الولاية والإمامة والوزارة وهذه البعثة ـ الخاصة ـ لا يستحقها سائر الناس بل حصرياً ببني عبد المطلب.

سؤال وجواب

وقد يسأل سائل ـ وهذا ما يثار الآن ـ أنه إذا كانت ولاية علي بن أبي طالبعليه السلام بوصية من الله تعالى ونص من السماء ـ كما نعتقد نحن الإمامية ـ فلماذا يعرضها رسول اللهصلى الله عليه وآله على القوم أي على غير الوصي المنصوص عليه من السماء من بني هاشم؟.

والجواب:

أولاً: أن مقام الإمامة كمقام النبوة ليس جبرياً ولا إلجائياً وإن كان إصطفائياً وهبياً منه تعالى فهذه المقامات الإلهية وإن لم تكن إكتسابية بل إصطفائية عطائية من الله تعالى إلا أنها أيضاً ليست جبرية ولا غير اختيارية

(١) سورة الروم: الآية ٣٨.

سؤال وجواب

بل هي إصطفاء مستمر ونتيجة متقدمة على عمل وطاعة لاحقة كما يشير إلى هذه الحقيقة في المقام الإصطفائي قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴿١٢٤﴾﴾[1].

وكذلك ماورد في دعاء الندبة «وشرط عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية فشرطوا لك ذلك وعلمت منه الوفاء فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي واهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك ....»[2].

فليس المقام الإصطفائي هبة مجانية وعطية ربانية جزافاً بل نتيجة العلم الإلهي بنجاح ذلك الشخص الذي يتعلق به الإصطفاء في الإمتحانات الإلهية.

ثانياً: لأن بني عبد الملطب كانت لهم درجة من الأهلية بما فيهم أبو لهب فقد كانت له درجة من الأهلية كما في مثل بلعم بن باعورة، إلا أنه خسأ وأخلد إلى الأرض فسفل، فقد أعطي لبلعم بن باعورة شيء من الأسم الأعظم، في حين نرى كثير من المؤمنين الصالحين لم يعص الله ويدخل الجنة مع أنه لم يعط هذا الاسم الأعظم، فمثل هذه الحالات والمعادن موجودة في طبايع البشر والمخلوقات من أن الإنسان قد تكون له قابلية في أن يعطى شيء من الأسم الأعظم ثم يفرط فيها ويرمي بنفسه إلى أسفل السافلين فيحرم عليه هذا الفيض.



(١) سورة ال

(٢) دعاء الندبة.

أهلية بني عبد المطلب

ومن خلال الروايات الواردة في تفسير الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ تبين مدى أهلية بني عبد المطلب، بل نستطيع أن نقول أن هذه الأهلية لم تكن موجودة في أولي العزمعليهم السلام بل كانت في بني عبد المطلب، فإن جهات الكمال مختلفة جداً كما أن تلك الأهلية لم تكن بدرجة واحدة في بني عبدالمطلب، كما أنه لم يستثمرها ويفعلها جعفر الطيارعليه السلام كما كانت درجتها واستثمارها وتفعيلها عند الإمام عليعليه السلام ،وكذلك حمزة سيد الشهداءعليه السلام، وكذلك أبو طالبعليه السلام رغم عظمته لم يبادر وإنما الذي استأهلها بالفعل هو علي بن أبي طالبعليه السلام، فعندما يعطي الباري تعالى النبوة لنبي أو الإمامة لإمام لانظنن أنه من باب الجبر، وهذا بحث لم يبلور في كتب الكلام ولا في كتب التفسير كمسألة مستقلة، مع أن هذا بحث في نفسه مستقل فإن الرسالة والإمامة والاصطفاء ليست أموراً إلجائية بل بالاختيار والاصطفاء.

ثقل بعثة الأقربين

القوانين الإلهية والوضعية

والمهم أن النبيصلى الله عليه وآله بعث إلى بني عبد المطلب خاصة بأحكام وقوانين وشريعة خاصة ترتبط بطاقم القيادة، ففي كل دولة توجد هناك قوانين مرتبطة بالوزارات ووكلاء الوزراء وبرئيس الحكومة وبالحكومة نفسها، والتي تسمى بالقوانين الرئاسية، بحسب الاصطلاح الحديث وهذه القوانين

ليست شاملة لكل الشعب وسائر الناس، هذا بالنسبة إلى القوانين الوضعية البشرية، أما بالنسبة للقانون الإلهي أيضاً فهناك أوامر ونواهي خاصة بطاقم القيادة الإلهية ولذلك فإن الله تعالى أول ما بعث به النبيصلى الله عليه وآله بعثه إلى عشيرته الأقربين حتى قال لهم: **«يا بني عبد المطلب أني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه»**[١].

ولأهمية هذه البعثة وبعد ما تريث النبيصلى الله عليه وآله في الإبلاغ جاءه جبريل فقالهصلى الله عليه وآله يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك» وهذا نفس التعبير واللحن والنبرة الذي ورد في يوم الغدير ﴿ **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[٢].

فعن أبن عباس، عن علي بن أبي طالبعليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول اللهصلى الله عليه وآله ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴿٢١٤﴾ ﴾ دعاني رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال لي يا علي إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين قال: فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت على ذلك وجائني جبريل فقال: يا محمد أنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فأصنع لنا يا علي صاعاً من طعام[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج١٨: ١٩٣، تاريخ الطبري ج٢: ٦٢، سنن البيهقي ج٩: ٧.
(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٣) المصدر السابق.

الأمانة الغيبية

وعندما نقول أن النبي صلى الله عليه وآله صادق أمين ليس بخصوص المصحف الشريف ولكن صادق أمين عن تلك المنازل والمقامات الغيبية، فعندما نصف النبي صلى الله عليه وآله بهذا الوصف ولديه القدرة على الأنباء العلمي والأمانة العلمية ليس في المصحف الشريف المتلو والمقروء فحسب ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى﴾[1] أو ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2]، وإنما الصدق والأمانة بلحاظ تلك المنازل الغيبية الأخرى وبلحاظ كل الغيب، فكيف شاهدها صلى الله عليه وآله وكيف أحاط بها كي يبلغ وينبأ عنها، فما معنى الأمانة في تلك الأمور كلوح المحو والإثبات، والقضاء والقدر، واللوح والقلم، وخزائن الله أمين لله عليها، يعني لا يتصرف إلا بإذن الله تعالى، ومن أوصاف الكتاب المبين أنه ظرف لخزائن الله كما يقول الباري تعالى ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3].

فإن كل ما ذكرته الآية هو في الكتاب المبين، فأمانة النبي صلى الله عليه وآله في هذه العوالم لها معنى آخر وطابع آخر، كما يذكر ذلك القرآن في المحاورة التي بين الباري تعالى والملائكة حول خلافة آدم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي

---

(١) سورة الأعلى: الآية ٦.

(٢) سورة القيامة: الآية ١٦ ـ ١٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[(١)].

فإن هذه المداولة التي جرت تبين أن خليفة الله تعالى سواء كان آدم أو غير آدم هو أكثر أهلية في الإحاطة العلمية والأمانة من الملائكة، فإن له قدرة علمية جامعة للأسماء وقدرة على الأمانة والحفظ في جهات عديدة.

أمانة جبرئيل والملائكة

وقد وصف الله تعالى جبرئيل عليه السلام بأنه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[(٢)]. وصف بالمطاع والأمين لأنه لا يزيغ كما تزيغ الشياطين، فالأمانة هنا لها سعة أكبر فليس للنزعات الذاتية والميول مجال في هذه الأمانة الإلهية.

ونظير ذلك أمانة خزنة الجنة والنار وهم أمناء عليها من قبيل قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا﴾[(٣)].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠ ـ ٣٣.
(٢) سورة التكوير: الآية ١٩ ـ ٢١.
(٣) سورة غافر: الآية ٤٩.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[(١)].

وقوله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[(٣)].

فإستئمان هذه الأمور التي توكل في العوالم الأخرى فيها نمط من الصدق ونمط من الأمانة وهم مستأمنون من قبل الله عَزَّ وَجَلَّ، وهؤلاء الملائكة أمانتهم في كفة وفي جانب وأمانة سيد الأنبياء وبلحاظ تلك العوالم في جانب آخر.

وهذا ما بينته سورة البقرة من أن كفاءة خليفة الله أعظم من الملائكة بل وأعظم حتى من رضوان خازن الجنان ومن مالك خازن النيران، فإذا كانوا هؤلاء الملائكة مأمونون على تدوين أعمال الخلائق فرسول الله صلى الله عليه وآله هو الشاهد على الائمة عليهم السلام والأئمة هم الأشهاد عليهم، وهذا بحث آخر سوف نتطرق إليه فيما بعد إنشاء الله تع.

النبِي صلى الله علَيهِ وآله وسلم أمين على كل الأديان

وهناك صدق وأمانة لكل دين الله عَزَّ وَجَلَّ والقرآن مهيمن على بقية الكتب السماوية وهذه الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى كلها من دين الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ

(١) سورة الزمر: الآية ٧٣.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٧٧.

(٣) سورة ق: الآية ١٨.

إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[1].

إذن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله استأمن من قبل الله عَزَّ وَجَلَّ في كل دينه، ودين الباري تعالى لا ينحصر بالنشأة الأرضية ولا بالمصحف الشريف في النشأة الأرضية بل بعوالم سبقت وعوالم تتلو تلك العوالم. ومن يوكل له مثل هذه المسؤولية فهو على صدق وأمانة تختلف عن باقي الأمانات التي أعطيت للرسل والأنبياء والملائكة، ومن الواضح أن هذه المسؤولية مترامية الأطراف وليست هي مسؤولية تختم الوظيفة فيها بدار الدنيا، وهذا ما سوف يفتح لنا الحديث عن مقامات أخرى للنبي صلى الله عليه وآله سوف نتعرض إليها فيما بعد إن شاء الله تعالى كمقام الشاهد على الأشهاد على الأمم وزعيم الأعراف والقائد والباب لرحمة للعالمين وغيرها.

من أوصاف وشؤون القرآن ليلة القدر

إن من أوصاف القرآن الكريم هو هذا الوصف المستمر وهو (ليلة القدر)، يعني الأمور التي تتنزل في ليلة القدر لاتنتهي ولا تنقطع، بل أمر متسلسل متعاقب منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ويتنزل من القرآن بنود وفصول نعم هي قرآن ولكن ليست هي تنزيل القرآن وإنما هي ـ كما في لفظ القرآن الكريم ـ تأويل القرآن، وهذا أحد الأمور والقواعد التي يؤكد عليها أهل البيت عليهم السلام ألا وهي أن للقرآن تنزيل وتاويل وظاهر وباطن

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

﴿ هُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(١) وأم الكتاب وصف ﴿ يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(٢).

فهناك ربط بين المحكمات وأم الكتاب ولوح المحو والإثبات ﴿ هُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾(٣).

التأويل حق وباطل

والقرآن الكريم وبشكل واضح وصريح يبين أنه كما للقرآن تنزيل ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾ كذلك للقرآن الكريم تأويل، ولكن تأويل حق وهو عند الراسخين، وتأويل باطل عند غير الراسخين في العلم وهم الزائغة قلوبهم والمتشابه عليهم، وهذه الحقيقة لا يمكن لأي مفسر أن ينكرها، نعم هناك عدة من المفسرين نراه يتحامل على تأويل القرآن الكريم، وأن هذه نزعة باطنية وأنها نزعة الفرق الباطنية وأن هذا إنحراف واضح، وبقي هذا الأمر إلى أن أتت الفلسفة الغربية ببراهين الهيرمونطيقيا أو الهيرمونتيك ومايسمى بالفلسفات اللسانية أو الألسنيات، والقراءات الدينية والتعددية، وهذه البحوث الفلسفية وإن كان فيها الغث

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

والسمين وليس كلها على صواب، ولكنها برهنت على أن النص يقرأ بقراءات لا محدودة على طبق ضوابط، والمفروض هكذا إلا أنها تجند للسفسطة والتشكيك، وهذا أمر آخر ونوع من التوظيف الشيطاني لهذه البحوث، فالذي ينكر التأويل الحق للقرآن فإنه ينكر الجزء الأكبر والأوفر من القرآن وكأنما ينكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وينكر أسس وآفاق تلك المدرسة لأن أساسها قائم على أن للقرآن جنبات غيبية لا يحيط بها إلا المعصوم من الراسخين في العلم. وإذا أنكر هذه الجنبات الغيبية فإنه بعبارة أخرى ننكر ضرورة الحبل الممدود بين السماء والأرض من حيث يشعر أو لا. وهناك الكثير من تفاسير أهل سنة الجماعة هاجموا مسألة التأويل لأنه يصعب عليهم الإقرار بأن هناك قول حق عند الراسخين في العلم، ولذا يجب أن نلتفت إلى أن هناك مباني وقواعد تتفق مع منهاج أهل البيت عليهم السلام الواسع والحقيقي والذي هو الصراط المستقيم، وهناك أيضاً قواعد ومباني تتنافى وتصطدم مع منهاج أهل البيت عليهم السلام وهذا أمر مهم للباحث في التفسير وفي العقائد وفي الكلام وفي أمور كثيرة من العلوم الإسلامية، فإن هناك تفسيراً وتأويلاً زائفاً لأنه مبني على الرأي وعلى الهلوسة وبلا ميزان وبراهين ولكن في المقابل هناك تفاسير مبنية على براهين وبيانات علمية عند المعصوم أو حتى عند غير المعصوم، فإن هناك آيات عديدة ـ لسنا بصددها الآن ـ تبين أن القرآن الكريم له تأويل حق وتأويل باطل عند الزائغة قلوبهم.

تحريف الكتاب الكريم

إنَّ إجماع المسلمين اتفقوا على عدم تحريف القرآن الكريم، يعني ألفاظ تنزيل القرآن المقروءة لا يزاد فيها ولا ينقص فإن تنزيل القرآن مقام له وتأويل القرآن مقام آخر له، نعم تأويل القرآن قوام حقيقة وجزء مقامات ومنازل القرآن ولكنه ليس جزءاً من التنزيل، يقول الشيخ جعفر كاشف الغطاء إن الموجود في الروايات التي توهم منها التحريف هو في الحقيقة من وحي الله، ولو فرضنا أنه من القرآن ولكنه ليس من تنزيل القرآن وإنما هو من تأويل القرآن، ومن الواضح أن تأويل القرآن من القرآن ولكنه ليس من تنزيل القرآن، فإنه أوحيت للنبي صلى الله عليه وآله معاني القرآن مع تنزيله ولكن هي تأويل القرآن. فإنه كما مر أن للقرآن منازل ومقامات، ولا يوجد هناك من ينكر أن الكتاب المبين من القرآن، والطور والرق المنشور والبحر المسجور واللوح المحفوظ من القرآن، وأم الكتاب من القرآن، فكل ذلك من طبقات القرآن ولكن كل مقام وكل درجة ومنزلة من مقامات القرآن لها أحكام وأوصاف خاصة.

ومن أرد أن يحصر ويحبس أوصاف القرآن الكريم على تنزيل القرآن فقط فقد أنكر وكفر بتنزيل القرآن، لأن الإيمان بتنزيل ونزول القرآن يستلزم وينبأ عن وجود منازل سابقة علوية غيبية للقرآن، فكيف يمكن أن يغض الطرف عنها أو ينكر وجودها أو أوصافها أو شؤونها.

نظير قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[1]، وهذا

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

يعني أنه ليس فيه متشابه، بينما في موضع آخر قال تعالى ﴿هذه الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1].

فكيف يمكن التوافق بين ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ وبين ﴿المحكم والمتشابه﴾؟

القرآن الكريم أجاب عن ذلك وأن الآيات البينات هي ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أو ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وهم أهل البيت عليهم السلام، وجعل الكافر بها أي بذلك من الفاسقين ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾.

ولا يخفى أن معنى المحكم والبين متقارب، ولكن المتشابه يشتبه علينا في المعنى، بل أحد معاني المحكم ـ كما فسروه ـ هو البين، وكما أن البين له معاني أخرى أيضاً.

إذن هذه قاعدة مهمة وهي أن القرآن كما أن له تنزيل فله تأويل وهذا التأويل ليس أجنبياً عن القرآن ولكن ليس من تنزيل القرآن ـ كما مرّ سابقاً ـ فكما يجب الإيمان بالتنزيل كذلك يجب الإيمان بالتأويل. ولا يسوغ لأي شخص من علماء الأمة وفقهائها ومفسريها أن يدعي أنه ورث عن النبي صلى الله عليه وآله إلا التنزيل فقط، أما المقامات عن القرآن فلا يمكن أن يدعي

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

وراثتها أحد غير أهل البيت عليهم السلام.

فعن شعيب بن أنس، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لأبي حنيفة:

أنت فقيه أهل العراق، قال: نعم. قال عليه السلام: فبأي شيء تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه. قال عليه السلام: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم. قال عليه السلام: يا أبا حنيفة لقد أدعيت علماً ـ ويلك ـ ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ما هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله وما ورثك الله تعالى من كتابه حرفاً[(١)].

وفي رواية أخرى عن زيد الشحام قال:

دخل قتادة على أبي جعفر عليه السلام فقال له: أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون. فقال عليه السلام بلغني أنك تفسر القرآن؟ قال: نعم **إلى أن قال ياقتادة إن كنت فسرت القرآن تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتادة ـ ويحك ـ إنما يعرف القرآن من خوطب به»**[(٢)].

ومن خلال هاتين الروايتين يتضح أن المقصود ليس هو تنزيل القرآن بل تأويله، فلا يستطيع أحد من علماء الأمة أو عرفائها أو فلاسفتها أن يدعي أن النبي صلى الله عليه وآله أورثهم آية من بواطن الآيات أو من المقامات الغيبية في

---

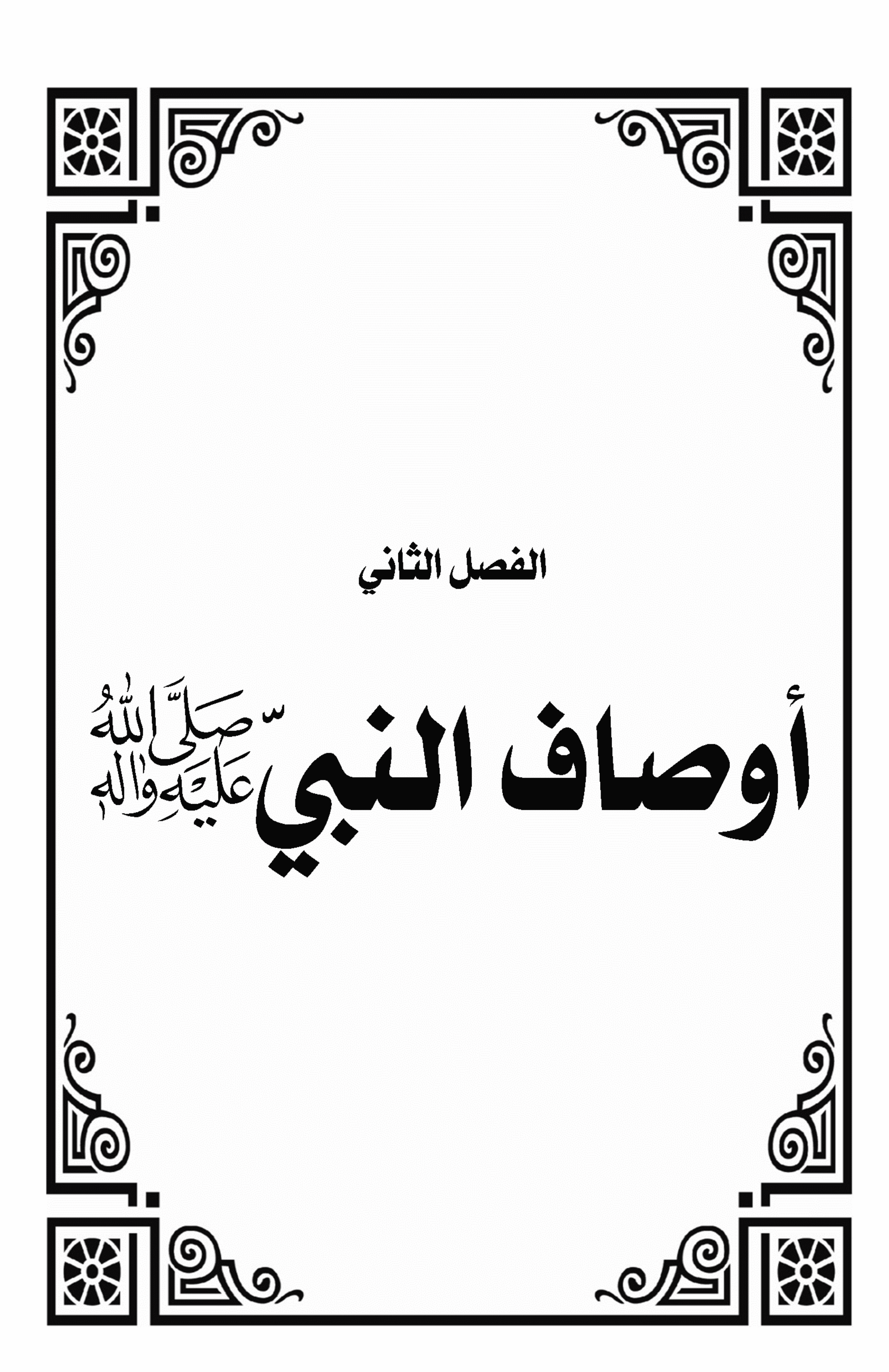
(١) الوسائل: ٢٧/ ٤٧، باب ٦، الحديث: ٧٧/ ٣٣.
(٢) الوسائل: ٢٧/ ١٨٥، باب ١٣، الحديث: ٣٣٥٥٦.

الآيات بل تلك الأمور أورثها الله عَزَّ وَجَلَّ إلى ثلة مصطفاة وهم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [1] و ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [2] أهل آية التطهير.

---

(١) ال

(٢) ال.



الفصل الثاني

أوصاف النبي صلّى الله عليه وآله

سيد الأنبياء

من ألقاب النبيﷺ وأوصافه هو سيد الأنبياء، وهذا ما نجده عند عامة المسلمين ولكن هناك قلائل إن لم نسمهم شذاذ لم يتبنوا ذلك، وهذا نتيجة ركونهم إلى روايات واهية تذكر في مصادر الحديث عند بعض أهل سنة الجماعة من قبيل قولهﷺ: من قال أنا خير من يونس بن متي فقد كذب[1].

وقولهﷺ: لا تخيروني على موسى[2].

وهذه روايات ملامحها واضحة في الدس والتدليس فيها لمناقضتها مع القرآن الكريم والقطعي من السنة، فقد ورد أن الله تعالى قال لموسىعليه السلام:

يا موسى من لقيني وهو جاحد لمحمد أدخلته النار ولو كان إبراهيم خليلي وموسى كليمي.

قال ـ موسى ـ إلهي ومن محمد. قال: ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منه كتبت أسمه في العرش قبل أن أخلق السماوات بألفي ألف سنة[3].

ومن الطبيعي أن قاعدة سؤدد وسيادة النبيﷺ على باقي الأنبياء لانظر

---

(١)صحيح البخاري ج٥: ١٨٥، صحيح مسلم ج٧: ١٠٣، ميزان الاعتدال للذهبي ج٢: ١٦.
(٢)صحيح البخاري ج٣: ٨٨.
(٣)لسان الميزان لابن حجر ج٣: ٤٥.

إليها كمديح وثناء بل هذه القاعدة تفتح لنا باباً وحقايق على قواعد وبحوث عديدة في مباحث النبوة وبالذات مباحث نبوة خاتم النبيين.

المديح الوحياني

وبعبارة أخرى أدق وأعمق نستطيع أن نقول إن لغة الفضائل والمديح في القرآن الكريم أو السنة القطعية ليست هي عبارة عن أدب مديحي جميل في لغة الوحي بل مفاده ومؤداه أن هناك مقاماً ومنصباً إعتقادياً وله آثار وحجية.

فالقرآن الكريم في أكثر من موضع عظم أهل البيت عليهم السلام وهذا التعظيم ليس نوعاً من المجاملات الوحيانية من السماء مع أهل البيت عليهم السلام فلا توجد هناك أي قرابة أو نسبة ولادة بين الله تعالى وخلقه، بل هذا التعظيم وهذا المديح له مغزى عقائدي في مقام الحجية، بدل أن يستعمل القرآن الكريم لغة كلامية أو لغة فقهية أو لغة قانونية فهو يستخدم لغة فضيلية، فالفضيلة أو الأدب في لغة الوحي لابد أن نترجمه في علم العقائد وفي علم المعرفة بأنه مقامات وقوالب حجية في المعارف، وكذلك نترجمه في اللغة الفقهية إلى إلزام وطاعة وقانون وإنضباط.

أدب موسى والخضر

فعندما نرى ذلك الأدب الذي بين موسى والخضر عليهما السلام فهو ليس مجرد تعارف أو مجاملة محضة، بل هذا الأدب الذي بينهما يعكس لنا موقعية

المديح الوحياني

ومقام النبي موسى عليه السلام من موقعية الخضر عليه السلام فعندما يقول النبي موسى عليه السلام للخضر ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[(١)]. فهو لم يفرض عليه أني سأتبعك فيكون موسى عليه السلام تابع والخضر عليه السلام متبوعاً، وهكذا بالنسبة إلى الخضر عليه السلام عندما قال لموسى عليه السلام ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾[(٢)] فهو أيضاً لا يفرض عليه، وهذه الحدود في معاني كلامهما ليست من باب المجاملة التي يتعاطاها بقية البشر عبطاً وإنما هذه حقائق تعكس النسبة بين صلاحيات مقامهما ونسبة العلاقة بينهما كما هو مفاد قول الخضر ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[(٣)].

إذن هناك نسق من الآداب للتعامل بينهما لا أنه مجرد باب أخلاقي مجاملي آدابي.

فضائل ومديح فاطمة عليها السلام

ومن الأزمة الفكرية التي ربما أبتلي بها كثير من المسلمين والمؤمنين أنهم عندما يذكرون لغة الفضائل لسيدة النساء يقولون إن هذا مجرد مديح من النبي صلى الله عليه وآله أو مديح إلهي لفاطمة عليها السلام، وكأنه يوجد بين الله وبين خلقه محاباة أو نوع من المجاملات، كلا ليس الأمر كذلك بل هذا المديح يعطي بعداً عقائدياً بلغة فضيلة، فهو عقدي وحججي وقانوني، كما يقولون في

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦.
(٢) سورة الكهف: الآية ٧٠.
(٣) سورة الكهف: الآية ٧٢.

الجرح والتعديل هذا عدل لأجل حجية روايته وإخباره الحسي، فهل التوصيف في كلام الله تعالى لا حجية فيه؟!

ومن ثم كتب الصحاح الستة عند جمهور العامة فيها أبواب خاصة لفضائل الإمام علي عليه السلام أو للحسنين أو لفاطمة عليها السلام وفضائلهم هذه تغاير فضائل الصحابة المزعومة في المحتوى والماهية، وهكذا الأمر بالنسبة إلى فاطمة عليها السلام من أنها سيدة النساء أو سيدة نساء أهل الجنة، فإذا كانت فاطمة عليها السلام لها سؤدد على مريم فهذا مقتضاه أن كل فضائل فاطمة فوق فضائل مريم، وإذا كانت لمريم عليها السلام حجية أو تتكلم مع جبرئيل مع أن مريم ليست بنبية، كما أن لمريم إصطفاء وعصمة وطهارة فكيف بالذي لفاطمة عليها السلام.

إذن هذه ليست لغة مجرد فضائل ومديح وشعر وأدب كما يقوله الشعراء والمداحون والأدباء من بحر الخيال بل هو من معدن الحقايق وإنما هذا نص إلهي في المعرفة والقرآن الكريم والوحي السماوي وله لغات متعددة، فثالثة بلغة القصص وأيضاً لها مغازى حججي وعقائدي وقانوني، ورابعة بلغة الحكم، وخامسة بلغة الجدل بالتي هي أحسن، وحاشا للقرآن أن يكون للمرائات أو للمعايات والأبكات وإنما هو لأجل إيصال مغزى معرفي لحقيقة ومفاد تشريعي وأدياني.

وهذه وقفة مهمة في منهجية المعرفة يجب أن نلتفت إليها وهي أن الفضيلة كمال والكمال اصطفاء لمقام ومنصب إلهي.

عود على بدء

حينئذ نأتي إلى معرفة سؤدد سيد الأنبياءﷺ(وتلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) [١] و (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) [٢]، والقرآن الكريم أو السنة النبوية تبين وتوضح أن للنبيﷺ موقعية وفضيلة خاصة يفوق فيها سائر الأنبياء وهذا ليس من باب المديح الأدبي وإنما هو مؤدى عقائدي ومعرفي وقانوني، وليس لأي أحد من البشر أن يقول لنا الخيار ونتخير في أن نتبع النبي موسى أو عيسى عليه السلام أو سيد الأنبياءﷺ بل إن نفس وشخص عيسى عليه السلام يلزم أن يتبع سيد الأنبياءﷺ، ومن ثم عند نزول النبي عيسى عليه السلام في دولة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يتبع شريعة سيد الأنبياء وليس شريعته ولا يبقى على رهبانيته بل سوف يتزوج على سنة وشريعة سيد الأنبياء إلى غير ذلك في كيفية الصلاة وبقية العبادات وحينئذ يخاطب القرآن النبي عيسى بـ ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [٣].

ومعنى سيادة سيد الأنبياء هو أن الوحي الذي نزل على سيد الأنبياء لم ينزل على النبي نوح ولا على النبي موسى ولا عيسى عليه السلام ولا غيرهم (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)[٤] ومن ثم يخاطب جميع النبيين عليهم السلام) بقوله تعالى في القرآن ﴿أَطِيعُواْ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٨.

عود على بدء

ﭐللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، كيف لا ولم يعطى نبي من الأنبياء النبوة أو الرسالة أو الإمامة إلا بإقراره بولاية خاتم الأنبياء وولاية آله كما في قوله تعالى ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾[1].

وفي الآية ناموس هيمنة مقام خاتم الانبياء على جميع الانبياء والرسل، والدلالة على ذلك في الآية من جهات عديدة كثيرة وأن نبوتهم فروع لنبوته، وكتبهم وحكمتهم شعب لكتابه وحكمته، وهو الآمر والناهي لهم وسيأتي بيان وجوه دلالتها، وقد جعل الله تعالى شريعته ناسخة لكل الشرايع السابقة مما يفيد أن شريعته أكملهن وأعظمهن.

ومن ثمار هذه القاعدة الشريفة أيضاً هو أنه ما أسند إلى الأنبياء في القرآن الكريم من المقامات والأفعال والصفات الكثيرة بل والمناصب العظيمة سواء كانت للأنبياء أو الملائكة هي في الحقيقة تبيان لحقيقة وهوية سيد الأنبياء، فما يسند إليهم في الواقع يسند إليه صلى الله عليه وآله، لأنه هو المهيمن وهو المسيطر وهو السيد والإمام لهم.

وبالتالي فهذه بنود لتعريف حقيقة شخص سيد الأنبياء عليهم السلام وليست في الحقيقة في الدرجة الأولى تعريفاً بالنبي نوح أو يوسف أو موسى أو

(١) سورة ال عمران: الآية ٨١.

عيسى وغيرهم، كما هو الحال في المخلوقات والخالق فإن عظمة التكوين في المخلوق هي شأن للخالق أولاً وتجلي له تعالى وعارية للمخلوق وإن لم يكن هناك قياس مثلية بين المثالين. وهذه نكتة مهمة للمعرفة في كل خوض في آيَ سورة أو آية لأي نبي من الأنبياء، وهو بحث في جانب الكمالات، وتنقيب في شخصية سيد الأنبياء والرسلﷺ فإن هناك آثاراً معرفية خطيرة للإعتقاد بأن سيد الأنبياء له السؤدد وله السيادة وله الإمامة على الأنبياء، وعلى ضوء ذلك فإذا وجدنا أي فضيلة أو فعل أو كمال قد أسند إلى أحد من الأنبياء فتلقائياً نعلم أن هذا قد أسند إلى النبي محمدﷺ، بعد قول الباري تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[1].

إذ خاتم الرسل اللهﷺ هو مجمع الفضائل والكمالات التي يتصف بها جميع الأنبياء والمرسلين وهذا ما بينه أمير المؤمنينعليه السلام من قاعدة في معرفة خاتم الأنبياء عند محاججته مع اليهود والنصارى. حتى قال لهم: ومحمد كان أكثر من هذا[2].

فالحديث عن سيد الأنبياء وعن جميع مجموع الأنبياء سواء سيان ولا يغفل ولا ينسى فيه ذكر سيد الأنبياء، فذكرهم ذكر لهﷺ، ومدحهم مدح لهﷺ، وإجلالهم إجلال لهﷺ، وتعظيمهم تعظيم لهﷺ.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.
(٢)الاحتجاج ج١: ٢٥٧.

هيمنة النبِي صلى الله عَليهِ وَآله وسلم على الأنبياء

وهناك أدلة كثيرة على ما بيناه نذكر منها:

الدليل الأول: هيمنة القرآن:

أستدل بها كثير من علماء المسلمين أن الله عَزَّ وَجَلَّ وصف القرآن الكريم بأنه مهيمن على الكتب ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾(١).

وعندما يكون هذا الكتاب مهيمناً على باقي الكتب فبطبيعة الحال أن صاحبه مهيمن على سائر الأنبياء، لأنه بعث بأعظم كتاب، فإن كتاب كل نبي يمثل الدرجة التي يصل إليها ذلك النبي عند الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن الأمر في سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله أعظم من هذا بكثير. فإن القرآن الكريم إذا كان مهيمناً على كتب الأنبياء فصاحبه مهيمن على أصحاب الكتب، كيف والقرآن يصرح بأن النبي أعظم من القرآن وفي سور عديدة ـ كما بينا ذلك سابقاً ـ وهو قوله تعالى ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ فقد قسم الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وآله ثم أعقبه بالقرآن الحكيم والتقديم الذكري دال على التقديم الرتبي في المقام والكمال.

وليس في القرآن خيال شعري أدبي ولا محاباة من القرآن للنبي صلى الله عليه وآله، بل بيان حقائق، وما هو الهدف من بيان هذه الحقائق؟.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

ولماذا يعلي ويصعد القرآن من شأن النبي(صلى الله عليه وآله) إلى هذه المقامات بل يكشف عن صعوده وعلوه؟!.

والجواب عن ذلك واضح، فإن الغاية والحكمة من بيان ذلك بيان أن سنته خالدة ومنهاجه وشريعته خالدة ولايمكن لأحد أن يتطاول عليه(صلى الله عليه وآله) ولا يقدم بين يديه سواء كان هذا التطاول في القرن العشرين أو الخامس عشر أو في القرن الأول، فيجب أن لا يقدم بين يدي الله ورسوله ويشرع في قبال تشريع النبي(صلى الله عليه وآله) أو بنهي في قبال نهي النبي(صلى الله عليه وآله).

شبهة كلامية

إن هناك جملة من المفسرين ربما يصور أن حجية القرآن فوق حجية النبي(صلى الله عليه وآله)، وهذا ربما غفلة، فإن حجية النبي(صلى الله عليه وآله) فوق حجية القرآن، ومن الواضح أن القرآن كلام الله والنبي(صلى الله عليه وآله) أيضاً هو كلام الله، فإذا كان النبي عيسى(عليه السلام) كلمة الله فالنبي(صلى الله عليه وآله) أيضاً كذلك وهو(عليه السلام) مجمع الكلام، ولذلك يقول النبي(صلى الله عليه وآله) ـ كما رواه الفريقان ـ **«أعطيت جوامع الكلم»**[1]. وهذا يدلل على أن علم سيد الأنبياء فوق علم بقية النبيين. ولا يخفى أن أعظم فضيلة من فضائل الكائن البشري هو العلم.

الدليل الثاني: أخذ الميثاق:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ

(١) الأمالي للصدوق: ٢٨٥. صحيح مسلم ج٢: ٦٤.

شبهة كلامية

ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾[(١)].

فمن خلال هذه الآية يتضح أن هناك مشهد قد حصل فيه أخذ توافق من الله على النبيين وكما هو معروف أن الميثاق أغلظ وأعظم وعهد مؤكد من الأنبياء إلى الله تعالى، وطرف التعاقد هو الله عَزَّ وَجَلَّ على أن يعطيهم الكتاب والحكمة أي النبوة ولوازم النبوة من الكتاب والحكمة ومكاسب إلهية أخرى، وقد تعطى هذه الحكمة ولوازمها لغير النبي صلى الله عليه وآله كما كانت للقمان الحكم ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[(٢)].

إذن هناك ميثاق وتعاقد إلهي للنبيين قد أعطاهم النبوة قبل إعطائهم أي منصب غيبي لدني، فقبل إعطاء الأنبياء الكتب من التوراة والإنجيل والزبور والصحف والنبوة ولوازمها وكل العطاءات الإلهية العظيمة والتي هي أمانات عظيمة وخطيرة في مسير رسالات السماء جعل الباري تعالى عهد وشرط وميثاق.

وهذا الشرط والميثاق هو (لتؤمنن به ولتنصرنه) وهذا معناه إنكم أيها الأنبياء لا تصلون إلى مقام النبوة إلا بالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ونصرته صلى الله عليه وآله، فالذي يؤهل الأنبياء هو الخاتم صلى الله عليه وآله[(٣)].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١ ـ ٨٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.
(٣)راجع الإمامة الإلهية وعمارة القبور لسماحة الشيخ الأستاذ (دام ظله).

النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمام الأنبياء

الأنبياء تابعون للنبي

فالنبيﷺ إمام الأنبياء وهم مأمومون به وناصرون له، فالنصرة يعني هم تابعون لهﷺ فلا تصح نبوتهم إلا بالطاعة لهﷺ، فالذي يقوم بهﷺ أعظم من نبوة الأنبياء، لأن إيمانهم عليهم السلام بسيد الأنبياء ولد لهم ثمرة نبوتهم وإعطائهم الكتاب والحكمة، وهذا الأمر نظير ما مر علينا سابقاً حول تقديم أسم النبيﷺ على الكتاب في قوله تعالى ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ وقوله تعالى ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ ﴾ وغير ذلك من الآيات الكريمة، فإذا كان مقام النبي الغيبي مقدم على القرآن فكيف لا يقدم على الأنبياء وكتبهم؟!.

فالإيمان بالنبيﷺ من قبل الأنبياء يوجب تعلقهم بمقامات غيبية ويكون هو مصدر الفيض وممر الوحي إلى الأنبياء، بل هوﷺ أمين الله على أنبيائه كما مر ذلك في مبحث (النبي أمين الله على وحيه).

ولو نلاحظ لطائف وإشارات القرآن الكريم كما في آية الميثاق حيث تقول (مصدق لما معكم) نرى أن سيد الأنبياء وخاتمهم هو الذي يصدق ويؤيد المصدق بمعنى يكون هو المشرف وهو الذي يعطي الاعتبار والحجية.

والأمر الآخر هو أن النبيﷺ هو المشرف والشاهد عليهم بينما مقامهﷺ بالنسبة لباقي الأنبياء غائب عنهم، أي أن مقام سيد الأنبياء الغيبي النوري هو في خفاء عن المقامات النورية للأنبياء الباقين، وإلا

لكانوا هم مشرفون وشاهدون عليه، ولكن الأمر بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله من ناحية مقامات الأنبياء ليس بخاف عنه صلى الله عليه وآله فهو مصدق لما معهم وليس مصدقاً بهم.

كل هذا والباري تعالى يشهدهم على ذلك ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فنلاحظ هنا الميثاق ثم الإقرار ثم تغليظها ثم أشهدهم على ذلك وهو سبحانه وتعالى معهم في الاستشهاد، فهذه خمسة تغليظات عند الله، فما هذا الإعظام، ولماذا هذه المحورية والمركزية لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله دون باقي الأنبياء عليهم السلام، وهناك روايات لدى الفريقين تؤكد على هذه المحورية والمركزية.

فعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أكل آدم من الشجرة رفع رأسه إلى السماء فقال: اسألك بحق محمد إلا رحمتني، فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك أسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت أسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه:

يا آدم إنه لآخر النبيين من ذريتك فلولا محمد ما خلقتك[(١)].

وعن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أعطي الله تعالى الألواح فنظر فيه قال: يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرمها أحداً من قبلي

(١) بحار النوار ج١١: ١١٦، معجم الأوسط للطبراني ج٦: ٣١٣، السيرة الحلبية ج١: ٣٥٤.

قال: يا موسى إني أصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، بجد ومحافظة وموت على حب محمد صلى الله عليه وآله.

قال موسى: يا رب ومن محمد؟ قال: أحمد الذي أثبت أسمه على عرشي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام. إنه نبيي وصفيي وحبيبي وخيرتي من خلقي وهو أحب إليّ من جميع خلقي وجميع ملائكتي.

قال موسى: يا رب إن كان محمد أحب إليك من جميع خلقك فهل خلقت أمته أكرم عليك من أمتي؟ قال: يا موسى إن فضل أمة محمد على سائر الخلق كفضلي على جميع خلقي[١].

إذن بسبب إيمان الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله استحقوا الحصول على مقامات فوق الجنة، فإن الوحي والكتب التي أنزلت عليهم فوق الجنة، لأن الجنة جسمانية والمعارف والأنوار وعالم الغيب الملكوتي عند الأنبياء أعظم من الجنة وما فيها من الحور العين، يقول الباري تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٢]. فإن باب رحمة الله للعالمين فمن يصد عن باب رحمة الله فَلابُدَّ أن يكون طريقه إلى نقمة الله وسخطه، والباري حينما يقول ﴿رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ فليس لعالم واحد بل لكل العوالم، وهنا يتضح أنه إذا كانت الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء أعظم من السماء، وأعظم من الجنة، وأعظم من النار بل وأعظم من السموات

(١) تفسير الثعلبي ج٤: ٢٨.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

والأرض فإن كل الكتب السماوية كتب وحيانية وفيها غيب السموات والأرض لم ينلها الأنبياء إلا بالتوجه إلى الخاتم صلى الله عليه وآله، وهذا يعني أنه صلى الله عليه وآله هو ممر رحمة الله لكل عالم الوجود والخلقة، فهو عميد الأنبياء أو الأمين العام للأنبياء وخاتمهم والشاهد عليهم، والقرآن يفصح بذلك، فإن القرآن الكريم لا يقول لنا اقرأني بصوت جميل وكفى بل يقول ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[1].

إذنْ لابدَّ من التدبر والتفكر وبموازين الدلالة وبهداية أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام نلتفت إلى بيانات العلم في القرآن الكريم.

النبي وعترته وعالم النور

ربما يتحسس الكثير ممن يجعل من عالم الحس أو إصالة الحس هي المبدأ والمنتهى وهي كل شيء، ولكن هناك وجود عالم النور وعالم الذر وعالم الميثاق، وهذه ليست مجرد أحاديث كما يدعي البعض، فإن هذه الأحاديث قد تعشعش وتدغدغ المشاعر الخيالية ولهذا السبب تولدت عدة أسئلة حول هذه العوالم وإن كانت هذه الأسئلة قد أثاروها قديماً، ولكن حسب منهاج أهل البيت عليهم السلام هو بطبيعة الحال مستمد من كتاب الله تعالى أنّهم عليهم السلام يذكرون في الأساس أن هناك نشأة نورية لأولياء الله وحججه لا سيما خاتم النبيين، فإذا لم يسلط الضوء على هذه النشأة النورة ومعرفة آثارها وأحكامها التكوينية في قبال من يقول بالأحكام الفيزيائية فلا

(١) سورة مُحَمَّد: الآية ٢٤.

نستطيع معرفة الكثير من المشاهد المعرفية في القرآن الكريم، وسوف نستعرض أول قصة يستعرضها لنا القرآن الكريم.

خليفة الله

ذكرت في سورة البقرة قصة استخلاف الله عَزَّ وَجَلَّ لآدم، وفي الحقيقة تعتبر هذه القصة ملحمة قرآنية عظيمة كعينة وكنموذج أول وليس حصرياً بآدم، فقد صدر المرسوم والأمر الإلهي الرئاسي إلى ملائكته وجنوده في الملكوت وهو: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾[(١)][٢].

فإن نفي التعبير بخليفة الله تعبير عظيم فهو غير التعبير برسول الله، ونحن لا نريد أن نستعرض كل صفحات هذا المشهد العظيم ولكن في بداية العقائد القرآنية التي يستعرضها القرآن للمؤمنين بالقرآن ودين الإسلام هو هذا المشهد العقائدي العظيم، وهذه بادرة وبداية محاور المعرفة العقائدية في القرآن الكريم، والقرآن ليس كتاباً يداعب الخيال أو النزوات التي في آفاق تصورات البشر، بل هو كتاب حقائق ومعرفة.

وجودات الأسماء حية عاقلة شاعرة

هناك أسماء علمت لآدم دون غيره من الملائكة، ومع مكانة هؤلاء الملائكة العظام كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومالك خازن النيران ورضوان خازن الجنان وغيرهم من الملائكة الذي محل سكناهم

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

٢البقرة: ٣٠.

السموات السبع وبطبيعة الحال هؤلاء الملائكة يعلمون ما لا نعلمه من هذه السموات من غيب، فإن كل سماء غيب عن السماء إلا دون منها، فإن كل سماء هي عوالم وطبقات إلى أن تصل إلى السماء السابعة، وهذه العوالم يعبر عنها القرآن بغيب السموات مع أن السماوات هي غيب بالنسبة لنا، ولكن هناك غيب الغيب، هذا الغيب لا تعلمه حتى الملائكة ولكن الذي يعلمه هو آدم عليه السلام وأحد هذه المغيبات هي تلك الأسماء الشاعرة العاقلة الحية ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١].

فهناك غيب للسموات والأرض لا تطلع عليه الملائكة وهذا الغيب فيه أسماء إلهية ووجودات حيث شاعرة عاقلة ولا أحد يعرف هذه الأسماء الإلهية إلا الله تعالى وخليفته، وهذه الأسماء أفصح عنها في روايات الفريقين أنها محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)[٢].

وبعبارة أخرى إن هذه الموجودات العظيمة الخلقة ـ الأسماء الإلهية ـ أعظم من السماوات السبع وما فيها لأنها غيب السموات، والدليل على

وجودات الأسماء حية عاقلة شاعرة

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣١ ـ ٣٣.

(٢) للتوسع في هذا الموضوع يراجع الإمامة الإلهية وعمارة قبور النبي وآله للشيخ الأستاذ (دام ظله).

ذلك أن الملائكة مع ما يصفهم القرآن الكريم من قوة ومكنة كما في جبرئيل ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[(١)].

وكذلك عزرائيل بما له من قوة متعاظمة في قبض روح البشر والنباتات والحيوانات والجن وبما له من هذه القدرة في حيطة الأرض والسموات أو الكواكب.

وكذلك في ميكائيل وإسرافيل الذي وكل فيه نفخ الصور، رغم كل هذه الشؤون العظيمة التي بينها القرآن الكريم للملائكة الأربعة المقربين أو لبقية الملائكة جهلوا بهذه الأسماء الإلهية العظيمة، حتى قالوا ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾.

فلابدَّ لنا أن نضع هذه الفقرات القرآنية في أصطفاف فكري كي ترتسم لنا الصورة واضحة، لأن هذه حقائق وأصول أمهات معرفة القرآن الكريم فلابد لنا ان نقف عندها ملياً، ولا نحمل أهوائنا على القرآن الكريم، أو ننظر مما يطرحه لنا من حقائق، بل يجب أن نسلم قلوبنا وأفكارنا وعقائدنا وعقولنا لتلك الحقائق القرآنية الملكوتية ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[(٢)]، فملكوت السموات والأرض بيد الله تعالى وتحت سيطرة يد الله، وفي آية آخرى يقول تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[(٣)]، يعني ببركة هذه الأيدي، فإن الله ليس بجسم،

(١) سورة التكوير: الآية ٣٠ ـ ٣١.
(٢) سورة يس: الآية ٨٣.
(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

ولكن هناك مخلوقات أجرى الله فيضه على يدها، وهي ممر فيض الله للسموات والأرض وهي نور السموات والأرض ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٣٥) ﴾[١] فهذه خمسة أنوار بينتها الآية الكريمة والذين هم أنوار أصحاب الكساء وقد بينا ذلك مفصلاً في بعض كتبنا[٢].

نحن وكتاب الله

ففي سورة البقرة يقول القرآن الكريم ﴿غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وفي سورة النور يقول ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

وفي سورة الأنبياء يقول ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ (١٩) ﴾[٣] ففي هذه الآية هناك ثلاث تقسيمات سموات وأرض والثالث.

ففي الآية الأولى عبر الباري تعالى (بالغيب) وفي الثانية عبر تعالى (بالنور) وفي الثالثة عبر تعالى (بعنده) أي مقام العندية، فالذي عند الله هو أقرب العوالم المخلوقة إليه تعالى، ولا يمكن أن تكون للباري تعالى منطقة

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥ ـ ٣٧.

(٢)الإمامة الإلهية، عمارة قبور النبي وأهل بيته.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٩.

جغرافية خاصة به بل ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[١]، ولكن هناك نشأة من النشئات خارجة عن السموات وعن الأرض، ونعم مخلوقة هي ولكنها خارجة عن الزمان والمكان والتكوين، وإنما هي في ظل العرش الإلهي.

إذن هناك ثلاث أقسام من المخلوقات:

القسم الأول: المخلوقات التي في السموات وهي الملائكة بما فيهم جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ومالك ورضوان وغيرهم من الملائكة الذين لهم شؤون عظيمة.

القسم الثاني: المخلوقات التي في الأرض وهي الجن والإنس.

القسم الثالث: ومن عنده. وهذا القسم خارج السموات والأرض، وهو مقام غيب السموات والأرض والذي هو مقام العندية للساحة الربوبية.

وبعبارة أخرى هو أول المخلوقات صدوراً منه تعالى وهو أقرب المقربين الذين قال تعالى في مدحهم ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٢].

ولم يكتفي الباري تعالى بذلك وصفهم بأنهم عباد ومكرمون ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣].

---

(١) سورة الحديد: الآية ٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٩ ـ ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٦ ـ ٢٧.

فليس صفة العبودية فقط وإنما هنالك صفة أخرى أكد عليها الباري تعالى وهي (مكرمون)، يعني لديهم الكرامات التكوينية من قبل الله تعالى.

إذن هذه المقامات الغيبية فيها مجد تكويني وهذا ليس ثناء أدبي، شعري، أو من الخيال، الخلقة النورية هي أم المعارف.

إن معرفة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته هي بالنشأة النورية أو الخلقة النورية والتي هي أم المعارف، وهذه الظاهرة الكونية هي من فواتح خلق الله، فإن الإنسان يتمايز عن الموجودات بأكمل كمال، كما أن النبات ميز عن الجماد بالنمو فنلاحظ هذا النمو والتنامي في جسم النبات هو الذي ميزه عن الجماد كالحجر والمدر لأنه أكمل كمال في النبات.

ومن باب المثال، الهواء ليس فيه حياة ونمو، وكذلك الأرض ليس فيها حياة ونمو بينما النبات فيه حياة ونمو مع أن الأرض أكبر كتلة من الشجرة المعمرة ولكن هذه الشجرة فيها حياة ما ليس في الأرض.

أيضاً هناك تمايز بين الحيوان والنبات، فربما هناك شجرة عملاقة تظل آلاف السنين معمرة وذات قطر وحجم كبير جداً ولكن نجد الحيوان الصغير فيه كمال لا يوجد في هذه الشجرة الكبيرة، فنرى لدى الحيوان الصغير الحركة والحس والشعور والخيال والخوف واللذة، بمعنى أنه يستشعر ادراكات حسية حيوانية ليست موجودة في تلك الشجرة.

أيضاً لو أردنا أن نقارن أو نقايس بين الحيوان والإنسان نجد هناك فوارق بينهما، فهناك حيوانات تبصر ما لا يبصره الإنسان، وتسمع ما لا

يسمعه الإنسان، وهذا ما حدث في زلزال توسونامي حيث كانت بعض الحيوانات كالكلاب قد استشعرت بالزلازل قبل البشر، فإن إدراكاتها الحسية أقوى من الإنسان ورغم ذلك الإنسان فيه كمال أعظم لم يكن موجود عند هذه الحيوانات ألا وهو العقل، فرغم هذه المدارك الحسية الضعيفة التي لدى الإنسان قياساً بالإدراكات التي تمتلكها تلك الحيوانات كالشم والسمع والبصر إلا أن هناك كمال أعظم من هذه الحيوانات يمتلكه الإنسان الذي هو العقل.

فلو أردنا أن نشبه ذلك بمخروطاً هندسياً لهذه الكائنات، فقاعدته السفلية أوسع بكثير من القمة، أما عند الإنسان فيكون مثلث مقلوب القاعدة، حيث تكون قاعدته فوقية والتي هي العقل.

إذن في النشأة الكونية هناك مثلثان متعاكسان، ولذا نلاحظ القرآن الكريم يصف الإنسان أنه سخر له كل شيء.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾[(٣)].

كل هذه سخره الباري تعالى للإنسان ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٠.
(٢) سورة فاطر: الآية ١٣.
(٣) سورة الجاثية: الآية ١٢.

ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[١].

ربما الماديون أو الحسيون يتعاظم لديهم الحسن ويكبر ولكن القرآن الكريم ينفي ذلك ويقول أن الحس درجة وجودية ضعيفة، لأن كرامة الإنسان على السماء أو على الأرض أو على الحيوانات والنباتات ليست ببدنه أو جثته بل بعقله، لأن العقل قاعدته وسيعة وأوسع من السماء والأرض **«ففي الحديث القدسي يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»**[٢].

لأن السماء مهما اتسعت حدودها الجغرافية ـ وكما نعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ لا تحده حدود جغرافية ـ ولكن نور عقل الإنسان ليس فيه حد جغرافي، فتجلي الظهور الإلهي في قلب المؤمن يعني في نوره وعقله، فالعقل يتجلى فيه مرآة الأنوار الربوبية، ولكن السماء مع أنها آية ولكن لا تتجلى فيها تلك المرآة.

إذن الإنسان في خلقته مثلث ضعفه في أسافله ولكن قاعدته الوسيعة في أعاليه، وهذا عكس الموجودات الأخرى كالأرض والسماء والحيوان والنبات فإن قاعدته في أسافله وأعاليه ضعيفة.

إذن هنا عندنا مثلثان متعاكسان في بيان المقارنة بين الإنسان والموجودات الأرضية الأخرى.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢)عوالي اللئالي لابن جمهور الاحسائي ج٧: ٧.

الإنسان الكامل والملائكة

والآن نقارن بين الإنسان الكامل من الأنبياء والملائكة، فلو نلاحظ القدرة الهائلة لجبرئيل عليه السلام بحيث يقول الباري تعالى ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[(١)] فهو أمين وحي وله قدرة يقلب قرى بكاملها كما فعل ذلك في قوم لوط ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾[(٢)].

وكذلك قدرة عزرائيل عليه السلام بحيث يتوفى كل الأنفس من الجن والإنس والنبات والحيوان ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[(٣)].

وكم هي قدرة ميكائيل في تدبير أرزاق السموات والأرض، وكم هي قدرة اسرافيل في نفخ الحياة في كل شيء من الموجودات الأرضية والسمائية.

إذن القدرة الجسمانية السمائية للملائكة الأربعة المقربين مع عظمتها وقوتها ولكن نورهم لم يصل إلى نور آدم بل غابت عنهم حقائق ولكن هذه الحقائق موجودة لدى آدم عليه السلام، فرغم وجودهم السمائي العظيم ولهم ما لهم من نور إلا أنهم لم يصلوا لتلك الحقائق التي لدى آدم عليه السلام كنموذج أولي لحجج الله، ولذلك أمرهم الباري تعالى أن يسجدوا لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[(٤)]، وهذا السجود بمعنى الطاعة لآدم عليه السلام.

---

(١) سورة التكوير: الآية ٢٠ ـ ٢١.
(٢) سورة هود: الآية ٨٢.
(٣) سورة السجدة: الآية ١١.
(٤) سورة البقرة: الآية ٣٤.

فالبشر قياساً إلى الأرض أو الجبال أو إلى السماء أو إلى القمر أو حتى بالقياس إلى الفيل نراه صغير الجسم قياساً لهؤلاء ولكن المسيطر على هذه الجمادات وهذه الحيوانات هو هذا الإنسان الصغير الجسم بما أودع الله به من قوة العقل والعلم بحيث استطاع أن يطير إلى الكواكب ويسيطر هذه السيطرة ببركة هذا العقل فأصبح حاكم ومسيطر على بقية الموجودات ﴿فَانفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾(١).

فسلطان العقل أعظم من السماء الأولى والثانية إلى سبع سموات، ومن أعظم الأرض ومن النباتات ومن الحيوانات لأن العقل قاعدته فوقية.

وهذا كله بالنسبة إلى الإنسان العادي فكيف إذا كان هذا الإنسان هو حجة من حجج الله تعالى، وهو أكمل فرد بشري بل أعظم البشر، فحينئذٍ قاعدته النورية تكون أوسع فأوسع، ومن ثم يكون آدم بماله من نور يطوع الله عَزَّ وَجَلَّ له كل الملائكة رغام صغر جثته فإن آدم كائن أرضي والملائكة الأربعة ـ ميكائيل وإسرافيل وجبرائيل وعزرائيل ـ كائن سماوي ومن نشئات عظيمة جداً، لأن هذا الموجود الأرضي رغم صغر جثته إلا أن قاعدته الوجودية في بنائه الوجودي وفي خلقه الوجودي عند الله عَزَّ وَجَلَّ أعظم ما خلق الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيَ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(٢).

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٣.

ومن الواضح الذي يكون له قاعدة وسيعة وجودية في غيب السموات أو في نور السموات يكون مسيطر على الموجودات يعني سخر الله له كل هذا تحت سيطرته وهذه السيطرة ليست مستقلة عن إرادة الله عَزَّ وَجَلَّ وإنما هي تمكين من الله عَزَّ وَجَلَّ.

فإذا كان كل هذا لآدم عليه السلام فحينئذٍ يكون ما هو أعظم من هذا لرسول الله صلى الله عليه وآله، وتكون لخاتم النبيين صلى الله عليه وآله تلك الشأنية وتلك الصلاحيات بحيث يأتمر بأمره جبرئيل وميكائيل واسرافيل وكل ملك في السموات، وإذا كان رضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران تحت أمره خليفة الله آدم فما بالك بسيد الأنبياء وخاتم النبيين، بل ومن هو كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنص القرآن الكريم حتى أصبح قسيم الجنة والنار. فلا يمكن لنا أن نستغرب أو نستنكر بنزعات مادية حسية وكيف يكون كل هذا البشر صغير الجثة، نعم هو بشر ولكن أودع ربه فيه علم الأسماء وطوع له أعاظم ملائكته وجعلهم تبعاً له، ومن الواضح أن الله عَزَّ وَجَلَّ ليس لديه محاباة ومجاملات وإنما جعل الله عَزَّ وَجَلَّ له ذلك لما يمتلكه هذا الموجود من علم وعقل وقدرة يسيطر بها على السموات والأرض، أو ليس القرآن الكريم يجعل صلاحيات الملائكة في الأرض وفي السماء الأولى والثانية والثالثة وفي الجنة وفي النار ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾[1].

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٧.

كرامة الإنسان الكونية

فالله عَزَّ وَجَلَّ جعل للإنسان كرامة كونية وليست كرامة تشريفية ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[(١)]. فهذه الكرامة كرامة كونية وقدرة كونية تكوينية بحيث يستطيع بهذه القدرة أن يسيطر على الأرض وعلى السماء وعلى الهواء وعلى الجن والحيوان والنبات. وأمتلك وسيطر على هذه الأشياء ليس بجثته الصغيرة ولا بإدراكاته الحسية المتناهية إلى مدى قليل، بل بالقدرة الكونية وبالعقل والعلم سيطر على ذلك.

ولذلك الكثير من الأشياء لا يسمعها الإنسان، وهناك أشعة ضوئية لا تبصرها عين الإنسان، وروائح لا يشمها الإنسان بينما بعض الحيوانات لديها القابلية على ذلك، إذن لغة الكرامة في القرآن يعني لغة حقائق ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[(٢)] وليس بحث شريعة ودين وإنما بحث فيض من الله لأولئك الحجج.

إذن كرامة الإنسان تستخيره لأكثر المخلوقات له بواسطة ما انشأ الله عَزَّ وَجَلَّ في الإنسان من رمز هوية الإنسان ومن مائز ميز الإنسان عن بقية الموجودات وهو العقل والعلم الذي في العقل.

الكفار وقريش يستصغرون الأنبياء

ولذلك نرى الكفار وقريش عندما تستصغر شأن النبيصلى الله عليه وآله ﴿ وَقَالُوا۟

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٦.

مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَـامَ وَيَمۡشِى فِى ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾[١]، فهل عظمة الإنسان في بدنه، ولذلك نلاحظ هؤلاء الحسيون وهؤلاء الماديون لا زالت هذه النزعة المريضة في فكر هؤلاء البشر، كالذي ينكر التوسل والشفاعة بسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ويقول أصبحتراب ويظن أن عظمة رسول الله صلى الله عليه وآله بالبدنوالطين والماء وما شابه ذلك. بينما عظمة الإنسان ليست ببدنه بل حتى ليست بنفسه ولا بالجانب الروحي بل في ما هو أعظم من الجانب البدني والنفسي والغريزي والروحي بل هو بالجانب النوري الذي هو العقل، فبالعقل أصبحت للإنسان قدرة يسيطر بها على الموجودات.

فلهذا السبب يقدم الله تعالى الأنبياء على الملائكة المقربين لأن لدى الأنبياء علم لدني ليس بحوزة بجرائيل وإسرافيل وباقي الملائكة. فإن أبواب السماء تنفتح أو تغلق وكذلك المقادير تتغير وتبرم بمفاتيح وخزائن ليست في السموات والأرض بل في عالم وراء السموات والأرض وفي غيب السموات والأرض ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٢].

(١) سورة الفرقان: الآية ٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣١ ـ ٣٣.

فهؤلاء التي ذكرت في الآية الشريفة هم في غيب السموات والأرض، ومن هنا يتضح أن قدرة جبرئيل ليست خزائن السموات بيده وكذلك اسرافيل وعزرائيل واسرافيل. وكذلك قدرة مالك ليست خزائن النيران بيده وهكذا رضوان خازن الجنان، بل هذه الخزائن هي في الغيب أيضاً، وهذه القدرة فوق قدرة الملائكة ولكن هي موجودة عند من أعطاه الله ذلك العلم كما في سورة فصلت ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾[1].

ولذلك نرى القرآن الكريم باستمرار يؤكد إلى وجود مخلوقات عند الله تعالى وهي ليست في السموات وفي الأرض بل ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[2] وهذا هو مقام العندية، وإذا سئل سائل من أين تقولون بذلك، من أن هناك موجودات لها مقام العندية عند رب العالمين، نقول له القرآن يصدح بذلك ﴿ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[3].

يقول تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[4]، فهناك قسم ثالث خاص غير السموات والأرض وغير الملائكة هؤلاء هم ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ كرمهم الله تعالى بخزائن غيبية وإذا كان الأمر

(١) سورة فصّلت: الآية ٣٨.
(٢) سورة القمر: الآية ٥٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٨٥.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٠٦.

هكذا فكيف لا يأمرهم الله تعالى جبرئيل وميكائيل وكل الملائكة بالسجود والطوعانية لخليفة الله ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[1] وهذا هو عالم العندية الذي سمي في سورة البقرة بغيب السموات والأرض والذي أشير فيه إلى أسماء هؤلاء، وهو نفس عالم النور الذي أشير إليه في سورة النور بنور السموات والأرض، والذي فيه وجودات خمسة الذين هم أصحاب الكساء.

والذين هم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ فالمقعد والمكان إذا كان جسماني فكيف يكون صدق أو كذب، فإذن هذا المقام مقام علمي فإن العلم هو الذي يتصف بالصدق أو الكذب أو أنه يصيب أو لا يصيب.

إذن هناك خزائن الغيب ومن خزائن الغيب تتنزل فيوضات كمالية على أهل السموات وعلى أهل الأرض ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[2].

فكان قاب قوسين

ففي سورة النجم لم يصف الله عَزَّ وَجَلَّ أي مخلوق من مخلوقاته سواء كان من الملائكة أو من الأنبياء أنه أقرب المقربين إلا خاتم النبيين صلى الله عليه وآله حيث وصفه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[3].

وهذا هو أدنى الدنو وأقرب القرب، وهذا هو أحد أدلة سؤدد خاتم

---

(١) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢١.

(٣) سورة النجم: الآية ٨ ـ ٩.

النبيين صلى الله عليه وآله على جميع الأنبياء عليهم السلام، وهو صلى الله عليه وآله أقرب الخلق والمخلوقات والعبيد كلهم كافة إلى الله تعالى.

ومن الغريب نجد أن بعض المفسرين فسر هذه الآية بأنه قرب جبرئيل من رسول الله صلى الله عليه وآله، والحال هناك تعبير في نفس السورة وبعد هذه الآية مباشرة حيث يقول تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾(١). وهذه الآية تدل على أنه ليست بوساطة جبرئيل.

وكما يقول الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في دعاء الندبة:

من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى دنواً واقتراباً من العلي الأعلى.

وكما في روايات الفريقين أن اسم النبي صلى الله عليه وآله مقرون في العرش باسم الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا يعني أن نفس اقتران الأسمين فهو صلى الله عليه وآله أقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

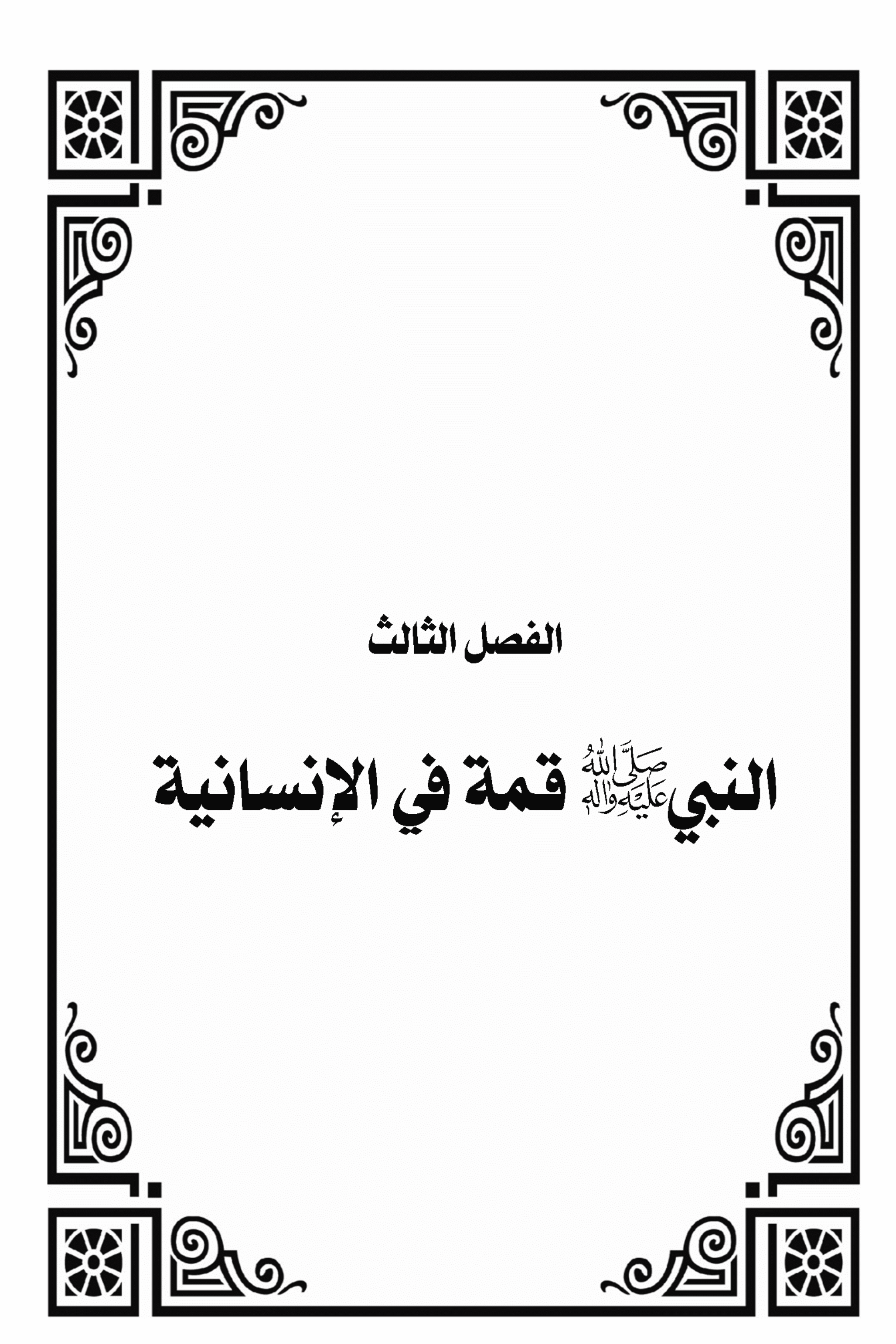
فقد ورد في روايات الفريقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب اسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمداً وألم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، أدعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»(٢).

---

(١) سورة النجم: الآية ١٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين/ الحاكم النيسابوري: ج٢: ٦١٥.



الفصل الثالث

النبي صلى الله عليه وآله قمة في الإنسانية

لغة الفطرة

إنَّ الفطرة ليست دليلا فقط لمسألة واحدة بل أصبحت لغة من لغات المعارف ونظاماً من نظم أبواب المعرفة الجذابة والرائجة جداً، فبالفطرة يرتب ويقرب البرهان لأثبات التوحيد، وبالفطرة يقرب البرهان لأثبات النبوة والإمامة والمعاد.

فإنَّ الفطرة لغة من لغات إثبات المعارف حتى أصبحت لغة كاملة ونظام متكامل، ومن أوضح وهي أبين وأكثر اللغات شيوعاً وأنتشاراً وفهماً عند كافة البشر بل عند كافة المخلوقات، وعلى ضوء هذا يستطيع الإنسان أن يفسر حالات وظواهر عجيبة بين المخلوقات بعضهم مع البعض مع اختلاف أجناسهم وأنواعهم ولا يخفى أن القرآن الكريم قد شيد هذا الباب وهذا البحث في آيات عديدة، فقد ذكر القرآن الكريم الفطرة بعناوين كثيرة ومختلفة وليس بلفظ ويعنوان الفطرة فقط بل بألفاظ أخرى مقاربة لغوياً للفطرة من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِين ﴾[1].

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١٨٤ .

ونظير قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدون ﴾[1].

إذن لابد أن نلتفت إلى هذا النظام وهذا الباب وهذه اللغة، فإن أحد أسباب وأسرار وسر نجاح الأنبياء عليهم السلام لاسيما سيد الانبياء صلى الله عليه وآله في التأثير على البشر أنهم عليهم السلام يركزون ويهتمون على لغة الفطرة من بين بقية اللغات بخلاف المصلحين الآخرين في البشر، مع الفارق الشاسع بين الذين أصطفوا من الله تعالى وبين بقية المصلحين المعروفين بالإصلاح في التاريخ البشري والحضارات البشرية والمدنية والمؤاخذة عليهم، أنهم غالباً ما يستخدمون لغة غير لغة الفطرة.

لغة الفطرة ليست صوتية

إن للإنسان نوافذ عديدة وهو ذو قوى عديدة وكل قوة من قوى الإنسان والروح والنفس الإنسانية بل حتى الملائكة والجن والحيوان والنبات لها قوى مختلفة، فكل قوة من قوى الإنسان لها لغة، فعندما نقول لغة فليس المراد بها لغة صوتية بل اللغة المعنوية أو التكوينية التفاعلية والتي هي أهم من اللغة الصوتية فهناك لغة صوتية ولغة معنوية، فالمعنى وانطباعه كخاطرة في الروح لغة هو وسيلة تفاهم، فإذا أتيت لشخص ما بمعاني خاصة قد يفهمها ذلك الشخص بينما إذا أتيت له بمعاني أخرى قد

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

تكون غامضة عليه فإنه لا يفهم ما تريد.

إذن المعاني لغة من اللغات وكل قوة من قوى الإنسان لها أحاسيس وتفاعل معنوي خاص بها.

ومن باب المثال لتوضيح هذا البحث: هناك مقوله تذكر كثيراً أن كل إنسان له نقطة ضعف فإذا أردت أصلاح هذه النقطة وتحولها من الضعف إلى القوة فلابدَّ أنْ تؤثر عليه من تلك النقطة هذه تسمى لغة وهذا هو بحث التأثير وبحث التفاهم.

فإذا كان الشخص مهندساً لابدَّ أنْ تتكلم معه بلغة الهندسة، ولذلك بعث كل نبي بلغة قومه، وليس المراد بذلك اللغة اللسانية والصوت فقط بل المعنى الذي يفهموه وهذا تفسير أخر للغة، فنفس عالم المعنى والمعاني والعلوم كمعاني وكأفكار هي لغات، فالحيوانات ـ مثلاً ـ لها لغة خاصة ليست هي لغة الصوت بل لغة التأثير بالمعنى والميول الروحية المختلفة ومن ثم نجد الأولياء، فضلاً عن الاصفياء يستطيعون أن يؤثروا على الوحوش من خلال زوايا ونوافذ وشفرة معينة يتأثير بها ذلك الحيوان.

أزدهار اللغات وطمسها

ونلاحظ في كل زمن من الأزمان وفي كل جيل من الأجيال قد تزدهر لغة من اللغات، لغة معنوية، أو لغة صوتية، أو لغة حقائق، وقد تخمد في ذلك الزمن وتجمد وتتعطل لغات أخرى، فمثلاً أبواب اليقين المذكورة في المدارس المنطقية قد تنشط لغة وتخمد أخرى، ففي زمن النبي

موسى عليه السلام كانت لغة قوة المخيلة والخيال والسحر قوية ونشيطة جداً ولذلك نرى معجزاته عليه السلام من قبيل فلق البحر وقلب العصى وقلب المطر دماً كلها مرتبطة بالتغيرات المدركة بتوسط العين وليس من الخيال لأن في الخيال يتم تغيير الصورة في العين تخيلاً وليس تغير الخارج حقيقية.

أو مثلا معجزة النبي صالح عليه السلام حيث كان قومه ينحتون من الجبال بيوتاً وهذا من مهارة الجبال والمعادن فأخرج لهم الله تعالى من فنهم ناقة ومن الطبيعي يخاطبهم من نمط لغتهم بها لايقدرون عليه ـ أي أخراج الناقة ـ وهلم جرا في معجزات باقي الأنبياء عليهم السلام.

وهناك لغة مشتركة موحدة لدى جميع الأنبياء والأوصياء ألا وهي لغة الفطرة، فإنها أسرع اللغات فهماً وليس ذلك في الإنسان فقط بل في الملائكة وفي الجن وفي الحيوان وفي النبات هناك لغة أيضا أسمها لغة الفطرة، وليس المراد منها لغة صوتية بل لغة تكوينية تفاعلية ومعنوية، يعني يمكن بهذه اللغة تفسير وترجمة بيان والتفاهم حول كل شيء.

فطرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فطرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

إنَّ الأنبياء والأوصياء برعوا في التأثير على البشر وغير البشر وذلك لأستخدامهم لغة الفطرة، بينما الفلاسفة أو العرفاء أو الصوفية لم يؤثروا على أكثر البشر لأن تأثيرهم ناقص عبر اللغة التي خاطبوا بها هذا مضافاً إلى الفارق قدرة دور بين المعصوم وغير المعصوم إذ هناك فرق كبير وواضح بين الوحي والجهد البشري، وذلك لأن الأنبياء يستخدمون لغة أكثر فهماً

عند كل الناس بل عند كل المخلوقات وهو نظام الفطرة، ولا يخفى أن الفطرة درجات ففطرة النبات تختلف عن فطرة الحيوان وعن فطرة الملائكة وعن فطرة الإنسان لأن الخلقة درجات فكذلك الفطرة أيضاً. ولكن أعظم نظام فطرة هو عند أعظم مخلوق وهو سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، يعني الفطرة التي خلق الله بها سيد الأنبياء لم يخلق بها النبي عيسى ابن مريم عليهما السلام ولا النبي موسى عليه السلام ولا النبي إبراهيم الخليل عليه السلام ولا جميع الأنبياء، فإن هذه الفطرة التي كاملها الله تعالى في سيد الأنبياء لم يجعل له نظير أو مثل سوى قرب علي بن أبي طالب عليه السلام من سيد الأنبياء عليه السلام.

ولذلك لم يشبه القرآن الكريم أحدا بمنزلة سيد الأنبياء إلا علي عليه السلام كما هو مفاد آية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[1].

ومن ثم قال أحد البابوات السابقون للكنيسة الكاثوليكية عندما أرسل اليه أحد المحققين الصحيفة السجادية قال نحن ندعي ونعتقد أن عيسى ابن مريم عليه السلام رئيس العرفان ولكني أقر أن العرفان الموجود في الصحيفة السجادية عند الإمام زين العابدين عليه السلام أعظم من الموجود عند النبي عيسى ابن مريم عليه السلام ـ وهذه الرسالة موثقة دولياً ـ والإمام زين العابدين عليه السلام نبعة يسيرة من سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فكيف بسيد الأنبياء نفسه صلى الله عليه وآله.

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

الأزمة الاقتصادية ومعجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[1]. فالفطرة هي في نفسها دين، يعني هناك تطابق وتناغم بين كل منظومة الدين وكل فطرة البشر، بل فطرة المخلوقات كلها، لأنه في بداية الآية يذكر القرآن الفطرة التي فطر الناس عليها ثم بعد ذلك يتوسع فيقول (لاتبديل لخلق الله) وهذا نوع من التناغم الذي بين دين الإسلام ودين النبي محمد صلى الله عليه وآله مع كل فطرة المخلوقات، وهذا التناغم ليس بالأثبات النظري أو بالأدلة النظرية كما في القرون السابقة بل هذا التناغم بات يشاهده البشر بالبرهان التجريبي من خلال الأزمات التي يمر بها البشر ومنها الأزمة الاقتصادية المالية التي عصفت الآن بالغرب كلها حتى أخذ رواد الفكر الاقتصادي في الغرب يصرحون خلال السنوات التسع الماضية بمعجزة تشريعات الإسلام التي أتى بها سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله من تحريم الربا وتحريم التمويه في المعاملات: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[2]. فالباطل هنا يعني تمويه المعاملات أو تمويهية غسيل أموال، وكذلك تحريم أعيان أو محرمات كالمخدرات وغيرها من المكاسب المحرمة وكذلك تحريم الأحتكار وغير ذلك.

إن الغدد الاقتصادية المحرمة التي وضع عليها التشريع الإسلامي يده هي

---

(١) سورة الروم : الآية ٣٠ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٨ .

التي تقض بمضجع الاقتصاد النموذجي لدول العالم الأول في القوة المالية والاقتصادية حتى تكاد تكسر عروش إقتصادهم وتفتته تفتيتاً.

وهناك إحصائيات كثيرة ومذهلة طالعتنا بها منظمة الأمم المتحدة أن هناك ستين فرداً وشخصاً وليس ستين الفاً أو مليوناً يملكون ٧٠٪ من ثروة أمريكا التي هي أثرى وأغنى دولة في العالم وهذا أحد أسباب الأزمة الاقتصادية.

الاعجاز التشريعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والحقد الغربي

فها هي تشريعات سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله تتجلى وتتلألأ للعقل البشري جدارتها الآن بالبرهان التجريبي أي برهان الفطرة للنظام الاجتماعي، وفطرة نظام البيئة الخضراء، وفطرة النظام البيئي المائي، وفطرة النظام البيئي الهوائي، فطرة لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، فالدين الإسلامي جعل لنا آداباً مع البيئة وجعل لنا آداباً مع الحيوانات وآداباً مع الهواء حتى مع الطعام: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا ﴾[1]، بينما شعار الرأسمالية أسرفوا أسرفوا نظام وسياسة الصرف الاستهلاكي الافراطي. وهذا أحد أسباب الأزمة الخانقة لهم وهو الإسراف والبذخ والبطر، وعندما ينالون من شخصية النبيصلى الله عليه وآله فليس عبطاً أو صدفة بل لأن إعجازه التشريعي الديني الذي بعث بهصلى الله عليه وآله أخذ يتقدم في حواضر مراكز الدراسات العالمية، فلو أراد

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

الإنسان أن يجمع من خلال وكالات الأنباء تصريحات عقول الاقتصاد الغربي الأوربي والأمريكي سواء في البنك، في المصرف، في النقد المالي، في التجارة، في الجمرك، في كل فصول الاقتصاد أنه لا منجى للغرب من هذه الأزمة المالية إلا تشريعات سيد الأنبياءﷺ، وقد صرح بذلك جملة من أمهر وأنبغ ساسة بناة النقد ونوابغ المصرف ومنظري الاقتصاد وكذا رئيس قساوسة بريطانيا قبل عدة سنوات، وهذا انتشار خطير لرواج التشريع النبوي لمحمدﷺ بالنسبة لهم لأنه بالتالي إنتشار لشخصية الرسول الأكرمﷺ ودينه الذي بعث به بحيث وصل إلى عقر عقول المفكرة والمدبرة لأقتصادهم، وبالتالي لم يبق لديهم إلا السباب والشتائم والاستهزاء والكذب والدجل وهو مؤشر الإفلاس في المواجهة العلمية لجدوائية بنيان التشريع النبوي.

الغرب والتقنين السري

أحدالاساتذة الاكاديميين والخبير في القانون الجنائي الدولي يسأل عن التشريع الإسلامي في باب الجنايات والعقوبات يعني الحدود والقصاص كيف يتلائم من التقنينات العصرية في العالم؟!.

وكان الجواب له هل تريد أن تقارن بين تقنين سيد الأنبياءﷺ وبين التقنينات والقوانين الرسمية في الدول أو القوانين السرية في الدول؟ وقد تفاجئ بهذا التقسيم وكأنه استيقظ من سبات علمي في البحث المزبور.

فإنَّ هناك قوانين غير معلنة بلْ سرية ومعمول بها في إداراتهم ووزاراتهم ولكن بشكل خفي وغير معلن عنها، وهناك الكثير من الدول الغربية إذا

لوحق بعض ممثليها، أو سفرائها، أو ضباطها، أو جنودها بقضية ما فأنه يصنع لهم محاكمة ولكن طبق القوانين المقررة وغير المعلنة ولا يسمحون بالأعلان عن تلك القوانين المعمول بها داخل أجهزة النظام وليس داخل الدول فقط بل مع شعوبهم أيضاً وإن كان في السطح الظاهر المجريات للقانون الرسمي. وأي عضو يعمل في الدولة إذا أجرم أي جرم لابد أن يحاكموه طبق تلك القوانين الخفية لديهم فيبرؤونه إذا كان طبق ضوابط تلك القوانين وإن مجرماً جنائياً فادحاً طبق القوانين الرسمية المعلنة وهذه قوانين دموية، أوباشية، وحشية الله، أعلم بمدى عنجهيتها، فالتعذيب الذي في سجن غوانتناموا أو غيره الم يكن مقنن طبق تلك القوانين غير المصرح بها رسمياً لديهم؟!.

مثلاً المخابرات المركزية (CIA) لديها قوانين خاصة ولكن من الذي أطلع على تلك القوانين، ولايمكن لأي أحد أن يطلع عليها لأنها قوانين سرية، فالقوانين المدنية المعلنة لديهم لها شكل والقوانين المقررة والمصوبة والخفية غير المصرح بها لها شكل آخر.

فإذا أردت أن تقارن أيها الحداثوي وأيها الباحث في الألسنيات والمفضل بين تقنين سيد الأنبياءﷺ وبين غيره فسيد الأنبياءﷺ ليس لديه تقنين معلن وتقنين خفي بل تقنين واحد.

فالدولة التي يديرها سيد الأنبياءﷺ أو يديرها سيد الأوصياءعليه السلام أو يديرها سيد شباب أهل الجنة ليس فيها قوانين معلنة وقوانين سرية مخفية. بل

قوانين واحدة سواء كانت قوانين عقوبات أو جنايات أو حرب أو سلم أو غير ذلك من القوانين المدنية والتجارية.

قوانين الرق في التشريع النبوي والرق الغربي

إن الرق في التشريع النبوي هو لأجل تربية الأمم لا اضطهادها أو إذلالها بل إيجاد نوع من البيئة المربية ولذلك يحرر الرق بأدنى ذريعة ووسيلة ويجعل له حقوقاً تحول دون اضطهاده. بينما لو نظر إلى قوانين الرق (الخفية) في أوربا الغربية وأمريكا فنراه رق مدلهم ودموي بحيث يعبث بعرض الفتاة وعرض الفتى، وليس الغرب فقط بل وكذا أوربا الشرقية وروسيا، ويمنعون رسمياً عن الرق ولكنهم في الخفاء بتوسط الشبكات السرية لديهم أرقام كبيرة ومذهلة في مجال الرق، فأي فطرة ينادون بها فهناك أرقام كشفت عنها منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية المدنية في الغرب، بل تم الكشف عن ملفات مدمية ومبكية ومقرفة للإنسان إذا اطلع عليها بل إنهم يقيمون حروب في العالم الثالث وتهجير شعوبها وأحد أهدافهم منها أسترقاق مايمكنهم من الفتيات والفتيان تحت جناح الشبكات السرية وعصابات بيع الرق تماماً نظير الحروب في القرون الوسطى وإغارة القبائل لأجل السبي والغنائم المادية كسرقة العقول والكفاءات والكوادر من تلك البلدان فضلاً عن ثرواتها الطبيعية.

ونراهم يرفعون شعارات وقوانين رسمية ويبطنون ممارسات وأعراف خفية أخرى، ومن يقع في أحضانهم فله الويل منهم. وقد

انكشفت بين الحين والآخر بعض هذه القوانين الخفية حتى لا يستطيعون أخفاء هذه الفضائح الكريهة،ومن دجلهم نراهم يلصقون هذه الفضائح بدين الإسلام. حتى تطاولوا على سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله وفي الواقع أنهم يريدون أن يتطاولوا على تكامل البشرية، ويريدون أن يشيطنوا الإنسانية حتى يقلبوها من انسانية إلى شيطنة إبليسية.

لأن عداء نهج الأنظمة الغربية هو مع النبل ومكارم الأخلاق الإنسانية وقمته عند سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله فغايتهم وهدفهم من التطاول على شخصية سيد الأنبياء هو نشر اليأس والإياس لدى البشرية عن وصول شخص إلى قمة النبل والمكارم لئلا يكون قدوة للبشر ولئلا ينفتح طريق وسبيل التكامل في محاسن الأخلاق كثقافة وأعراف لدى عموم البشرية فإن ذلك يورط الطبقة الحاكمة الثرية والمتحكمة في مقدرات شعوبها والشعوب الاخرى ويحرجها إذ النبل والمبادئ والقيم والمكارم تفتح باب المحاسبة والمداينة على موازين العدل والقسط وهذا مما يحرج طبقات الثروة والمال والقدرة ويمنعها عن اللعب والعبث في مقدرات الشعوب والإفساد في الأرض.

فهدفهم من الطعن زرع فكرة ونظرية أنه ليس هناك شخصاً نموذجياً، لأن الذي يغيضهم في سيد الأنبياء قممية سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله وفطرته الكاملة والصاعدة على جميع الأنبياءعليهم السلام فإنّهصلى الله عليه وآله خاض السلم وخاض الحرب وخاض المجتمع وخاض السياسة وخاض الروحانية بكل توازن ونبل وهذا ما يصعب عليهم.

إنك لعلى خلق عظيم

وصف القرآن الكريم النبي الخاتم صلى الله عليه وآله بالخلق العظيم ولم يصف باقي الأنبياء عليهم السلام بهذا الوصف، وهذا يعني أن عظمة الأخلاق لم يقر القرآن الكريم بها لأحد من المخلوقات بما فيها الأنبياء والرسل إلا النبي محمد صلى الله عليه وآله حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

نعم وصف القرآن الكريم باقي الأنبياء بصفات عديدة مثل:

النبي نوح عليه السلام وصف بالعبد الشكور كقواه تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُوراً﴾[2].

النبي إبراهيم عليه السلام وصف بالحلم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[3].

النبي عيسى عليه السلام وصف بقوله الحق كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾[4].

النبي يحيى عليه السلام وصف بالسيد الحصور كقوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[5].

النبي موسى عليه السلام وصف بالاخلاص كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا

(١) سورة القلم: الآية ٤.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٣.
(٣) سورة التوبة: الآية ١١٤.
(٤) سورة مريم: الآية ٣٤.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[١].

وغير ذلك من الصفات المذكورة للأنبياءعليهم السلام في القرآن الكريم، أما وصف جميع الصفات والكمالات، الخلقية،النفسية، الروحية والتي أجتمعت في شخص واحد لم يصف القرآن فيها أحداً إلا أثنين وهما النبي محمدصلى الله عليه وآله وخليفته الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾. حيث نزله القرآن الكريم منزلة النبيصلى الله عليه وآله.

ومنطق القرآن يشير إلى إفضال علي بن أبي طالبعليه السلام على بقية الأنبياء بما فيهم أولي العزم عدا النبيصلى الله عليه وآله وهذا ليس تمحلاً أو تكلفاً من القول بل نصوصية من القرآن الكريم.

فعن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبداللهعليه السلام يقول لبعض أصحابه قيس الماصر: إن الله عَزَّ وَجَلَّ أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم فوض إليه الدين والأمة ليسوس عباده. فقال عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وإن رسول الله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطي في شيء مما يسوس به الخلق فتأدب بآداب الله...[٢].

ولما جعله الله بهذه الصفة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أرسله ليتمم

(١) سورة مريم: الآية ٥١.
(٢) الكافي للكليني ج١ : ٢٦٦ .

مكارم الأخلاق كما قال صلى الله عليه وآله: **«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[١]. وهذا دال على أن بقية الأنبياء لم يقيموا تمام مكارم الأخلاق.

نعم إذا نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال نظارة مكسورة أو من خلال كتب صفراء إسلامية أخرى يرويها زيد وبكر الراوي فهذا بحث آخر.

وأما إذا نظرت إلى النبي صلى الله عليه وآله من خلال مرآة شفافة صافية وهي نفس القرآن الكريم أو من خلال مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي يشهد بها القرآن فسوف ترى الصورة الجميلة عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وأنها أكمل صورة إنسانية إبتدعها الله في خلقه.

تعدد الزواج وإدارة الدولة

إن الإنسان إذا انشغل بزوجة أو زوجتين نراه من الصعب أن يتصدى لأتقان وإحكام إدارة تدبير المجتمع فضلاً عن إقامة حضارة، ولا سيما إذا كانت الزوجة أو المرأة مشاكسة غير موافقة أو عصية بل معادية، كما يستعرض لنا القرآن الكريم أن بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله عصيات مما يبين لنا مدى عظمة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، رغم أن عدة من نسائه متمردات ومتعاديات فيما بينهن لكن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله قمة لا تزلزله الزلازل.

فكيف إذا كان لديه تسع نساء أو زوجات؟! وكن معه في عقر داره وليس ببعيدات عنه، فإن القائد المثالي الذي يكون قائداً مثالياً في عقر داره أولاً هو من ثم يكون قائداً مثالياً في الخارج.

---

(١) بحار الانوار للمجلسي ج١٦ : ٢١٠ .

لاحظ رؤساء العالم في زماننا هذا إذا تكلم من خلال مؤتمر صحفي ولمدة خمس دقائق نراهم يتظاهرون بالمثالية والمعالي والقممية، بينما لو تركنا عدسة التصوير تركز عليهم في محافلهم الخاصة الأخرى فسوف نرى حقيقتهم من الجيفة النتنة والكنيف الملوث، أما شخص كشخص الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله فمن حكمة الله أن يسلط عليه تسع عدسات تصوير ـ تسع نساء ـ ومن قبائل وعشائر مختلفة لأنهن عيونهم على السلوك الخفي عن الأنظار لرسول الله صلى الله عليه وآله.

فعن زرارة عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة فقلت أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: كان خلقه القرآن[١].

وعن صفية بنت حي قالت: ما رأيت أحداً أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وآله[٢]. وهذا إعتراف من بعض النساء التسعة وهو عدسة رقابية من عقر داره.

ولو نظرنا إلى شخصية الإنسان من ناحية الجنس وأشباع الغريزة نرى أن نقطة الضعف فيه هو المرأة وكذلك العكس، ولكن في شخصية النبي صلى الله عليه وآله أراد الله أن يبين أن نقطة الضعف هذه هي نقطة قوة وقممية عند رسول الله صلى الله عليه وآله فإن كل شيء في منظومة حركاته، أفعاله، غرائزه، قواه مبرمجة ومنظمة، فإنه صلى الله عليه وآله في شهوته عدل، وفي كل غرائزه وقواه وفي عقر داره عدل، وليس فقط عدله بل إحسانه في كل شؤونه وعقر داره إحسان، فهذه معجزة مجسمة وسبب ذلك هو كمال الفطرة فيه.

---

(١) مسند أحمد لأبن حنبل ج٦: ١٦٣؛ كنز العمال للمتقي الهندي ج٧: ٢٣٢.
(٢) فتح الباري لأبن حجر ج٦: ٤١٩.

النبي إبراهيم يشتكي إلى الله من زوجته

روى عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام: إن إبراهيم شكا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ما يلقى من سوء خلق سارة، فأوحى الله تعالى إليه إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمته كسرته وإن تركته أستمتعت به أصبر عليها[١].

فالنبي إبراهيم عليه السلام لم يصبر على أخلاق زوجته سارة مع أن سارة كانت بنت أنبياء فهي بنت خالة إبراهيم عليه السلام وأخت النبي لوط عليه السلام وفي نفس الوقت أم الأنبياء وقد كانت محدثة بصريح القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُـشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوط﴾ ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوب﴾ ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيب﴾ ﴿قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيد﴾[٢].

نعم كما أن الأصفياء درجات فالصديقات أيضاً درجات، فإن هناك مقدس وصفي ووفي ولكن هناك أقدس منه وأصفى وأوفى وأصدق. فسارة مع أنها صديقة ولكن النبي إبراهيم عليه السلام أشتكى منها بينما سيد الأنبياء تحمل وصبر ولم يشكو الله من العديد من نسائه ومع كونهن

---

(١) الكافي للكليني ج٥ :٥١٣.
(٢) سورة هود: الآية ٦٩ ـ ٧٣.

عدوات عصيات بشهادة القرآن وهو الفارق بين سارة الصديقة وعدة من أزواجه صلى الله عليه وآله.

وذلك من شدة نوريته صلى الله عليه وآله ومن ثم خاطبه تعالى ﴿طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ولكي يتنزل ويباشر التفاعل مع البشر شده أو أبتلاه الله بتسع نساء وإلا فهو صلى الله عليه وآله جذاب لعالم الملكوت.

العبادة العظيمة مع نساء تسع

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله مع ماله من مهام من بناء حضارة الدين الحنيف ولإدارة الدولة الإسلامية وله تسع زوجات كانت له عبادة خاصة لا أحد يستطيع القيام بها إلا هو صلى الله عليه وآله، فقد كان صلى الله عليه وآله ـ كما في بعض الروايات ـ يصلي على أطراف أصابع رجلية عشر سنين كما ورد في الاحتجاج.

فعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجليه فأنزل الله سبحانه: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[1].

وفي رواية أخرى أنه كان يقوم على أصابع رجليه حتى تورمت قدماه[2].

بلْ هناك روايات أُخرى أنه كان يصلي وهو قائم على أحدى رجليه.

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما عظم أو بعد ما ثقل كان يصلي وهو قائم ورفع إحدى رجليه حتى أنزل تعالى: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا

(١) الوسائل للحر العاملي ج٥ : ٤٩٠.
(٢) المصدر السابق.

عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[1].

فمن ذا يستطيع أن يقوم بهذه الرياضة الروحية مع القيام بكل المسؤوليات الأخرى، فترى أن نموذجية هذه الشخصية النبوية لا يمكن أن يدانيها أحد من المخلوقين ومَنْ مِنَ الأنبياء طاف حول البيت ثلاث مائة وستين طوافاً في غضون أيام، ولكن محمد وعلي «صلوات الله عليهما» قاما بذلك.

والمؤسف رؤية تحامل الغرب بالإساءة العدائية ومحاربة هذا الجبل الشامخ منذ أكثر من الف وأربعمائة سنة وفي الواقع هم يسيؤون ويحاربون ويظلمون أنفسهم قبل أن يظلموا سيد الأنبياء، كما يقول الإمام الباقر عليه السلام يتركون النهر العظيم ويمصون الثمد فيسأله السائل يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هو النهر العظيم ؟. فيقول الباقر: علم رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) المصدر السابق: ٤٩١.

العاقب والرجعة

سمي رسول الله صلى الله عليه وآله بعدة أسماء ومنها أسم «العاقب» فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **«لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»**[1].

وفي حديث آخر: بعثت أنا والساعة كهاتين وأنا العاقب[2].

وفي الخصال عن جابر بن عبدالله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«... وسماني في القيامة حاشر يحشر الناس على قدمي، وسماني الموقف أوقف الناس بين يدي الله جل جلاله، وسماني العاقب أنا عقب عقب النبيين ليس بعدي رسول، وجعلني رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قضيت النبيين جماعة»**[3].

فالعاقب في اللغة هو آخر كل شيء أو خاتمه[4].

---

(١) الموطأ لمالك، ج٢ : ١٠٠٤.

(٢) تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي : ٧٣٧ .

(٣) الخصال للصدوق : ٤٢٥ .

(٤) معجم الفاظ الفقه الجعفري لفتح الله :٢٨٢ .

ومن خلال بعض القرائن التي لا يسمح المجال لذكرها أن العاقب هو آخر من يرجع في الرجعة من المعصومين الأربعة عشرعليهم السلام، فإن آخر دولة وأعظم دولة ـ ولعلها عالم القيامة ـ هي دولة سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله، يعني يؤتي الله نبيه ملكاً لايقدر بملك الدنيا كلها، وهذا الاسم والنعت ثابت روائياً وحديثياً حتى عند المذاهب الإسلامية الأخرى من دون أن يشعرون.

والوجه في ذلك واضح فإن العالم الدنيوي أكمل كمال فيه هو أن يدار بحاكمية وقيادة وإدارة وتدبير من هو أعظم مخلوق وهو سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله، ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[(١)].

و (رادك) هنا لخصوصية خاصة لهصلى الله عليه وآله، فيأتيصلى الله عليه وآله ويقيم دولته العظمى، فإن البشرية تتطلع إلى أعظم دولة يديرها ويدبرها أعظم شخص خلقه الباري تعالى، وهذه الحكومة هي حكومة سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله وتمهد لها حكومة سيد الأوصياءصلى الله عليه وآله في الرجعة **«أربعاً وأربعين الف سنة حتى يلد الرجل من شيعة عليعليه السلام الف ولد من صلبه...»**[(٢)].

حكومة محمد وآل محمد

فهذه التطلعات أو المعتقدات يفرضها نفس البيان العقلي لأن النبي وأوصيائه أكفأ البشر، فحكومة سيد الأنبياء ترقى على حكومة سيد الأوصياء، وحكومة سيد الأوصياء ترقى على حكومة الحسنينعليهما السلام، وحكومة الحسنينعليهما السلام

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٥ .

(٢) مختصر بصائر الدرجات : ٢٧.

ترقى على حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وحكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ترقى على بقية حكومات التسعة من الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

ومن الواضح أن المستقبل هو لحكومة الأئمة عليهم السلام وليس لأحد من بقية الأنبياء الأربعة من أولي العزم العظام أو غيرهم من الأنبياء ـ عدا سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله - ليس لهم رئاسة حكومة في المستقبل إلا في ظل حكومة محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) ومن ثم جعل الله تعالى ولاية ثروات الأرض وهو الفيء في سورة الحشر للرسول ولذي القربى حكماً آبداً لا لبقية الأنبياء.

حكومتان للمهدي عجل الله فرجه الشريف

ولكن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف له حكومة في حياته عند ظهوره وله حكومة في رجعته، فإن الإمام الثاني عشر أيضاً له رجعة، وهكذا الائمة عليهم السلام لهم رجعات فتارة يكون رئيس الحكومة خليفة الله في الارض نفس الإمام المعصوم كالجواد أو الهادي أو العسكري عليهم السلام ولكن لكل من الائمة له رجعة أخرى غير رجعة رئاسته وقيادته في ظل عصره ـ عصر الرجعة ـ أي في عهد من يفوقه من المعصومين فيكون وزيراً له، ففي جملة من حكومات أمير المؤمنين عليه السلام هناك جملة من الأئمة يكونون وزراء له، وفي أعظم حكومة وهي لسيد الأنبياء يكون نائب الرئيس أمير المؤمنين وبقية الأئمة الأحد عشر عليهم السلام وزراء لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، أما جميع بقية الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا وسليمان وداود... فلا

حكومتان للمهدي عجل الله فرجه الشريف

تكتب لهم أي رئاسة حكومة أو خلافة في الأرض وإنما تكتب لهم نصره وعون لسيد الأنبياء وآله «صلوات الله عليهم»، وهذا ما ينص عليه القرآن الكريم في آيات عديدة. كقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

فإن الآهل الكفوء لأدارة كل ثروات الأرض منذ نزول القرآن والى يوم القيامة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وقرباه ولذلك نلاحظ اللام في الآية الشريفة كررت ثلاث مرات لأنها لام الاختصاص وليس مفادها ملك الاعيان القابل للزوال بل إختصاص ملك تدبير وولاية وتصرف ثابت، وهذا بخلاف الملك الشخصي، فمثلاً لو أقتضى الصالح العام إزالة بيت في وسط طريق شارع فهنا يرفع الملك الشخصي ويعوض له بمال وهذا حكم الملك الشخصي فهو ملك ضعيف أمام المصلحة العامة.

أو مثلاً مال لزيد وحدثت سنة مجاعة والناس في حالة جوع فهنا غصباً أو جبراً على زيد يعطى ماله للآخرين ويعوض، كما أن مال زيد إذا مات يذهب إلى ورثته من الأحياء. أما ملك الولاية والتدبير والتصرف فهو ملك أعظم فلا يزول ولايزال فهو أقوى ملك، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾[١]. فملك الله لا يزول، ومن بعده عَزَّ وَجَلَّ أستخلف الله نبيه وآل نبيه من دون إنعزال أو إنحسار.

ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

في الوقت الراهن ولينا بعد الله عَزَّ وَجَلَّ هو رسول الله ﷺ ولم تنقطع ولايته إلى الآن، وإن كان هذا البحث لم يذكره جملة من المتكلمين إن لم يكن جلهم، فولايته كانت ولا زالت: ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٢].

فما هو الفرق بين الهدى والدين ؟! ولماذا جاء بالهدى أولاً ثم دين الحق ؟!.

وجواب هذا السؤال أشار إليه القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد ﴾[٣].

فقد أرسل رسوله بالهدى أولاً ثم نبوته كمصطلح نبوي وإلا فإن إمامته معجونة ومسبوكة بولايته وإمامته، فولايته ﷺ مقررة ثابتة ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾.

وقد مر أن اللام مسندة إلى الله والرسول وذي القربى ولكنها غير مسندة إلى غيرهم كاليتامى والمساكين وابن السبيل من الطبقات المحرومة،

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٥ .
(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣ .
(٣) سورة الرعد: الآية ٧ .

بل هم مورد مصرف للتوزيع العادل، فمن الذي ينشر العدل في التوزيع على هذه الطبقات المحرومة هل هو النبي عيسى عليه السلام أو النبي إبراهيم عليه السلام أو غيرهما من الأنبياء ؟! كلا إنهم لم يصطفوا بالدرجة التي أهل لها سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، أو أهل لها سيد الأوصياء صلى الله عليه وآله، ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى ﴾ ومن أقرب قربى الرسول الله صلى الله عليه وآله.

ولاية فاطمة

نعم فاطمة عليها السلام عبق الإله عَزَّ وَجَلَّ حيث أوكل لها عليها السلام ملفات عديدة في مصحفها وأحد هذه الملفات هو ملوك الأرض إلى يوم القيامة وهنا نتسائل ماهو شأن فاطمة عليها السلام بالحكومات والدول؟!

ولماذا الباري تعالى يعطيها كل هذا الكشف التفصيلي؟.

لأنها عليها السلام المشرف الاصطفائي العام لصلاحية من يملك في بقاع الأرض والجغرافية الأرضية قرناً بعد قرن وسنة بعد سنة هي فاطمة الزهراء عليها السلام وليست مريم ولا خديجة ولاسارة ولا آسيا بنت مزاحم، لأنها المؤهلة الوحيدة لذلك.

فالقرآن الكريم حينما يعين ذوي القربى لأقامة العدل لمستقبل البشر ذوي قربى النبي صلى الله عليه وآله ليس هذا التنصيب من باب القبلية ولا العشائرية ولا العرقية ولا القومية بل «**كي لا يكون دولة بين الاغنياء**».

يقول تعالى في وصف أصحاب الكساء: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ

مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا﴾[١] فهذه سورة كاملة نزلت في حق إيثار [علي وفاطمة والحسن والحسين] «صلوات الله عليهم».

فهل يوجد هناك إيثاراً كإيثارهم صلوات الله عليهم، بل لايوجد هذا الإيثار عند أحد إلا عند سيد الأنبياء وسيد الأوصياء.

وليس هذا الإيثار خاصاً بدار الدنيا بل مستمراً في البرزخ فلهم إيثار يذهل أولي الألباب،لأنهم يعيشون آلام الآخرين وهم في البرزخ ولذلك لايصفى لهم رغيد البرزخ والآخرة فكيف لا يصلحون قادة لإقامة العدل إذا كان إيثارهم بهذا المستوى وقد ورى الفريقان أن رسول الله صلى الله عليه وآله يتأذى باستمرار من مشاهدته للمعاصي الصادرة من أمته ويفرح لطاعاتهم.

(١) سورة الإنسان: الآية ٨ ـ ٩.

مصيبة فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظواهر الكونية

عن عمرو بن سعيد بن هلال، عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قال: وإذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله، فإن الخلق لم يصابوا بمثله قط[1].

وفي رواية أخرى: فإنه من أعظم المصائب[2].

وفي أخرى أيضاً: فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط[3].

فإن مصيبة فقدان النبي صلى الله عليه وآله من أعظم المصائب لأنه أعظم الكائنات وأعظم البركات التي قدرها الله أن تنبع وتتفجر من بين يدي هذا الكائن العظيم وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد وصفت السيدة الزهراء عليها السلام حالة الناس بعد فقد النبي صلى الله عليه وآله حيث قالت:

فلما أختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين،

(١) الوسائل ج ٣ : ٢٦٧ .
(٢) الوسائل ج ٣ : ٢٦٧ .
(٣) المصدر السابق : ٢٦٨.

وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم..[١].

وقد ذكرت السيد الزهراء عليها السلام أحوال الكون عند أستشهاد النبي صلى الله عليه وآله حيث تقول:

أظلمت الأرض لغيبته وكسفت الشمس والقمر، وأنتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الأمال، وخشعت الجبال،...[٢].

كل هذه الظواهر السماوية والارضية حدثت نتيجة فقدان الكون لسيد الرسل صلى الله عليه وآله.

(١) الاحتجاج: ١ : ١٣٢ ؛ بحار الانوار ج ٢٩ : ٢١٦ .
(٢) المصدر السابق .

طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنقطع

ومن البين في عقيدتنا أن رحيل الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى لايعني تخلف رسول الله صلى الله عليه وآله عن إدارة الكون أو الأرض وشؤون البشر لأنه كما هو مقتضى عموم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ غير محدودة بزمن بل أبدية، سرمدية، فكذلك الحال في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله غير مقيدة بحدود حياة الرسول صلى الله عليه وآله وهو في الدنيا الأولى بل طاعته صلى الله عليه وآله مستمرة إلى يوم القيامة، وهذه الطاعة ليست مخصوصة في الأحكام النظرية والتشريعات بل حتى في كل تدابيراته للأحداث.

وفي حكومة النبي صلى الله عليه وآله، أو حكومة أمير المؤمنين عليه السلام الحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ وصلاحيات الحاكم الأول لاتقتصر على السلطة التشريعية بل تمتد إلى السلطة القضائية والى السلطة السياسية التنفيذية وما شابه ذلك. وهذه العمومية في حاكمية الله هي الفرق بين عقيدتنا وعقيدة المدارس الإسلامية الأخرى وأن ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ وحاكميته ليست حاكمية على صعيد التشريع فقط بل هو الحاكم السياسي الأول، وليس هذا معتقداً

نظرياً بل نعتقد به كمعتقد فعلي، والدليل على أن الحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ هو نزول آيات قرآنية في تدبير حكومة النبي صلى الله عليه وآله أن في الحدث الخاص يجب أن يصالح مثلاً، وفي الموطن المعين يجب أن يفرض ضريبة اقتصادية معينة، وفي موطن آخر يجب أن يشن حرباً على الظالمين، وهذه الآيات النازلة لا تأخذ جانب مفاد التشريع فقط بل تأخذ بعد وجانب تنفيذ واجراء حاكمية الله عَزَّ وَجَلَّ في المواطن والمنعطفات الخطيرة لتدبير حكومة الرسول صلى الله عليه وآله في الوزارات المختلفة من حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه هي عقيدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في حياة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا الأولى. بل وحياته صلى الله عليه وآله في البرزخ إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة.

ممثل الدولة الإلهية في عصرنا الحاضر

ونعتقد أن الذي يمثل الدولة الإلهية كان رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ثم الحسن والحسين عليهما السلام والى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إذن هناك دولة إلهية قائمة الآن هي التي تمثل البرامج الإلهية، ولو قارنا بين هذه الدولة الإلهية والبيئة البشرية لوجدنا أن الدولة البشرية دولة كارتونية تسقط بين ليلة وضحاها بعصيان مدني.

إذن في الدولة الإلهية وحكومة الرسول صلى الله عليه وآله الحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ والحاكم الثاني هو الرسول صلى الله عليه وآله وهناك صلاحيات خاصة لأمير المؤمنين عليه السلام في عهد حكومة الرسول صلى الله عليه وآله.

«ياعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي».

وأيضاً هناك صلاحيات لفاطمة الزهراء عليها السلام في ظل حكومة النبي صلى الله عليه وآله ولكن بحسب مراتب وطبقات متنزلة بعد حاكمية الرسول صلى الله عليه وآله، وهذه الدولة الإلهية لاتبدل في مراتبها برحيل أحد المعصومين، فمثلاً في حكومة أمير

المؤمنين عليه السلام الحاكم الأول هو الله تعالى وليس أمير المؤمنين عليه السلام والحاكم الثاني هو رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في البرزخ، ولكن تنزل برامج معينة تملى على أمير المؤمنين عليه السلام بما رزقه الله من قوة مصطفاة وعلم لدني.

فالحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ والحاكم الثاني هو الرسول صلى الله عليه وآله ولانقول أن مقامه وصلاحياته بعد رحيله صلى الله عليه وسلم أذيب أو أنحل ـ والعياذ بالله ـ بل هو صلى الله عليه وسلم حي يرزق عند ربه لأنه سيد الرسل وسيد الملائكة ولايزال هو سيد الخلائق ومقامه مفعل وحيوي ونشط إلى يوم القيامة.

زيارة أمين الله

ولذلك نلاحظ في عدة من الزيارات لأمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام هذه الفقرة في البداية كزيارة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله:

«السلام على أمين الله على وحيه وعزام أمره» وهذا خاص لرسول الله صلى الله عليه وآله وعزائم الأمور يعني أن الأمور العصيبة والمهمة والخطيرة في الكون فضلاً عن إدارة الأرض هي لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد الله عَزَّ وَجَلَّ الذي هو الحاكم الأول.

وهذه الفقرة ليست واردة في زيارة أمين الله فحسب بل في كل زيارات الأمير عليه السلام هناك عدة فقرات في ابتدائها زيارة لرسول الله صلى الله عليه وآله، تبين فيها مقام النبي صلى الله عليه وآله، وهذا الأمر يبين لنا أهمية الإتحاد بين نفس النبي صلى الله عليه وآله ونفس أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾[1].

هذا بالنسبة إلى زيارات أمير المؤمنين عليه السلام وكذا لاحظنا نفس زيارات النبي صلى الله عليه وآله لوجدناها زيارات بليغه وفيها بيانات مقامات للنبي صلى الله عليه وآله لا نجدها في مكان أخر.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١ .

التركيز على معاني متون الزيارات

إن الزيارات الواردة للنبي صلى الله عليه وآله أو للأئمة المعصومين عليهم السلام هي من الفاظ المعصومين عليهم السلام وقد أمرنا بالمواظبة على قرائتها والتدبر في معانيها لنركزعلى المعارف في هذه الزيارات لأنها عبارة عن دورة عقائدية مركزة يعلمها أهل البيت عليهم السلام للمؤمنين كي يكونوا على علم ووعي علمي من هذه الدروس فهي نور وهداية ورشاد وليست مجرد كلمات تقرأها أمام قبر المعصوم عليه السلام.

فأن العملة الصعبة في الآخرة هي المعرفة كما في الحديث النبوي المعرفة بذر المشاهدة، ولابد أن يكون لدينا رصيد مخزون في القبر وفي البرزخ وفي الأخرة، والمخزون هو عبارة عن هذه المعرفة الحقة ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1].

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

معرفة الأئمة مرتبط بمعرفة النبي صلى الله عليه وآله

ومن أعظم الهدايا المهداة من الأئمة عليهم السلام إلى المؤمنين هي مضمون هذه الزيارات فإنها جوهرة وذخيرة أدبية معرفية باقية، ولكن بمعرفة معانيها بشرط من زاره عارفاً بحقه ـ كما في أكثر الروايات ـ، وليس جاهلاً أو لاهياً أو غافلاً.

إذن يجب علينا أن نحتفي بهذه الزيارات، ومن ضمن تلك الزيارات التي يحتفي بها هي زيارة النبي صلى الله عليه وآله التي تعرفنا بأعظم مخلوق وهو رسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في الدعاء عن المعصوم **«اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك»**[1].

وهذا يعني أن أي خلل في معرفة النبي صلى الله عليه وآله سوف يؤدي إلى الخلل في معرفة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وفي معرفة الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وبقية الأئمة الأطهار عليهم السلام، وكلما ازدادت معرفتنا بالنبي صلى الله عليه وآله إزدادت معرفتنا بالأئمة الأطهار عليهم السلام، وإن كان هناك خلل في معرفة النبي صلى الله عليه وآله، فهو يرجع إلى خلل في معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ.

(١) مصباح المتهجد للطوس : ٤١٣ ؛ الكافي للكليني ج : ٣٣٧ .

النبي أمين على رسل الله

هناك جملة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام مصدرة بزيارات النبي صلى الله عليه وآله وتبين مقامات النبي صلى الله عليه وآله، وورد تعبير في أحداها عن الإمام الصادق: **السلام على رسول الله السلام على أمين الله على رسله وعزائم أمره الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله....**[1].

وفي هذه الزيارة ليس التعبير والوصف للنبي صلى الله عليه وآله أمين الله على وحيه بل أمين الله على الرسل، كأن المعنى أن هناك نقابة للانبياء والمرسلين أو منتدى للوحي - مثلاً - عميد هذه النقابة هو سيد الرسل صلى الله عليه وسلم، وهذه النقابة ليست نقابة صورية بل هي أعمدة من نور، بمعنى أن كل وحي أوحي إلى الأنبياء يمر هذا الوحي عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أشار جملة من المحققين إلى هذا الأمر وهو أن الأنبياء ينبئون عن سيد الأنبياء أي أنهم أنبياء لخاتم النبيين وسيد الأنبياء هو نبي لله تعالى هذا

(١) الوافي للكاشاني ج ١٤ : ١٤٩ ؛ الكافي الكليني ج ٤: ٥٧٢ ؛ كامل الزيارات لأبن قولويه : ٣٦٨.

المعنى اقتبسوه من مدرسة أهل البيت عليهم السلام نظير الحديث النبوي **«كنت نبيا وآدم بين الماء والطين»**.

ونظير مافي قوله تعالى في آل عمران ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾، وهو أن الأنبياء من النبي آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام هم أنبياء الله ولكن ليس أنبياء الله مباشرين بل أنبياء سيد الأنبياء عن الله عَزَّ وَجَلَّ فإن الرسالة والرسول تعني مأمورية ومهمة خطيرة، ومن الواضح أن عدد الأنبياء (١٢٤) الف بعضهم فقط كان مرسلاً وكانت لديه رسالة معينة وليس كلهم، ولذلك نقرأ في زيارة الرسول: **«اشهد أنك قد بلغت رسالات ربك»**[١]. كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾[٢].

فالنبي صلى الله عليه وآله لم يرسل برسالة واحدة بل برسالات عديدة، نعم النبي صلى الله عليه وآله ولد قبل عام الفيل فلم يكن موجوداً في زمان النبي إبراهيم عليه السلام أو موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام فمن أين كان رسول في زمانهم؟!.

نعم هو رسول ولكن ليس ببدنه الشريف بل بنوره وروحه الطاهرة فإن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك الرسل ليست هي مبنى وجودي ذات

(١) مصباح المتهجد للطوسي: ٧٠٩؛ الكافي للكليني ج ٤ : ٥٥٠.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

طبقة واحدة بل ذو طبقات، ففي الحديث «**خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام...**»[(١)].

فالبدن في رحم الأم شيء والروح شيء أخر كما يقول أمير المؤمنين: وليكن من أبناء الآخرة فمنها قدم وإليها ينقلب[(٢)].

الفرق بين البدن والروح

وعندما نقول أن النبيﷺ وسيط فليس ببدنه الشريف بل بنوره المقدس، ولهذا يصف الباري تعالى طبقة من وجود النبيﷺ أنه هو ذلك النور، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٣)].

ومن جانب آخر قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[(٤)].

وهناك موارد عديدة خاطب القرآن الكريم فيها النبيﷺ بـ(ماكنت).

فهل هذا الخطاب كان للبدن أم للروح ؟!.

---

(١) بحار الانوار ج٥٧:٣٥٧ ؛ كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ : ١٦٣ ؛ تفسير الرازي ج٢٩:٧٤.
(٢) عيون الحكم والمواعظ للواسطي : ٣٥٩.
(٣) سورة القصص: الآية ٤٤.

مع أن هناك موارد أخرى في القرآن الكريم يخاطب النبيﷺ بالشاهد: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا ﴾[1].

فكيف يكونﷺ شاهداً على كل هذه الأمم من آدم إلى يومنا وهولم يعش مع تلك الأمم السابقة بجسده؟! فلا بد أن يكون مهيمناً بنوره المقدسﷺ. فهل يمكن للشهيد أن يشهد من دون أن يكون له حضور علمي في ساحة الحدث وليس المدار على الحضور الجسدي الجسمي إذ قد يحضر شخص بجسده ولايحصل له علم للغفلة، بل لابدَّ أن يكون علمه حاضر ولكن ليس ببدنه بل بنورهﷺ.

وهذا مايشير إليه حديث يقول: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين[2].

فالعقل حضوره يغاير حضور البدن، فإن حالات البدن غير حالات العقل، فالعقل لا يجوع ولا يخاف بل البدن، والعقل لا يمكن الوصول إليه حتى بالسلاح النووي، فهل يستطع السلاح النووي أن يبيد العقل كلا، بل اكثر ما يستطيعه أن يفجر البدن والمخ الذي هو آلة العقل لانفس ذات العقل. إذن العقل موجود في مقام صدق عند مليك مقتدر، لأن عالم العقل عالم أخر غير العوالم الأخرى.

وإذا أردنا أن نتعرف ونفهم سيد الأنبياءﷺ أو سيد الأوصياءعليه السلام أو بقية

---

(١) سورة النساء: الآية ٤١.

(٢) روضة المتقين للمجلسي ج ١ : ٣١٠ ؛ فتاوى السبكي ج١ : ٣٨ ؛ المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢: ٦٠٩.

الأئمة عليهم السلام فمن الخطأ أن نركز على أبدانهم فقط، وإن كانت أبدانهم عظيمة وشريفة ومطهرة وطاهرة ولكن أرواحهم لها شؤون أخرى أعظم وأخطر.

البطاقة الشخصية لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله:

ولو نلاحظ القرآن الكريم كيف يصف لنا البطاقة الشخصية لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1]. والوحي المستمر يعني علم الله الأزلي، فإنه لم يصفه تعالى بأنه نفس أو جسم أو روح بل فوق كل هذا يوحى إليه صلى الله عليه وآله، ولذلك وصفه الباري تعالى في موضع آخر بأن تمام درجات النبي صلى الله عليه وآله كتلة وحيانية ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

فإن الضمير (هو) يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله، وهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وآله كتلة وحيانية قيامه، قعوده، حله، ترحاله، سيرته، جلسته، كلها وحي، والوحي لم ولا ولن ينقطع عنه أبداً بلْ وحي مستمر لأنه وحي يوحى. وهذا أعظم وصف لحقيقة ذات النبي صلى الله عليه وآله.

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.
(٢) سورة النجم: الآية ١ـ٣.

الفصل الرابع

لكل سؤال جواب






عالم الأرواح

المحاور: هل أنَّ الذهن جزء منفصل من الجسد؟ بمعنى هل أنَّ الفكر أو الذهن من خواص الجسد أو من خواص الروح؟.

الشيخ السند: الذهن والفكر من قوى الروح وله آليات بدنية.

المحاور: هل أنَّ الروح مخلوقة قبل الجسد أم الجسد قبل الروح؟ ما رأي المذهب؟ وهل يختلف مع رأي الفلاسفة وعلماء الكلام؟ وإنْ كان الجواب هو الجسد ... فماذا يكون الكلام حول عالم الذر؟.

الشيخ السند: وَرَدَ في الأحاديث الشريفة: «**إنَّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام**»[1]، وقد ذهب إلى ذلك الفلاسفة الإشراقيّون وذهب إلى ذلك الحكيم ملا صدرا، لكن بتأويل من الملا صدرا وبتفسير وجود الأرواح الجزئية في عالم العقول بوجود المعلول في كمال علّته، وأمَّا عالم الذر فيشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[2].

---

(١) الكافي، ج١، ص١٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

وهو لا يتوقَّف على قبلية أحد القسمين؛ لأنَّه يمكن انطباقه على نشاة الأجساد الحيّة بالروح وإنْ نطف بني آدم في صلب ظهر آدم بهندسة وراثة الجينات مثلاً أو غيرها من المحتملات والنظريات البيولوجية التي لم يحطّ بها الفلاسفة والبشر بعد بها، وأنَّها لها نحو حياة حيوانية تودع فيها الفطرة التوحيدية.

معرفة النفس

المحاور: ما هي ملامح أو علامات الرؤية الشاملة للنفس (أي متى يمكن للإنسان أنْ يقول إنَّ لديه رؤية شاملة حول نفسه)؟.

الشيخ السند: قدْ وَرَدَ في القرآن الكريم ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[١] أي أنَّ: **«من عرف نفسه فقد عرف ربه»**[٢]، ومعرفة النفس لا تتيسَّر إلّا بتهذيب النفس وتزكيتها وتطهيرها من رذائل الأخلاق الذي هو الجهاد الأكبر كما في الحديث النبوي ثم تحليتها بالعلوم النافعة، وباب أبواب رياضة النفس مراقبتها وهو المُعبَّر عنه بالمحاسبة ولكن يقظة برج المراقبة في الإنسان يطلعه على كثير من زوايا وبيوتات قوى النفس، كما أنَّ كثرة قراءة الكتب الأخلاقية يطلع الفرد على كثير من الأمراض النفسانية وطريقة علاجها، ولا سيّما مراجعة أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مثل كتاب العشرة في كتاب الكافي وباب العشرة وجهاد النفس في كتاب الوسائل

(١) سورة الحشر: الآية ١٩.
(٢) البحار ج٢ ص٣٢ باب ٩ ح٢٢؛ تفسير الآلوسي ج١ ص١٤٨.

للحرّ العاملي وغيرها من الكتب. هذا بعد تقيّد الفرد بالحلال وتجنُّب الحرام والمعاصي.

وقالوا: إنَّ في النفس مفاتيح لكنوز كثيرة وطاقات وقدرات خارقة لا تظهر إلّا بمخالفة الهوى والشهوة والغضب والرذائل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[(١)].

المحاور: ما هو الحدّ الأدنى للكمال الإنساني؟

الشيخ السند: الحدّ الأدنى للكمال الإنساني أنْ يعرف أصول دينه بنحو الإجمال ويلتزم في عمله بالأحكام الشرعية في الفروع وينتهج في صفاته الآداب الشرعية.

المحاور: ما هي العلامات التي يتعرف من خلالها الإنسان أنَّه خطى خطوة نحو الحق (جَلَّ وَعَلا)؟.

الشيخ السند: من أهم علامات الخطى نحوه تعالى هو أنْ يعرف الحقّ والحقائق في مسائل العقيدة أكثر فأكثر، وفي جانب العمل يقلع عن السوء ويتلبَّس بالتقوى أكثر فأكثر.

المحاور: ما الفرق بين الروح والنفس البشرية؟

الشيخ السند: الروح والنفس قدْ يطلق ويستعمل كل منهما بمعنى وفي موضع الآخر وفي كثير من الموارد كما في الآيات والروايات يستعملان

(١) سورة الشمس: الآيتان ٩ ـ ١٠.

بمعنى متغاير، فالنفس تطلق على ذات الإنسان ما دامت متعلقة بالبدن بخلاف الروح فإنَّها أعمُّ من فترة حياة البدن ومماته، كما أنَّ الروح تطلق على الأرواح الكلية غير المتعلقة بالمادّة والأبدان بخلاف النفس، وإنْ كان الفلاسفة قدْ يمزجون في الاستعمال في هذا المقام، كما أنَّ النفس تبيِّن الجانب التعلقي من ذات الإنسان بالبدن بخلاف الروح فإنَّها تبيِّن جانب الاستقلال في تذوّت ذات الإنسان بعيداً عن البدن، كما أنَّ الروح تطلق على المخلوق والمبدع من عالم الملكوت وعالم الأمر الذي يعُبَّر عنه الفلاسفة بعالم العقل بخلاف النفس فإنَّها بلحاظ الجانب التعلقي بالبدن والمادة.

وبعبارة أُخرى: إنَّ الروح تبيِّن جانب الهيمنة والسعة ي الذات الملكوتية بخلاف النفس فإنَّها تبين جانب الضيق والجزئية في الذوات.

المحاور: هل يجوز القول بأنَّ الناس فئتان، **فئة** محبوبة من الناس حتّى لو لم تعمل خيراً **وفئة** غير محبوبة من الناس حتّى لو عملت جميع الأعمال الصالحة؟.

الشيخ السند: الاعتقاد الحق من أعظم الأعمال وبقية الروع هي دونه في المرتبة، والسبب في ذلك: أنَّ الاعتقاد لا محالة يجنِّد صاحب الاعتقاد في السلوك العملي والسياسي والاجتماعي في تيار جماعة الحقّ والهدى وإنْ كان الفرد الذي يعتقد الحقّ قدْ يكون مرتكباً للمعاصي الفردية فيما بينه وبين باريه تعالى ولكنه يطيعه في أحب الأشياء له.

الفِرق والأديان

المحاور: ما هو الدليل العقلي على لزوم التمسُّك بالدين الإسلامي ورفض بقية الأديان؟.

الشيخ السند: أمَّا الدليل العقلي المجرد البحث المحض فهو لا يقضي إلّا بضرورة الحاجة إلى الدين الإلهي وأنَّ البشر والعقل المحدود محتاج في الهداية إلى الكمالات التامَّة العديدة على كل الأصعدة إلى عناية رب الخليقة.

نعم، الدليل العقلي المركَّب من مقدمات حسِّية أو نقلية قطعية قائم على لزوم التمسُّك بدين الإسلام وانحصار النجاة به، ويمكن تقريبه بِعِدَّةِ صياغات نشير إلى كيفيتها بنحو الإشارة والتفصيل فيها لا يخفى على لسائل إنْ شاء الله تعالى:

الأوَّل: إنَّ الأدلة الدالة على حقانية دين الإسالم المبيّنة البينة تثبت حقانيته، وحيث يثبت ذلك فإنَّ مفاد العديد من الآيات والروايات المتواترة هو حصر النجاة في الآخرة به دون غيره من الأديان، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين ﴾[1]. وقول النبي صلى الله عليه وآله: **«لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلّا اتباعي»**[2].

وقدْ وصف القرآن الكريم بأنَّه مهيمن على الكتب السماوية المتقدِّمة ومصدِّقاً لا وأنَّه فيه تبيان كل شيء بخلاف التوراة وغيرها فإنَّه فيها بيان

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) كنزل العمال، للمتقي الهندي، ج١، ص٢٠٠، ح١٠٠٩.

من كل شيء لا كل شيء، وأنَّ القرآن ما من غائبة في السماوات والأرض إلّا مستطرة في كتاب مبين وهو حقيقة القرآن العلوية للقرآن النازل في ليلة مباركة كما في سورة الدخان، وكذا ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ مما يدلُّ على سعة وإحاطة شمول القرآن لكلِّ شيء في كل مكان وزمان وظرف متغيِّر، وظرف متغيِّر، مما يلزمه عقلاً تعينه ككتاب هادية ورشاد.

وكذلك ما روي عند الفريقين من أنَّ: **«حلال مُحمَّدﷺ حلال إلى يوم القيامة وحارمهﷺ حرام إلى يوم القيامة»**[١]، وقولهﷺ: **«إنَّما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق»**[٢]، مما يلزمه عقلاً أنَّ تمام كمال المكارم بهذا الدين، وغيرها من الشواهد النقلية القطعية التي لا تحصى عدداً الدالَّة على ذلك الملازمة عقلاً للحصر بعد ثبوت حقّانية الدين كأمر مفروغ عنه في المرتبة السابقة.

الثاني: وجوه إعجاز القرآن التي تصل إلى ما يذرف على العشرة مناهج وقد يوصلها البعض إلى الأكثر من ذلك، منها العلوم والمعارف المختلفة في القرآن، سواء في المعرفة العامَّة الكونية كالتوحيد ونحوه أو في القانون للنظام الاجتماعي والفردي وأصول تلك القوانين أو العلوم المرتبطة بالطبيعة ونحوها أو العلوم الإنسانية المرتبطة بالأخلاق وعلم

(١) الوسائل، ج٣٠، ص١٩٦.
(٢) البحار، ج١٦، ص٢١٠.

النفس والاجتماع والعلوم الروحية، وكذلك العلوم الرياضية والفلكية وغيرها أقسام القلوم وإنْ كان تركيز القرآن للأصلي في الدرجة الأولى هو على كونه كتاب هداية وفلاح وصلاح للإنسانية.

وبعبارة أُخرى: إنَّ أحكام ومعارف الدين الإسلامي تنتدب التحدي للبشرية في وجود أي خلل فيما تعرضه كنظام هداية، شريطة أنْ تدرس معطيات الدين وتحاكم على أسس وأصول علمية وتخصصية وقطعية.

وهذا الوجه حاصر عقلاً طريق النجاة به دون بقية الأديان لتخصصه وتميزه بذلك دونها، فضلاً عن مناهج الإعجاز الأُخرى الملازمة لكمال القرآن المجيد الملازم للحصر فيه ميزة دون بقية الكتب السماوية.

الثالث: تغطية أقوال وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام لكل مستجدات ومتغيرات الأزمنة شريطة أنْ تدرس على الأصول المشار إليها سابقاً الملازم عقلاً لتعيين هذا الدين للبغاة.

الرابع: الوعد الإلهي بإظهار هذا الدين على كافَّة أرجاء الكرة الأرضية ولم يتحقق هذا الوعد الإلهي على يدّ أحد من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أنْ زويت قيادة النظام الاجتماعي السياسي للمسلمين عن أهل البيت عليهم السلام ـ مما يلزم عقلاً كون هذا الدين هو الأكمل والأمثل للسؤدد كمنهاج للشرية.

وهناك وجوه عديده لا يسع المقام ذكرها هنا ولابدَّ من الالتفات إلى أنَّ الأنبياء والرُّسل كلهم بعثوا بدين واحد هو الإسلام وإنَّما اختلفت شرايعهم وإنَّما اتباع الأنبياء السابقين حرَّفوا دين الإسلام لدى أنبيائهم إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها.

عالم الذر

المحاور: بعد أنْ ذكرتم أنَّ القرآن يصرِّح أو يذكر بوضوح بأنَّ للإنسان نشآت أُخرى قبل هذهِ نشأة الدنيا.

هناكل سؤال يتبادر كثيراً إلى الأذهان، وهو لماذا لا نتذكر نحن الآن؟ . فعندما نسأل أي شخص هل تتذكر عالم الأنوار يقول لك لا. هل تتذكر عالم الذر يقول لا فما سرّ ذلك؟

الجواب: إنَّ التذكر أو النسيان، والعلم وعدم العلم في الواقع يقع على أنماط في طبيعة مراتب روح الإنسان وذات الإنسان، وهذا النفس صادق لو أردنا التذكّر بنحو الذاكرة التفصيلية لما استودعناه من ذاكرة مشاهد وحوادث مرَّت علينا في دار الدنيا.

المحاور: نعم، التذكر لتلك العوالم ليسَ بهذا النمط التفصيلي ولا نجده من أنفسها.

المحاور: لماذا لأنَّ القوانين تختلف؟

الجواب: نعم، نحن في صدد الخوض في ذلك، الآن مثلاً ما مرَّ بنا أمس، ما مرَّ بنا في الطفولة، ما مرَّ بنا في المراهقة، ما مرَّ بنا في ريعان الشباب، ما مرَّ بنا في الكهولة إلى أنْ يشيخ الإنسان ربما يستطيع أنْ يستعرض ذلك تفصيلاً بأصواته بصوره المتحركة المتمايزة في ذاكرته بحسب قوة الحافظة والذاكرة وضعفها، لكن هذا باعتبار أنَّ طبيعة تلقي الإنسان لتلك المشاهد كانت بهذا النمط من التفاصيل، وأمَّا لو تلقى الإنسان معلومات لا بهذا



النمط من الضخّ والتعبئة والتزريق، مثلاً بعض الأحاسيس من الحب والبغض والنفرة وما شابه ذلك، طبيعة تذكر الإنسان لها تختلف عن ما يصدر من أفعال الجسم من المشاهد الحسّية، بينما المشاهد غير الحسّية ذات نمط آخر فيه إيهام آخر وفيه إدغال في الإجمال أكثر وما شابه ذلك، وبالتالي أنماط التذكر تختلف عند الإنسان وهذا لابدَّ أنْ نأخذ فيه بشيء من التفصيل وشرح البيان إنْ شاء الله، وجواب إجمالي آخر، أنَّ الإنسان يتعرّض لنفس الموقف والحالة فيما بعد من عوالم بلحاظ هذا العالم الدنيوي، وإنَّ هذا التذكر ليسَ بنحو تفصيلي كما يشير إليه القرآن الكريم، حتّى في عالم الآخرة عندما يبعث الناس يساءلون: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[1] مما يدلّل على أنَّ الإنسان رغم مروره بعالم البرزخ وما لاقاه من روح وريحان أو ـ لا سامح الله ـ نزل من جحيم وما شابه ذلك، ومع ذلك تراه إنَّه عندما يبعث يوم القيامة أو يبعث في الرجعة لا يتذكر الإنسان ما مرَّ عليه، كما تشير إليه جملة من الآيات القرآنية التي هي ما قبل نشأة المعاد نشاة الرجعة حسب ما أرشدنا إلى هذهِ الحقائق القرآنية أهل البيت في رواياتهم.

النسيان في العوالم

المحاور: إذاً هذا الامر لا يختص بعالم الدنيا فقط يعني حتّى في القيامة هنالك قدْ يكون نسيان لما قبله من عالم البرزخ؟

(١) سورة الكهف: الآية ١٩.

الجواب: بالضبط إنَّ الإنسان عندما تمرّ به مرحلة انتقال من نشأة إلى نشآت أُخرى، في النشآت الأُخرى يغيب عن محضره ومشهده تفاصيل ما مرَّ به من مشاهد سابقة. فسبب ذلك أنَّ نفسه تنشد إلى حاضرها الراهن في تلك النشأة التي تبعث فيها، فبالتالي لا تكون على إحاطة ويقظة ونباهة وتذكر تام لما مرَّ بها في نشآت سابقة، بلْ وهذا الحال نشاهده في يومياتنا نحن في عالم المنام والرؤى، ربما نشاهد سيل من المعلومات، سيل من الأفكار، سيل من الأمور ومن المطالب، ولكن عندما نبعث في اليقظة مستيقظين من النوم نشاهد إننا قدْ عشنا حالة من إجمال عما مرَّ بنا سابقاً، مع أنَّ تلك الأمور مرَّت علينا بنحو التفصيل ربما أُريناها واطلعنا وأشهدنا عليها، وربما إذا تمرّ علينا في اليقظة نتذكر أنَّ هذا الذي كنّا نعهد من قبل وربما ننسى من أين عهدناه ومن أين شاهدناه، وربما يحصل لنا التذكُّر أنَّه شاهدنا جملة من رؤى هي تنبئنا وتطلعنا على الحدث قبل وقوعه فإذاً هذهِ حالات.

المحاور: عفواً يعني هو في الواقع نسيان ليسَ كاملاً، أصل الحقيقة تبقى موجودة في النفس.

الجواب: لا ريب، وإنَّما نمط التذكر يختلف.

المحاور: علماء الأخلاق وعلماء النفس يقولون بأنَّ النسيان حتّى في هذهِ الحياة الدنيا هو رحمة، رحمة للإنسان يعني فيها آثار إيجابية. فما هو تعليكم؟

الجواب: باعتبار أنَّ القوة النازلة في النفس تتصدع ويتوزَّع عليها

التدبير لو حاولت أنْ تلمَّ بكل هذهِ المعلومات وهذهِ الأمور.

المحاور: إذنْ بالنسبة لنسيان ما في العوالم السابقة فيها هذا الجانب من الفائدة أيضاً؟.

الجواب: في الصفحة الحاضرة في ذهن الإنسان التي هي تدير قواه وأعضاء بدنه وما شابه ذلك، يعني ليست لها قابلية للإلمام بشكل دفعي بالمعلومات الهائلة وعلى ضوئها تنظم عزائمها وإرادتها، فلابدَّ من قوى أُخرى في النفس تستودع، وتكون مستودعاً لتلك المعلومات وتزقّ إلى ما دونها من قوى النفس بما يناسب ويروي لها تدبيرها بشكل حكيم تام.

المحاور: هل يمكن القول في عبارة جامعة، بأنْ لولا هذا النسيان لما في العوالم السابقة لاختلَّت حياة الإنسان في هذا العالم؟.

الجواب: نعم، بالنسبة إلى التدبير التفصيلي النازل في الإنسان وأعود إلى توضيح التذكُّر بلحاظ المحور الأوَّل، هناك مثلاً تطرح نظريات في الحكمة هي في الواقع أنواع من القراءة لروايات وآيات واردة في الكتاب والسنة، وهي أنَّه هل العلم حقيقته اكتساب أو استذكار؟ القرآن الكريم يشير إلى ظاهرة وهي أنَّ العلم تذكر، وإنَّ الأنبياء بعثوا مذكرين.

وفي نهج البلاغة أنَّ هدف بعثة الأنبياء هو «**ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ...**»، ومن هنا يتّضح أنَّ العلم هو عبارة عن التذكُّر هذهِ النظرية أو هذهِ المقولة المعرفية كيف يمكن تصورها؟.

إنَّ المنطق الذي يطرحه القرآن الكريم والحقيقة المعرفية في جملة من الآيات والروايات الواردة عنهم عليهم السلام أنَّ دور الأنبياء أنَّهم يوقضون ويوجدون في الإنسان أهم علم بأهم معلوم وهو توحيد الله والإيمان بالباري والإيمان بالمعاد والإيمان بالأنبياء والمرسلين والأئمة وما شابه ذلك من العقائد الأصلية وأركان المعرفة، تشير الآيات الكريمة إلى أنَّ هذا هو نوع من التفكير ليذكرهم منسيّ نعمته وخلقته وميثاقه وشروطه التي شرطها على الذوات الإنسانية، هذا في الواقع يمكن أنْ نتصوره ونلمسه كما عبَّر وذهب إلى ذلك جملة من الحكماء، منهم أفلاطون الحكيم أنَّ الإنسان عندما يبحث عن دليل معيَّن أو يريد أنْ ينقِّب عن مجهول معيِّن من المجهولات، يعبِّر في علم المنطق حركة الفكر من المجهول إلى المعلوم أو إلى المجهول ثم إلى المعلوم ثم مرَّة ثانية إلى المجهول ليكشف النقاب عن الغموض وإجمال في المجهول ويصير معلوماً وبالتالي تكتشف النتيجة، المقصود أنَّه لابدَّ من مناسبة بين المجهول الذي يراد كشف النقاب عن ظلمانية الجهل به لدى الإنسان حوله مع المعلوم إذا هناك رأس مال من المعلومات بتوسطها يستطيع الإنسان أنْ يكشف النقاب عن المجهولات، وهذا يستدعي أنَّ هناك مناسبة ذاتية بين المجهولات والمعلومات، بالتعبير طبعاً المنطقي يُقال أنَّه أوسط وأكبر وأصغر وأنَّ الأوسط هو واسطة، مثلاً كل إنسان ناطق، وكل ناطق مدرك فكل إنسان مدرك، النتيجة وصلنا إليها عبر توسّط واسطة هي تخلق أو واجدة للمناسبة بين المجهول المعلوم، الواسطة مثلاً هي في مثالنا الذي مرَّ بنا يكون الإنسان ناطق فبالتالي هناك مناسبة لابدَّ أنْ

تكون ذاتية وليست هناك بينونة تامَّة بين المجهول والمعلوم وإلّا لكان حركة الفكر من المعلوم إلى المجهول، أو من المجهول إلى المعلوم في حركة الدورتين عبثاً، إذْ لا يتمكَّن من الوصول إلى استنتاج النتيجة بعد فرض البينونة ليستنتج النتيجة وينقب ويفصح ويسير ساعياً لوصول النتيجة لكانت تلك حركة سدى وعبث، فلابدَّ إذاً من مناسبة ذاتية، فالمناسبة الذاتية تدلّل على أنَّ كل المجهولات في الواقع مكدَّسة بنحو علمي في المعلومات الأولى مثلاً من باب المثال.

المحاور: يعني تقصدون البديهيات؟

الجواب: البديهيات سواءاً كانت تصورات أو تصديقيات مثلاً قضية التناقض، نحن نستعمل التناقض واستحالة التناقض في جملة الاستدلالات والتصديقات الاولية إلى نهاية التصديقات المترامية اللامتناهية، مما يدلّل على أنَّ هذهِ المعلومات ارتباطها بالتناقض ارتباط تكديسي، وكبس معلوماتي، حاشد في نفس معلومة القضية الأولى وهي استحالة التناقض، أو مثلاً الشيء والموجود معنى بديهي ومن بديهي التصورات أنَّ الشيء موجود، أو إذا كان موجوداً يعين ليسَ معدوماً أنَّه موجود أو غير موجود فنفس معنى الموجود كمعلومة وتصور بديهي له مناسبة ذاتية مع كل أفراد الموجد.

بعبارة أُخرى: إذاً بين أفراد المعلومات المجهولة في التفاصيل وأفراد أفرادها وإلى مشجرات هرمية لا متناهية في المعلومات، ترجع إلى أس مخروطي في المعلومات تصوراً أو تصديقاً تكون أفراد تلك المعلومة الأولى

وبالتالي هي موجودة في المعلومة الأولى الكلية هو نوع من التذكر، إذنْ فبالتالي لو لم يكن يعلم الإنسان بهذهِ المجهولات بنحو علم سابق ولو إجمالي لما استطاع أنْ يكتسب معرفة تفصيلية جديدة هذهِ المعرفة الجديدة هي نوع من التذكر وهو التفتق لما كان يعلم به الإنسان وهو نوع اكتساب بمعنى اكتساب للعلم بأحوال تفاصيل جزئيات التطبيقية للمعلومة الكلية التي لها طبقات من المصاديق فهو نوع من الاكتساب وهو نوع من التذكُّر، تذكّر باعتبار نفس هذهِ المعلومة الموجودة وفي كبدها موجودة كل هذهِ الركان من المعلومات للمجهولات ولكن الإنسان لم يفتقها. إذنْ ذات الإنسانية بحسب طبقات قواها ووجودها السابق هو بالتالي الذي أهلها لأنْ تكتسب مثل هذهِ الكمالات العملية أو العملية في لاحق نشآتها.

المحاور: فيما يرتبط بالعوالم التي مرَّ بها الوجود الإنساني إنْ صحَّ التعبير قبل أنْ يصل أو يولد في هذهِ الحياة الدنيا، أنتم بيَّنتم مجموعة من الأدلة القرآنية على وجود هذهِ العوالم، وأنَّ الحياة الدنيا ليسَ هي بداية حياة الإنسان في الواقع حسب الرؤية القرآنية.

سؤالنا هو عن الخصائص المشتركة والمشتركات بين هذهِ العوالم فيما يرتبط بوجود الإنسان فيها؟.

الجواب: يشير القرآن الكريم إلى أنَّ مرور الإنسان بتلك العوالم وتنشأته في تلك العوالم، لها كبير التأثير والدخالة والتأثير في خيارات الإنسان المطروحة في إرادته ومسيرته وعاقبته في هذهِ الدار وهي دار الدنيا،

فحيث يقول تعالى بالنسبة إلى عالم الذر: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾[1] إلى أنَّ تتابع الآية تفيد أنَّ هذا النوع من الأشهاد هو نوع من النمط الذي جرى وحدث في ذلك العالم، لأجل أنْ يحدث في الإنسان تذكرة ودعامة علمية بنيوية مركوزة في فطرته وذاكرته وفي هويته العلمية كي يتسلح بها ويتأهل بها للامتحان التكليفي وامتحان الإيمان في هذهِ الدار.

المحاور: فيما يرتبط بهذهِ العلاقة يعني هناك علاقة بين كل عالم والعوالم الأُخرى التي مرَّ بها الإنسان؟.

الجواب: لا ريب، فإنَّ الآيات تشير إلى أنَّ هذهِ المعدات التي أوجدت وجهز بها ذات الإنسان، هي مؤثرة شديدة التأثير في استعداده لتقبل هذا الامتحان والنجاح والتغلُّب على عقبات وشدائد ومكابدة الامتحان في دار الدنيا، ولا سيما امتحان الإيمان والمعرفة والإدراك فمثلاً في الآية الأُخرى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ تشير إلى مراتب، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ فقد ذكر المفسرون في رويات أهل البيت إنَّه وشج على فطر وغرائز وتلقينات علمية يدركها ﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2] ثم تشير إلى أنَّه قبل مجيء الإنسان في دار الدنيا قدْ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٢ ـ ٣.

أغرز وجهّز في ذاته بقوة إدراكية ومعارف معينة يتأهل ويستعد بها بالخوض في غمار الامتحان في هذهِ الدار، ومن ثم وَرَدَ في روايات الفريقين وبل في الآيات الكريمة ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[1] وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«وواتر إليهم أنبيائه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة، ...»**[2] إذاً خلقت الفطرة وأوثقت وجهّزت وبنيت بمثل هذهِ الرساميل العلمية الإدراكية الموجودة في الفطرة الإدراكية العقلية والعملية لوجود الإنسان.

المحاور: هل يمكن القول بإنه كما هنالك علاقة بين حياة الإنسان في هذهِ الدنيا والعوالم السابقة، هنالك أيضاً علاقة بين حياة الإنسان في هذهِ الدنيا والعوالم اللاحقة؟.

الجواب: نعم، كما يشير المفاد القرآني ورؤية القرآن المنبهة والموجدة لهذا الفهم العلمي الحافل لدى البشرية، من أنَّ هناك ترابطاً بين أعمال الإنسان وما سيأتي له في العوالم اللاحقة وسوف يكون في الحقيقة هناك ترابطاً بين ما يأتي به الإنسان ويتجسّم من أعماله في العوالم اللاحقة وبين ما غرز وجهّز به الإنسان وهيأ به في العوالم السابقة وهذا العالم هناك أيضاً ترابط طردي موجود لدى إدراك الذهن.

---

(١) سورة الغاشية: الآية ٢١.

(٢) نهج البلاغة، ج١: ٧٤.

المحاور: بيَّنتم فيما سبق كثيراً من الحقائق القرآنية فيما يرتبط بعوالم قبل عالم الدنيا ووجود الإنسان في تلك العوالم، الآن سؤالنا عن عوالم أو عالم الذر بالخصوص وهو أقرب العوالم على ما يبدو من بعض الآيات القرآنية ما يفهم أنَّه أقرب العوالم إلى عالم الدنيا ما هي خصائص هذا العالم أو ما هي الرؤية القرآنية فيما يرتبط بهذا العالم ووجود الإنسان فيه؟.

الجواب: الملحوظ من مفاد آية الذر ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾، ملحوظ فيها أنَّ الآية الكريمة تشير إلى أنَّ هناك نشأة إدراكية سابقة لذات وروح الإنسان مرتبطة نحو ارتباط بعالم المادّة، بعبارة أُخرى عالم الذر ليسَ هو عالم أرواح مجرد عن الأبدان وعن المادّة ولا هو عالم مادّة محض يعين ليسَ هو كالعلقة، ولي سهو كالنطفة والمضغة واللحم: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ ويشار إلى أنَّ هناك جنبتان في نشأة عالم الذر، هي نشأة إدراكية؛ لأنَّه خوطبوا لما لهم من ذوات مدركة وأجابوا لا لأنَّ نمط الإجابة بأصوات وألفاظ أو نمط الإجابة هو في الواقع بتجاوب إدراكي متناسب مع تلك النشأة الإدراكية كما أنَّ الإنسان تمرّ به خواطر أو معاني في مراتب عقلية في ذهنه فيتجاوب معها وينساق معها بما يتناسب مع تلك المرتبة في قلبه وعقله وباطن روحه.

المقصود أنَّ الآية الكريمة في عالم الذر تشير إلى هذا التنوّع والتعدد، وأنَّ هناك جنبتين في عالم الذر جنبة إلى النشأة الإدراكية وجنبة مرتبطة أيضاً بنحو بعالم المادّة لأنَّ التعبير في الآية الكريمة (من ظهورهم) حيث قال

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ مما يدلّل على أنَّه له جنبة اتصال ونحو اتصال بعالم المادّة، فإذاً ليسَ هو عالماً إدراكياً محضاً وليسَ عالماً روحانياً كما وَرَدَ في الحديث النبوي: «**خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام**»[(١)] ولا هو جانب إعدادي مادّي محض كما في سلسلة أُخرى من الآيات: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[(٢)]، وحينئذٍ يمكن تصوير تنشأة الإنسان في عالم المادّة وتجسّمه والفلاسفة الإسلاميين وحتّى الإمامية منهم لم يفض ولم يبلور هذا البحث عندهم إذْ نظرية ملا صدرا رغم أنّها من أرشد النظريات الرائدة الآن على الصعيد الفلسفي حيث أنّها تؤمن أنَّ روح الإنسان جسمانية الحدوث روحانية البقاء، وإنَّ الروح حادثة بحدوث خلق البدن بينما تشير هذهِ الملفات الإعجازية العلمية الضخمة في القرآن الكريم إلى أنَّ تنشأة عالم الذر هي تنشأة برزخية بين عالم الأرواح وقبل عالم الأبدان.

المحاور: هذهِ قضية مهمة يعني يقابل حياة البرزخ أو عالم البرزخ بعد وفاة الإنسان.

الجواب: نعم، كما في قوس الصعود كما يقولون أو قوس النزول في قوس المجيء ومسار المجيء ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعون﴾ فمن حيث

---

(١) البحار، ج٥٨: ١٣٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

أفعال ومخلوقات الله تعالى في بدأ مراحل وعوالم الصدور، توجد هناك نشاة في الواقع هي شبيه للبرزخية تمثّل عالم الارتباط بين عالم الروح وعالم المادّة وهذا نحو في بداية تعلّق الروح بالمادّة قبل مرحلة النطفة والعلقة والمضغة، وفي الحقيقة الحكيم ملا صدرا فضلاً عمن قبله من الحكماء لم يسلط الضوء إلّا على نشأة الجنين وكيفية ارتباط الروح بالإنسان بمرحلة الأجنّة وكينونته جنيناً في بطون الأمهات والأرحام أمَّا المراحل السابقة على ذلك ففي نظرية ملا صدرا ليسَ هناك أي تسليط للضوء عليها ولا إشارة لها وإنْ كانت الأبحاث العلمية الحديثة الآن تثبت أنَّ الحيمن ونظام الوراثة والهندسة الوراثية الموجودة في الأصلاب في الواقع لها سبقة زمانية ممتدة بسبق وجود الإنسان في ظهر آدم أبو البشر.

المحاور: يعين هي تقترب ف يالواقع من منطوق الآية الكريمة وإنَّ الآية القرآنية ليست تسبق الفلاسفة فحسب في هذهِ الحقيقة العلمية بلْ تسبق أيضاً الأبحاث العلمية الحديثة؟.

الجواب: نعم، مفاد الآية سابق على نظرية الهندسة الوراثية الحديثة، التي كشف الآن عنها العلم الحديث، حيث تبيَّن أنَّ النظام الوراثي أو أنَّ الحياة بدرجة من الحياة الحيوانية موجودة لدى كل نسل البشر من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.

المحاور: يعني هذا أيضاً ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هذا التعبير؟ .

الجواب: ففي الواقع علم الهندسة الوراثية الآن يصبّ بشكل مركَّز

كمحاولة وكقراءة من القراءات الجارية في آية خلق عالم الذر، مما يدلّل على أيّة حال إنَّ هذهِ النشأة والتنشأة لم يخض غورها الحكماء إلى يومنا هذا.

المحاور: أنتم في الأسئلة السابقة بيَّنتم خصوصيات عالم الذر والعوالم الأُخرى التي سبقت الوجود الإنساني أي قبل الحياة الدنيا. **والسؤال هو:** فيما يرتبط بعالم الذر ألا يمكن أنْ تكون آية أخذ الميثاق تعبيراً رمزياً عن أنَّ فطرة الإنسان خلقت بصورة بحيث تقرّ بالتوحيد دون أنَّ ءتعني هذهِ الآية الكريمة مرور الإنسان بعالم آخر قبل عالم الدنيا؟.

الجواب: هذا التقرير في الواقع أفاده العلّامة الطباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان[١] فأوَّل أو حمل معنى عالم الذر أو عالم الميثاق باعتبار أنَّهما عالمان بلْ لدينا إشارات في الآيات والروايات إلى عوالم متعدِّدة قبل نشأة عالم الدنيا فقرر وبيَّن معنى تلك العوالم بمثل هذا الإطار وهو وإنْ كان فيه جهة من المتانة إلّا أنَّ ذلك لا ينفي بالتدبر والتعمق والتحليل ما وَرَدَ في الروايات فإذا كانت الفطرة مدركة للتوحيد فهذهِ الفطرة هي ليست مادّية، هذهِ الفطرة التي هي في كنه كينونتها موجود جوهري مجرَّد وبالتالي هذهِ النشأة ليست كنشأة الأرحام والأصلاب، بلْ نشأة علمية، ومنه يعلم إنَّ النشآت العلمية ليست هي متأخرة عن النشأة المادّية بلْ لها في مسير بدأ الخلقة موقع متقدِّم، كما أنَّ لها في مسير بدأ الخلقة موقع متقدِّم، كما أنَّ لها في مسير منتهى الخلقة مرتبة وموقع لاحق، وهذا لا ينفي وجود تقرر نحو من النشأة

---

(١) تفسير الميزان، ج٨: ٣١٦.

السابقة التي يؤكِّد عليها القرآن، وإنه لولا غرز الله تعالى في هوية وذات الإنسان مثل هذهِ العلوم وهذهِ الإدراكات لما كان يصل إلى بصيص إبصار تلك المعارف وإلى عوالم الخلقة وتخلق عوالم الخلقة ووصولها إلى معدن العظمة وهو معرفة وإدراك الذات الأحادية السرمدية الإلهية.

المحاور: نعم، بطبيعة الحال بما يستطيعه أو يتحمله الإنسان، باعتبار أنَّ إدراك كنه الذات أمر محال، فيما يرتبط بجوابكم اعتقد أنَّ العلامة السيد الطباطبائي رضي الله عنه ذكر بأنَّ هناك حدود سبعة عشر رواية صحيحة السند، تصرِّح بوجود عالم الذر، ويمكن أنْ يثمن هذا الكلام أنَّه عندما قال بهذا الرأي إنَّما قال نتيجة العوالم السابقة تكون بصورة بحيث جعلت فطرة الإنسان مقرّة بالتوحيد؟.

الجواب: إنَّ تلك التنشئة العلمية التي مرَّ بها وخاضها الإنسان في تلك العوالم، هي التي تؤهله لأنْ يدرك المعلومات في هذهِ النشأة وهو ما يعرف بنظرية التذكُّر سواء في لسان القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِر﴾[1] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِر﴾[2] حيث يؤكِّد بقوة القرآن الكريم في نظرية المعرفة على أنَّها، لها ارتباط بالتذكر، فمما يدلِّل على أنَّ مثل هذهِ المعلومات إذنْ مغروزة، مكدَّسة، مكبسة، في ذات الإنسان بشكل رق تفتق بتوصل الفهم والإدراك،

(١) سورة الغاشية: الآية ٢١ ـ ٢٢.
(٢) سورة القمر: الآية ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

وكذلك ما وَرَدَ في الروايات،، وبالتالي فإذا هذهِ الذات والهوية المجردة كان لها نحو من التنشئة السابقة.

المحاور: من أين جاء مصطلح عالم الذر وهو غير مذكر في الآية الكريمة؟!، إذْ هو مذكور في الأحاديث الشريفة بهذا التعبير؟.

الجواب: هذهِ التسمية لعالم الذر منشأها قرآني وثم روائي ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1] فالذرية الذر إنَّما سميت بالذرية وإنْ كانت الآن الحالة الاستعمالية في اللغة الأدبية العربية هي بلحاظ المواليد والتنسيل، ولكن في الاصطلاح نفس التعبير بالذر (ذريّتهم) هي المواليد، ولكن بصورة وبهيئة موجودات صغيرة هي كحالة الذر في الهباء، فإذاً أطلق على مادّة أُخرى وأعضاء أُخرى كلمة الذريّة في أصل وضع معناها اللغوي وهو بلحاظ تلك النشأة وإنَّما توسَّع في الاستعمال إلى المواليد من الأرحام والأصلاب، وإلّا هي في الحقيقة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يطلق بلحاظ الموجود الصغير ذي الكينونة الصغيرة.

المحاور: الكينونة الصغيرة مقارنة بماذا؟.

الجواب: الكينونة الموجودة فعلية الآن كما ذكرنا هناك قراءة محتملة بحسب ما في علم نظام الوراثة أو الهندسة الوراثية، من العلوم الحديثة

(١)

المنظورة الآن ولسنا نحمل مفاد الآية بنحو التعيين والبت عليه ولكنه قراءة محتملة قدْ تذكر في ذيل الآية، ألا وهي إنَّ هذهِ الجينات التي كانت في صلب آدم كنّا نحن كلنا بنحو جينة حيوانية حيّة بحياة حيوانية وكلنا كنّا في ظهر أبونا آدم، نحو الكروموسومات أو الجينات بنحو من الأنحاء.

المحاور: إذاً هي في الواقع إشارة قدْ تكون إلى عالم الذر المقصود منها، وأنَّه هناك كيفيات معينة من الوجود غير الكيفية المألوفة في الحياة الدنيا.

الجواب: هذا في بعده المادي، وأمَّا في بعده الشعوري والإدراكي هناك نشأة وتعلق من الروح بتلك الجينات أو تلك الكروموسومات إنْ صحَّ التعبير أو ربما بعد وجودي مادّي له بعد في الصغر آخر كان له تعلّق ببعد مجرد إدراكي، كما ثبت الآن عملياً أنَّ الجينات لها درجة من الإدراك والإحساس، ولسنا نحمل معنى الآية بنحو البت عليه ولكن هذهِ القراءة علمية في العلوم الحديثة احتمال لمعنى الآية، وأيّاً ما كان فالآية تثبت إذنْ للإنسان من جهة بعد المادّي وجود كينوني صغير كالذر للهباء، ومن جهة التنشأة المجردة التي لها نحو إدراك وشعور كما مرَّ أنَّ هذهِ قراءة محتملة من علم الهندسة الوراثية.

مقام المعصوم

المحاور: على ذكركم للمعصومين عليهم السلام هل أنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام تتسع حياتهم لتشمل منازل الدنيا ظاهراً والاطلاع على منازل الدنيا والآخرة والبرزخ؟

مقام المعصوم

الجواب: بالطبع أنَّ المؤمن الذي راعى سلوك التقوى وسلوك اليقين وسلوك الإخلاص يصل إلى درجات من مشاهدات عديدة لشؤون البرزخ، أو بعض شؤون البرزخ أو بعض شؤون الآخرة، فكيف بك بمقامات المعصومين، الحقيقة كل إنسان مؤمن حتّى وإنْ قلت درجة إيمانه وكل بشر وحتّى إنْ انحرف به السبيل إلى سبيل الغي هو في الحقيقة طبيعة جهاز مركب من وجود الإنسان وبناءً وجوده ذو طبقات وذو عوالم، شعر بذلك الإنسان أو غفل عنه، الإنسان بحسب جهازه الوجودي هو موجود ذو نشأة وفي آن واحد، وهو كما يعيش ويدير معيشة دنياه هو الآن في حالة تعايش مع المقام والمنزل البرزخي الذي هو فيه، وكذلك هو في مقام تعايش مع منزل الآخرة، وإنْ لم يشعر به فإذاً حالة التعايش الوجودي مع طبقات وجود الإنسان مع هذهِ العوالم أمر ثابت للكل وإنَّما الذي يختلف بين المعصومين ولا يقاس بهم أحد غيرهم، أو من هو دون المعصومين وغيرهم هو مشاهدة تلك العوالم وبالطبع إنَّ المعصوم لما أوتي من علم لدني وطهارة وصفاء فائق يشاهد مثل تلك العوالم في مراتب أكثر وتستحضرني رواية رواها الشيخ الصدوق بسنده عن أبي عبدالله بكر الأرجاني قال: صحبت أبا عبداللهعليه السلام في طريق مكّة من المدينة فنزل منزلاً يقال له عسفان، ثم مررنا بجبل أسود، على يسار الطريق وحش، فقلت: يا ابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل؟ ما رأيت في الطريق جبلاً مثله؟ فقالك «**يا ابن بكر أتدري أي جبلاً هذا؟ هذا جبل يقال له: الكمد وهو على واد من أودية جهنم فيه قتلة أبي الحسينعليه السلام استودعهم الله، يجري من تحته مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم الآن وما يخرج من جهنم وما يخرج**

من طينة خبال وما يخرج من لظى وما يخرج من الحطمة وما يخرج من سقر وما يخرج من الجحيم وما يخرج من الهاوية وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل في مسيري فوقفت إلّا رأيتهما يستغيثان ويتضرعان وإني لأنظر إلى قتلة أبي فأقول لهما: إنَّ هؤلاء إنَّما فعلوا لما اسسستما، لم ترحمونا إذْ وليتم وقتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على حقنا، واستبدتم بالأمر دوننا، فلا يرحم الله من يرحمكما ذوقا وبا لما صنعتما وما الله بظلّام للعبيد»[1]. فقالوا له وهل يمكنك العيش مع سماع ومشاهدة كل ذلك، فقال: **«إنَّ لنا قلوب غير قلوبكم ومسامع غير مسامعكم»**.

ولو كانوا هم بما أوتوا من الله قابليتهم محدودة كما هي الحال في أرواحنا، لما استطاعوا أنْ ينبؤا عن آثار الأعمال وعن طريق الشريعة وعن طريق منهاج الأحكام وكيف آثاراها الأخروية، الحقيقة وراثة عن النبي صلى الله عليه وآله كما كان النبي صلى الله عليه وآله يتحدَّث عن آثار وخواص وعقبى ونتائج الأعمال فهو يشاهدها صلى الله عليه وآله ويشاهدها أيضاً أهل بيته وراثة علمية منه، وكيف هي الآن تتجسَّد وتتولَّد منها نتائج في البرزخ والآخرة وفي الصراط وفي عرصات العوالم الأُخرى.

معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المحاور: السؤال عن حديث المعراج معراج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومن أنَّه رأى طبقات من المنعمين ومن المعذبين في الجنّة والنار، فمن هؤلاء؟ وكيف

(١) ثواب الأعمال: ٢٥٨ ـ ٢٥٩..

رآهم؟ وهل كانوا صور حقيقية؟ وهل أنَّها أمور رمزية تشير إلى مستقبل الإنسان عندما يصل إلى الجنّة؟ وكيف يكون ذلك معذبون أو منعمون؟

الجواب: المعراج كما وَرَدَ بذلك بنص القرآن الكريم في سورة النجم وسورة الإسراء، وَوَرَدَ في روايات الفريقين أيضاً أنَّ النبي صلى الله عليه وآله عرج بجسده وروحه إلى دار الآخرة، ودخل الجنّة وشاهد كثير من مشاهد الآخرة وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنَّ الجنة والنار الأخروية هما في الآن الراهن مخلوقتان.

المحاور: الأخروية مقابل أي شيء؟

الجواب: مقابل النشأة البرزخية ومقابل نشأة دار الدنيا.

المحاور: الجنّة والنار التي يكون فيهما خلود للمؤمنين وللكافرين كلتاهما مخلوقتان؟

الجواب: دار الآخرة ليسَ عالم سيخلق وإنْ كان انتقال أهل الدنيا إلى دار الآخرة يحتاج إلى قيام القيامة عليهم، وأمَّا نفس دار الآخرة فليس موجود حادث في الآتي، ومن ثم وَرَدَ في خطبة النبي صلى الله عليه وآله في شهر شعبان[1] وغيره أنَّ أهل الحسنات والطاعات الآن يتعلقون بشجرة طوبى وأنَّ أهل المعاصي والسيئات الآن يتعلقون بشجرة الزقوم.

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٦١، دار التعارف، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٥م.

المحاور: وأنَّ أبواب الجنان مفتحة .... وأبواب النيران مغلقة ...[(١)].

الجواب: نعم، هذا بالنسبة إلى أوصاف شهر رمضان، وأيضاً وَرَدَ حول ذلك في المنافق أنَّه مات عن عمر يناهز الثمانين عاماً أو السبعين فلما مات سمع النبي هدَّة وهي سقوطه في قعر جهنم وأمثال هذهِ الروايات كثيرة جداً نقرأ، نظير ذلك الأنصاري الشاب الذي فتح الله بصيرة قلبه فرأى أهل الجنّة يتنعمون وأهل النار يعذبون، وأنَّ منهم أراد أنْ يكشف من صحابة النبي عن أهل الجنّة وأهل النار، ونصّ الرواية عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان، فقال له: كيف أنت يا حارثة؟ فقال: يا رسول الله أصبحت مؤمناً حقّاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا حارثة لكل شيء حقيقة، فما حقيقة قولك؟ قال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت ليلي، وأظمأت هو أجري، وكأني أنظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنّة، وكأنِّي أسمع عواء أهل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عبد نور الله قلبه للإيمان فأثبت، فقال: يا رسول الله ادعوا الله لي أنْ يرزقني الشهادة، فقال: «اللَّهُمَّ ارزق حارث الشهادة، فلم يلبث إلّا أياماً حتّى بعث رسول الله سرية فبعثه فيها، فقاتل فقتل سبعة أو ثمانية ثم قتل»**»[(٢)].

المحاور: علامة المتقين ...

---

(١) المصدر السابق: ١٧٤.

(٢) المحاسن للبرقي ج١: ١٦٥، باب اليقين والصبر في الدين؛ تفسير الرازي ج١: ١٢٣.

الجواب: إذاً روايات عديدة موجودة في حديث الفريقين كلّها دالة ومدلِّلة على أنَّ الجنّة والنار الآن الراهن مخلوقتان، وأنَّ النبي صلى الله عليه وآله عرج به إلى دار الآخرة بلْ إلى ما فوق الجنّة والنار وما شاهد من آيات رَبِّهِ الكبرى.

المحاور: السؤال الآخر هو أنَّ القيامة الكبرى لم تقم بعد فمن الذين رآهم وأي صور رآهم فيها؟

الجواب: طبعاً لا نحسب أنَّ أهل الجنّة وأهل النار هم الطبيعة البشرية في الدورة التي نحن فيها فقط، بلْ هناك قبل خلقة آدم أبو البشر وبنيه كانت خلقة مخلوقات سابقة، وقد يُعبَّر عنها في روايات أهل البيت بأنَّ قبل آدمكم ألف ألف آدم، فعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «**إنَّ الله خلق محمداً وعلياً والطيبين من نور عظميته، وأقامهم أشباً قبل المخلوقات، ثم قال: أتظن أنَّ الله لم يخلق خلقاً سواكم؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف وألف ألف عالم، وأنت والله في آخر تلك العوالم**»(١)، فأهل الجنّة وأهل النار دورات خلقية كانت لله عَزَّ وَجَلَّ من قبل. ثم إنَّ ما ذكر في روايات المعراج من أنَّ النبي صلى الله عليه وآله شاهد من أمته أو من الأمم السابقة فهذا يبيِّن كيفية تجسيم الأعمال.

المحاور: يعني يكون الإنسان وهو على الحياة الدنيا مُعذَّب بالنار؟.

الجواب: ولكن لا يشعر بالعذاب نظير الإنسان الذي لو أُصيب

---

(١) البحار، ج٢٥: ٢٥.

بجرح وكسر ولكنه في خضمّ حرارة حيث أو حرب محتدمة فلا يشعر بالجروح وأذى الجروح، وبعد أنْ يعود إلى حواسه وإلى تركيز التفاته يبدأ يشعر بالألم والجرح وشدّته، فهذا ما يحدث إلى طبقات الذات الوجودية للإنسان المرتبطة بنشآت عوالم أُخرى إلّا أنَّ الإنسان مُنشدّ تركيزه على بدنه الدنياوي فقط.

المحاور: يعني يخرج من حالة الغفلة وسكرة الحياة الدنيا؟.

الجواب: كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد﴾[1]، فيدلُّ على أنَّ الأمور كانت من قبل لكن الإنسان لا يشعر بها، وبالتالي كما مرَّ بنا أنَّ الإنسان وجوده ذو طبقات وجودية، كما أنَّ بدنه الدنيوي الآن ونشأته الدنيوية إلّا أنَّ طبقات ذاته من روحه وقلبه هي متعلقة بنشآت متجانسة متناسبة في اللطافة والرقّة مع تلك الوجودات، وبالتالي له تعلُّق بتلك العوالم وله مباشرة وله ملابسة بنحو من الأنحاء وله تدبير.

الحوض والصحابة

المحاور: هناك سؤال بشأن الحديث الذي روي عن طريق الفريقين على ما يبدو، وهو حديث الحوض: **«عن أنس بن مالك أنَّ النبي قال: ليردن عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني حتّى رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا**

(١) سورة ق: الآية ٢٣.

دوني فلأقولنّ أي رب أصحابي أصحابي، فليقالن لي إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١]، والسؤال كيف تنسجم «إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» مع كونهﷺ شاهداً على أعمال الأمَّة حتّى بعد وفاته ولا يختصر الأمر بحضوره، هذهِ عقيدتنا فيه خاصّة أنَّه الشهيد على الشهداء من الأولين والآخرين يعني الشهداء على أعمال الأمَّة فكيف يحلّ هذا التعارض الظاهري؟

الجواب: أضيف إلى هذا التساؤل أنَّ المنشأ الآخر للتساؤل هو أنَّ النبيﷺ كان قدْ أخبر عما يجري بعده في أحاديث الفريقين، هذا الحديث نفسه إخبار من النبي قبل وفاته فإذن هوﷺ يخبر عما هو آت.

المحاور: يعني هذا الإخبار يمكن أنْ يكون عامل لحمل هذهِ العبارة لغير المعنى الظاهر، يعني عبارة ماذا أحدثوا بعدك.

الجواب: نعم، أقصد أنَّ هذا الحديث النبوي الذي يطلعنا وينبئنا ويعلمنا بمشهد عظيم من يوم القيامة من الذي أخبرنا به، هو النبيﷺ قبل وفاته، فكان يعلم بما يجري حتّى أنَّه قدْ روى مسلم في كتاب الفتن أنَّ النبيﷺ بمشهد من المسلمين قدْ ذكر لهم معظم الفتن الخطيرة إلى يوم القيامة، وحفظها حذيفة، فإذن النبيﷺ عالِم بذلك قبل الوقوع فكيف مع الوقوع، وكيف بعد الوقوع، إذاً هذا التساؤل من النبي تساؤل التقرير أو سحب التقرير من الطرف الآخر للاستنكار والتعجُّب، وليكن نوع من المداواة

(١) صحيح مسلم، ج٧٠: ٧، باب إثبات حوض نبيناﷺ وصفاته.

الحوض والصحابة

لهم أنَّه كيف انتم مع هذهِ الصحبة للنبيﷺ وهذا الجهد الذي قدَّمه سيد الأنبياء لكم من التربية ومن التعليم، ومع ذلك خالفتهم أمره وأحدثتم ما أحدثتم في الدين وما شابه ذلك.

المحاور: عفواً، الآن جاء في ذهني الخطاب القرآني لعيسى في سورة المائدة، هل يمكن أنْ يكون هذا من هذا النمط؟

الجواب: نعم، أنا كنت في صدد ذكره أيضاً ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ﴾[1] على أيَّة حال هذا سؤال العارف من باب الاستنكار أو ما شابه ذلك من الدواعي الأُخرى، وهناك موارد أُخرى موجودة.

امتحان السيدة الزهراء سلام الله عليها

المحاور: في زيارة الصديقة الزهراءعليها السلام المنقولة في كتاب مفاتيح الجنان ضمن زيارات المعصومينعليهم السلام، هذهِ العبارة: «**السلام عليك يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أنْ يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة**»[2]، فكيف يمكن أنْ يُمتحن الإنسان قبل وجوده؟

الجواب: الامتحان يتمُّ في أصعدة متعددة هناك امتحان إلهي يتمُّ في مقام العلم كما يُعبِّر الحكماء، أي أنَّ الامتحان يتمُّ من العالم بنفس المعلوم

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.
(٢) مفاتيح الجنان: ٣١٧، زيارة فاطمة الزهراءعليها السلام.

قبل أنْ تنوجد المعلومة خارج نطاق العلم، ولذلك مثالاً يتّضح به الأمر مثلاً، ربما لازارع يريد أنْ يرزع بذوراً أو نمطاً من الزرع في أرضية صالحة حينئذٍ يصبّ هذا الزارع معلوماته حول أنواع وأنماط الزرع ضمن عالم المعلومات الذي يختزنه في ذهنه فحينئذٍ يقلب الموازنة يمنة ويسرى ويفاضل بين أنواع البذور وأنواع الزرع، وأيُّها الصالح ومنها الطالح مع أنَّ تلك البذور لم تستحصل في الخارج وفي عين التربة إلّا أنَّ من خلال ما يمتلكه من معلومات وعلم يوازن ويقارن ويمتحن ويقدم ويؤخر في ضمن موازنة علمية دقيقة، هذا ما يقال عنه امتحان علمي، وهذا يمارسه كل عالم وفي كل نطاق وكل معلومات قبل أنْ يقدم على أي فعل، من الضروري من يمتلك علم، العالم يمارس مثل هذا الامتحان، وهذهِ الموازنة ومثل هذا الاصطفاء، هذا قدْ يقال عنه في لسان الوحي والروايات يُعبَّر عنه بالاصطفاء في مقام العلم او قدْ يُعبَّر عنه بالانتجاب كما وَرَدَ عنه في خطبة الصديقة عندما كانت تنعى سيد الأنبياء أبيها صلى الله عليهما، حيث قالت: **«اختاره قبل أنْ أرسله، وسمّاه قبل أنْ اجتباه واصطفاه قبل أنْ بعثه»**[1]. ذلك فالانتخاب الإلهي والاصطفاء إذاً الامتحان يكون في الصعيد العلمي؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى عالم بكل المغيبات وبكل المستقبليات ويرسم نظامه، وسننه، وإرادته، وأنواع مشيئته، وقضاءه، وقدره على ذلك العلم النافذ الغيبي الذي لا يحدّ ولا ينتهي وبالتالي يتمُّ الامتحان والانتخاب

(١) الاحتجاج: ج١: ١٢٠.

والاصطفاء أولاً في صعيد العلم: «**فيا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أنْ يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة**». فضمن هذا العلم علم الله بالمستقبليات ومغيبات الأمور وتداعيات الذوات المختلفة. كل ذات طبيعتها وتداعياتها ومقتضياتها وسيرتها هي حاضرة في علم الباري بالمستقبل، فوجد الزهراء صابرة لما امتحنه بها.

معرفة آل مَحمد عليهم السلام

المحاور: ما حكم الذين يموتون ولم يعرفوا أهل البيت عليهم السلام لعجزهم وعيشهم في مناطق نائية عن المناطق الإسلامية سواء كان في التاريخ المعاصر او في القرون السابقة، ولماذا يحرمون من المراتب العالية التي تثمرها معرفة مُحمَّد وآل مُحمَّد عليهم السلام؟

الجواب: إنَّ الحساب والنتائج لا تحسم بمجرد ما يستغرقه الإنسان في عمره في هذهِ الدنيا بلْ هناك البرزخ لا سيما بالنسبة إلى المستضعفين الذي استضعفوا فكرياً عن مصادر المعرفة وما شابه ذلك، ستفتح لهم هناك سبل وفرص للمعرفة والامتحانات، جملة منهم ربما يرجع في الرجعة وهي مرحلة أُخرى وشوط آخر من الحياة الدنيا، وبالتالي هناك شوط أخير ومرحلة أُخرى في يوم القيامة للذين لم تسنح وتصل إليهم تلك الفرص للاطلاع على تلك المعارف وتلك المصادر، هناك يقام لم مجال وفرصة أُخرى، موجودة في الروايات بالنسبة إلى مثل أطفال الملل الأُخرى التي لم تتعرف على الإسلام ونبي الإسلام وأهل بيته أو ما شابه ذلك ممن هم في

درجة متدنية من الاطلاع والمعرفة، نعم سبصرون وتفتح لهم جملة من أبواب المعرفة ويمتحنون من خلال ذلك.

المحاور: ألا يتعارض ما تفضلتم به مع كون الدنيا هي دار التكليف، يعني كيف يكون الأمر إذا تعرض عليهم معرفة وولاية مُحَمَّد وآل مُحَمَّد في عوالم ليست فيها تكليف يعني ليسَ فيها إمكانية القبول أو الرفض؟

الجواب: بالنسبة إلى الرجعة هي من دار الدنيا وليست من البرزخ ولا من دار الآخرة، أمَّا التكامل في البرزخ فالذي يظهر من الآيات والروايات أنَّ هنا عمل بلا حساب وهناك حساب بلا عمل، ليسَ يعني ذلك أنَّ ليسَ هناك تكامل، بلْ الذي يظهر من الآيات والروايات أنَّ الذي قدْ حصل محصلة معينة من العمل والعلم يضاعف له عمله وعلمه، ولعلَّ هذهِ المضاعفة للعلم والعمل بالتكامل في البرزخ، لمن كانت لديه نوع من الحصيلة البسيطة الخيرة بكامل من أفضال الله وإنعامه، هناك تفتق وتتكامل، وبالتالي في البرزخ أو قبل الجسم النهائي يوم القيامة، ولعلَّ هذا يدخل في ما ذكر في الوعد الإلهي من مضاعفة الحسنات ومضاعفة الإجزال لمن هو خير، إذاً حينئذٍ التكامل البرزخي، أو التكامل في عرصات مراحل يوم القيامة غير منفي في الآيات والروايات، والذي هو منفي هو أنَّ كما يقال المعرفة هنا المشاهدة هناك، يعني البذرة لابدَّ أنْ تزرع وتحرث ها هنا ولكن سقيها وريعها وريها ليسَ من البعيد أنْ يستفاد من الآيات والروايات في كثير من النصوص، أنَّ هناك نوع من التكامل لهذه البذور

التي أنشأت هنا تتحقق ثمّة ها هناك.

المحاور: يفهم من كلامهم أنَّه لا حرمان لأحد من ثمار معرفة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد وولايتهم عليهم السلام يعني لا من الأولين ولا من الآخرين؟

الجواب: إمَّا بالنسبة للأولين فها هو القرآن يفصح بأنَّ الأنبياء بعثوا بالبشارة بنبوة النبي وأهل بيته في الأُمم السابقة كما في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِين﴾[1]، أو غيرها من الآيات، كلَّها دالَّة على الأمور الأصلية العقدية والاعتقادية التي تطرح في الأمم السابقة، والأنبياء بعد توحيد الله لم يكونوا يؤصِّلون نبوة أنفسهم كأصل ثاني في عقائد تلك البعثات السابقة، بلْ كان يؤصلون نبوة سيد الأنبياء وولاية أهل بيته ثم تأتي بعد ذلك في الرتبة ذكر نبوتهم، وهذا ما تفيده جملة من الآيات والروايات مما يمكن الاستشهاد بها على ذلك، بلْ كان نهج وسنّة الأنبياء في الأمم السابقة على تأصيل إبلاغ وترسيخ التوسل بالنبي وتعليم أسماء النبي وأهل بيته، حتّى أنَّ اليهود هاجروا من الشام ومن بلاد الرغد ومن العيش الرفيه إلى جدب الحجاز ووعورة العيش؛ لأنَّهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا بمجيء النبي صلى الله عليه وآله كما تشير الآيات.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١.

فهرس الموضوعات

الفصل الأوّل
دور الأنبياء عليهم السلام

الفصل الثاني

أوصاف النبيّ صلى الله عليهِ وآله وسلم

الفصل الثالث

النبي صلى الله عليهِ وآله وسلم قمة في الإنسانية

الفصل الرابع
لكل سؤال جواب